د. عبد السلام البسيوني

مذكرات رجل مجهول (3)

رحلتي إلى المدينة المنورة طيبة الطيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الهدي الرباني:

قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)!

وقال تعالى: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) التوبة:120!

وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل)

وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)

وفي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (....ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها،كما ينفي الكير خبث الحديد)

الإهداء:

إلى جناب سيدي المصطفى صلى الله عليه وسلم

وإلى العلامة محمد المختار الشنقيطي عليه رحمات الله ورضوانه – صاحب الفضل علي بعد الله تبارك وتعالى – خصوصًا، وإلى مشايخي عمومًا

وإلى زملائي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بين عامي 1974 و1978

وإلى أيام خلو البال، وصفاء الروح، وشغف العقل

عبد السلام

مقدمة

هذا هو الجزء الثالث من ذكرياتٍ لا تكمن أهميتها في شخص كاتبها – فهو لا أهمية له عند الله وعند عباد الله – لكن ربما يكون لها بعض القيمة من جهة تأريخها لمساحة مهمة من تاريخ مصر والمنطقة العربية، من وجهة نظر شخصيةٍ حرة، غير منتمية إلا لدينها وبلدها، ومن جهة ترجمتها لعدد من العلماء الكبار الذين لهم حضور بين أمة الإسلام، ولواقع التعليم العربي، ولعدد من الزملاء الذين صاروا نجومًا، وأناسًا مرموقين..

وكانت أحداث هذه الفترة على التحديد (1974-1978) ممتدة الأثر إلى ساعة كتابة هذا الجزء، وربما تمتد مئة سنة أخرى؛ إذ كانت البداية المعلنة لصهينة المنطقة، وتسليم مصر، والبدء في مشروع إعلان إسرائيل الكبرى الوشيك التحقيق، وكشف حجم المؤامرة الكبرى على البلاد الكبرى المحيطة بإسرائيل (مصر وسوريا والعراق على التحديد) وبروز دقة تخطيط الآخرين، وفشل نخبنا الدينية والفكرية في قراءة الواقع واستشراف المستقبل فشلا مزريًا، وكشف جزء – ولو يسيرًا – من تردي مستويات التعليم، والإعلام، والأمن، والمؤسسات الأخرى في ست الدنيا!

في هذه الحقبة تركتُ مصر لبضع سنين شكّلت مستقبلي في السنين الأربعين التالية من عمري، ولما بقي منه إن كان في العمر بعد ذلك سعة!

فاقرأ واعتبر، وأعدك ألا أذكر إلا حقًّا واقعًا ومعتقدًا ألقى ربي تعالى عليه، وبالله الاستعانة، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

أسأل الله تعالى أن يجعله حقًّا، وأن يقرَّ به حقًّا، وأن يعلي به حقًّا، ويدفع به باطلًا، ويجعله في ميزاني يوم القيامة.. اللهم آمين يا رب العالمين.

د.عبد السلام البسيوني

الدوحة الغراء في عيد الفطر 1436/ 23 يوليو 2015

مصر أوائل السبعينيات

كانت السبعينيات من تاريخ مصر والأمة – في زعمي – حقبة من الدهر صاخبة، حافلة بالأحداث والتوترات، والتغيرات التي انغمست فيها مصر والأمة العربية، والتي رَسمت ما بعدها من منحدرات ومآسٍ سقط العرب والمسلمون في فخاخها ووحلها، ولم يستطيعوا النجاة، ولا الفكاك، أو حتى تقليل الخسائر؛ بسبب جلَد الأعداء وحسن تخطيطهم، وخدمات العملاء المحليين الذين نابوا عن أولئكم في تنفيذ المخططات، وضراوة استغفال الأمة وتخديرها بدهاء، ولدروشة الإسلاميين، وعجز المشائخ الذي يصل أحيانًا لحد البلاهة – إلا من رحم – وتغييب النخب (المخلصة) عن قراءة الواقع واستشراف المستقبل، ودأب الصهيونية الساهرة الماهرة الماكرة الفاجرة في تفريغ المنطقة من الفاعليات، وإدارة الأمور بحرفية عالية، حتى أفرزت – عبر وكلائها – مؤسسات دينية بلا دين، ومؤسسات تعليمية تفرخ جهلاء، ومؤسسات سياسية بائعة (للجمل بما حمل) وشبابًا فارغين عاطلين، يائسين من المستقبل، ومن الأمل، ومن العمل، ومن إثبات ذواتهم بشكل طبيعي رشيد..

- في هذه الحقبة خرجت مصر من نصر أكتوبر خاسرة، متآمَرًا عليها بشكل واضح!
- وفيها ذهب السادات رحمه الله للقدس، وقدم مصر وجبةً رخيصة للصهاينة؛ عبر كامب ديفيد وشروطها، وبدأ اتسحاب تأثير مصر من أفريقيا بشكل كامل، ومن دورها العربي والإسلامي!
- وحُقنت الجامعات ومؤسسات التعليم بفيروسات الجهالة والعمالة، خصوصًا الأزهر؛ بعد التخطيط لـ(تطويره) حتى بات التعليم كما نرى!
- وشلت مؤسسة القضاء ولوثت تلويثًا بليغًا، حتى وصل حالها إلى ما نعلم، من تردٍّ وارتكاس، ومحسوبية ورشوة، وتسييس وعمالة!

- **وفرغ جيش أقوى الدول العربية من مضمونه، حتى صار مجرد هياكل، واتجه لإقامة أعياد النصر على الوهم، وفض المظاهرات، وبناء الكباري وشق الطرق، ثم لصنع المكرونة، وبيع الجبنة، وعسل النحل!**
- **ثم بدأ تبلور وبروز تيارات عنيفة على كل المستويات: العنف الاجتماعي/ العنف الأسري والشخصي/ العنف السلوكي/ العنف اللفظي/ عنف المظهر والممارسة، وانعكس ذلك كله عنفًا رسميًّا، بالغ الانفلات والاستهانة بالحقوق: عنفًا أمنيًّا وقانونيًّا، وإرهابًا حكوميًّا، لا آدمية تردعه، ولا قانون يمنعه!**
- **كما تجلى في الجانب المدني عنف الانفتاح والاستباحة/ وعنف الانخلاع والجرأة والمجاهرة/ وعنف تمكين التيارات المخالفة لهوية الأمة/ وتكوين أحزاب شكلية نهايتها إعطاء مشروعية شكلية للجالس على الكرسي!**
- **وتبلور إعلام موالٍ للرؤوس السياسية والاقتصادية المهيمنة، والتي ستتجلى هيمنتها بشكل فج في العقود التالية، وتحول مبنى ماسبيرو إلى مؤسسة تطبيعية كاملة مع كل ما يخالف مصلحة البلد دينيًّا وأخلاقيًّا وحضاريًّا، وحاضرًا ومستقبلًا!**
- **في هذه الحقبة كانت مخططات الصهيونية في المنطقة تتوغل بنجاح باهر، بعد أن توجت بتسليم مصر للصهيوني المتطرف مناحيم بيجن، وكيانه الاستئصالي المجرم المتطرف، والخضوع لبنود لا يعلم بها الشعب المصري، رغم أنه هو الذي يدفع ثمنها؛ ربما لقرن تالٍ من الزمان الكنود!**
- **وكان التطبيع مع الصهيونية منهجًا ذا حضور كبير، رغم قشور الرفض والاحتجاج الشكلي غير المؤثر، أو التكتيكي المخادع، ثم ليبرز متصهينون من بلادنا، يقولون إن (إسرائيل حلوة والإسلام كخة)، كما رأينا بعد ذلك!**
- **وفي الوقت نفسه كانت دغدغة أحلام الشباب بالانفتاح، والملايير التي ستنهمر على رؤوس المصريين، بسبب السياسات المالية الرائعة للزعيم الناصر، والرئيس المؤمن، وصانع السلام، بعد الانتقال من مرحلة الحرب لمرحلة الاستسلام..**

- **وألهى السادات أمته بلعبة الانفتاح، والترف، وبدأ الشباب ينشغل بالكماليات، وافتتح الأثرياء المحيطون بالسلطة مؤسسات استهلاكية لا تنفع إلا أصحابها وحدهم، كمصانع السيراميك، والحلويات، وبيوت الأزياء، ومشروعات الإسكان الفاخر، وبيوت الدعاية والإعلان، ومزارع الدواجن، ووكالات السيارات، والمواقع السياحية، والأفلام غير المحترمة بأي مقياس على الإطلاق: لا بمعيار الفن والصنعة، ولا القيم، ولا المصلحة، ولا غيرها!**

ورمى الأمريكان بـ(عضمة) مسمومة وغبية، فيها كثير من الإهانة والاستخفاف، ووضعوا عليه شعار (المعونة الأمريكية) بكل تبجح: يقول الأستاذ شامخ الشندويلي على صفحته، تحت عنوان: أتوبيس كركر:

أيام السادات – وعقب معاهدة السلام – جاء كارتر إلى مصر، واستبشر السذج؛ فأمريكا غنية، ونحن فقراء! فكان الواحد يسأل الآخر: تفتكر كارتر حيدينا إيه؟

فيقول له: التفاح الأمريكاني ده حيبقى بالكراتين!

ثم أثمرت العلاقات الجديدة مع العم سام شحنة أتوبيسات نقل عام، كان صوتها مزعجًا جدًّا، وحركتها غير سلسة؛ فكانت رؤوس الركاب تصطدم بالسقف عند أي مطب، إضافة إلى المظهر القبيح للأوتوبيس؛ فعيوب صناعته لا تخفى على العين! وصار مفهومًا أن أمريكا أرادت أن تتخلص من أوتوبيسها (المعيوب) بإهدائه لمصر الفقيرة! فكان الناس ينظرون إليه ويقولون: ياما جاب الغراب لامه/ لو كان فيه الخير ما كان رماه الطير!

ومن أجل نسبة القبح لصاحبه سماه الناس "أوتوبيس كارتر" وبسبب ما كان يحدثه الأتوبيس من صوت قرقرة مزعجة سموه أيضًا: أوتوبيس كركر!

- **وتجسدت ملاعبة واحتواء الطموحين سياسيًّا بتكوين أحزاب وهمية، ظهرت قيمتها الحقيقية بشكل فائح فادح فاضح بعد أحداث يناير 2011، حين اصطف رجال الأحزاب والسياسة والاقتصاد والإعلام والجيش والأمن وحقوق الإنسان – في الجملة – في صف مضاد لمصلحة الأمة ودينها وحاضرها ومستقبلها!**

- في هذه الحقبة بدأت أحلام الشباب بالسفر والعودة بالملايين، وسادت موضة الشعور المنفوشة الخشنة، والسوالف الطويلة، وبناطيل الشارلستون، والقمصان اللامعة (المحزقة) والياقات العريضة، والأحذاية الشبابية العالية التي ترفع صاحبها عن الأرض أكثر من عشرة سنتيمترات، وادعاء الجدة والثراء، واستعراض الثياب والإكسسوارات!

وظهرت أغانٍ مثل: السح الدح امبو، والطشت قال لي، تلك التي أخرجت من صُلبها مواليد حرامًا مثل بحبك يا حمار، وبوس الواوا، والدي دي واه، ولولاكي، و... تسلم الأيادي!

وبدأت اللهجة الواضحة للاستباحة، والدعوة الصريحة للفجور والزنا، والمخدرات، في أفلام شمس وميرفت ونجلاء ومديحة وناهد! وسمع الناس بأبي فوق الشجرة، وحمام الملاطيلي، ودرب الهوى، وخمسة باب، وذئاب لا تأكل اللحم وغيرها!

وعلت نبرة أفلام الكيف، وتمجيد الغوازي الراقصات، وثراء بعضهن، حتى وصل الأمر بعد ذلك بواحدة منهن بصمجية، لا تكتب ولا تقرأ، أن تشتري شقة ذات مواصفات وإمكانات خاصة – في أوائل التسعينيات – بتسعة وأربعين مليون جنيه مصري ونصف المليون (آنذاك)!

يقول محمد كامل القليوبي، في مقال له بعنوان: سينما السبعينات: الموجة الأكثر هبوطًا في تاريخ السينما المصرية:

إن سينما السبعينات قد شكلت الموجة الأكثر هبوطًا في تاريخ السينما المصرية.....وأصبحت الأموال المتدفقة مجهولة المصدر، والتي استخدم جزء كبير منها

في عمليات غسل أموال؛ كنتيجة لثلاثة مصادر للثروة غير المشروعة في مصر، هي حسبما يحددها مركز البحوث الاجتماعية، وبالترتيب: (تجارة الآثار، وتجارة السلاح، وتجارة المخدرات) وفي حالة انتشار الفساد التي بدأت خطواتها الأولى خلال هذه الفترة ثم وصلت إلي ذروتها مع نهاية الثلاثين عامًا، التي تولي فيها الرئيس المخلوع حسني مبارك حكم مصر من (1981 – 2011)!

لقد أضافت الرأسمالية الطفيلية في عودتها الجديدة للسيطرة على السينما المصرية مزيدًا من الموضوعات، لتتاجر بها؛ فلم تعد سلطتها الوحيدة تزييف الواقع، وطمس علاقات فقط، وإنما امتدت لتتاجر بكل شيء: تراثه وتاريخه وحضارته في أكثر الفترات إظلامًا في تاريخ السينما المصرية!

باختصار: كان قطاف الثمار المِرار لهذه الحقبة السوداء في بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، وسيمتد لعقود قائمة للأسف – فيما تقوله السنن الاجتماعية – ما لم يشأ ربنا سبحانه وتعالى شيئًا..

زفتى ومصر 1973

قلت في جزء سابق إن مصر قبل يونية 67 غير مصر بعدها، من كل زاوية: في الناس والمروءات/ في الأخلاق والقيم/ في الآمال والطموحات/ في الوطنية والفخر/ في الجمال والفعالية/ في الإقبال على التعليم والطلب.. في كل شيء!

حتى شكل الأشياء تغير: لم يعد النيل هو النيل، ولم تبق الحقول هي الحقول، ولم تبق الوجوه المستبشرة مستبشرة، بل عَلتْها كُدرة وكآبة، ونوع من الانكسار والقنوط يؤكد أن كل شيء قد تغير، وأن الأمة تمضى إلى طريق مجهول كئيب مظلم!

***** كان الفلاح مكتفيًا تمامًا بأرضه وعطائها، يعيش من خيرها، وفي (وِسْط داره) الفراخ والبط والغنم، وفي (شواليه) اللبن والرايب والقشطة والزبدة، وفي (سحارته العيش)، وفي بيته الستر، وفي قلبه الرضا، فإذا سألته عن حاله قال بلهجة الشاكر: رِضا/ الأشيا معدن/ الحمد لله/ اللهم دِيمْها نعمة واحفظها من الزوال!**

***** وكان الموظف مستورًا (يتمرغ في تراب الميري) لا يمد اليد، ولا يتعرض لمنةٍ من أحد!**

***** وكان التاجر الصغير، والصانع البسيط، وسائر الشرائح: تعيش في عافية وقناعة، بقلب شاكر، ولسان ذاكر، وصفاء اجتماعي ملحوظ!**

فلما قامت الحرب أظلمت الدنيا – حقيقة ومجازًا – ووقفنا طوابير ساعات طويلة لنشتري خمسة أرغفة أو عشرة، وجُمعت الأموال من الفقراء تحت مسمى المجهود الحربي، وأحس الناس بالفقر، واستمر إعلام (أحمد سعيد) المضلل يكذب على الناس، باسم النكسة التي ستزول، وتبرير حرب الاستنزاف التي ستعيد لمصر قوتها، والترويج لضرورة ربط الأحزمة واحتمال الظروف الصعبة، وضرب الله المحاصيل بـ(الدودة) والتوكسافين* في حين يصدح الإعلام بأمجاد الزعيم، وخصائص الزعيم، وغنى له مطربو (القصر) نحو ألف ومائتين وثمانين أغنية في ست عشرة سنة، هي سنين عهده (الميمون)!

*ظهرت دودة القطن بشكل فاجر في مصر حتى أنهكت الفلاحين، ودمرت المحاصيل، وأثرت على الاقتصاد، فواجهها الأغبياء بمادة الـDDT وسم التوكسافين الذي كان يفتك بالبشر قبل الدودة،

ولما حصلت انفراجة موهومة بعد 1977 في كامب ديفيد (معسكر داود الذي كتب فيه عقد الإذعان بتسليم مصر) ابتدع الرئيس السادات قضية الانفتاح، وخدع شعبه بالرخاء القادم، والسمن والعسل والحرية،

وخدر شعبه بالحرية، وبشر بهدم المعتقلات، وفي حركة مسرحية أخذ (شاكوشًا) ليهدم بيده ليمان طرة (!) في أكتوبر 1975، لكن الليمان اللعين بقي ونما وتمدد، وصار مجمعًا للسجون، من سبعة أجزاء رئيسة، أشهرها: سجن المزرعة، وليمان طرة، وسجن استقبال طرة، ومحكوم طرة، وسجن طرة شديد الحراسة المعروف بالعقرب*.

كنا خارجين من أزمة حرب 67 وحرب استنزاف طويلة اسمها خادع (كاسم النكسة بدل الهزيمة/ وجيش الدفاع الإسرائيلي بدل جيش الإرهاب الصهيوني/ والنيران الصديقة بدل النيران العمياء الأمريكية)!

لم تُستنزف إسرائيل في هذه الحرب كما زعموا، بل نَزفت مصر بها كينونتها وحريتها واقتصادها وشبابها واستقرارها ومستقبلها، ودامت حتى حكم السادات الهادئ الماكر السنين الثلاث الأولى من عهده، وفيها حرك الشيوعيون الناس ضده، بعد أن ظل يؤكد للشعب في خطابات متكررة – كل عامٍ – أنه عام الحسم، في مواجهة إسرائيل، وفي مواجهة الفوضى الداخلية، وحل مشاكل الاقتصاد!

وثارت مظاهرات الطلبة تسبه، وخرج شعراء شيوعيون كأحمد فؤاد نجم، والأبنودي

*جريدة اليوم السابع: مايو المقبل.. رجال النظام السابق يحتفلون بالعيد الثالث والثمانين لسجن المزرعة الذي واكب مولد حسني مبارك.. و"طره" يتفوق على "القلعة" و"الواحات" وينافس "الكاتراز" الأمريكي و"سان بيدرو" البوليفي. 13 أبريل 2011

وغيرهما يسبونه بأمه، ويصفه نجم بأنه ابن غسالة، وبأنه زي القرد، وكتب فيه قصائد كثيرة ملأى بالهجاء المقذع البذيء، منها نيكسون بابا، ويالللي فتحت البتاع!

ومما كتبه أيضًا بكثير من الإسفاف: أوأه المجنون أبو برقوقة:

بزبيبة غش وملزوقة	عيرة وبرّاني وملزوقة:
نصاب ومنافق وحرامي	ودماغه مليانة مناطق موبوءة
والنكتة كمان انه حلنجي	عامل لي فكاكة وحندوقة
مع إن الجحش أفهم منه	العالم فاهمة ومفلوقة
بسلامته بيسرح قال بينا	يعنى إحنا مواشى يا زقزوقة
دا إحنا الحريفة العريفة	غيرش الأيام المدعوقة
شفت الولدات الشلبية	ليلة التحرير يا أسطى فاروقة
دول هما ولادنا وأكبادنا	وقلوبنا عليهم مشقوقة
يا سلام يا صلاة النبي أحسن	على جيل العلم يا مرزوقة
حلوين وحياتك يا بلدنا	يا أم الخيرات المسروقة
إحنا اللي رمينا البذراية	وروينا الأرض المعزوقة
وحنحصد بكره وحنغني	وعيون الخاين مخزوقة

ولما اغتيل كتب قصيدة في مدح الإسلامبولي ومن معه..

خالد: يا بن الربيع والأمل والشمس والزينة

مين يا فتى علمك فعل الخريف فينا

وكبرت برّا الزمان اللي ابتلاك بينا

نايمين على ودننا مع إننا عارفين

شيل الغطا يا عطا.. عبد السلام مددين

عبد الحميد يا فتى.. قطب الرجال يا حسين

داعي المروءة دعا.. والعمر مش عمرين

خالد يقول صحبتي واحنا الجميع عارفين

الله اكبر هنا.. ع الباغي والجبار

طعن الفتى طعنته خار الأغا وانهار

المجد ده ابننا والفارس الكرار

راكب على مهرنا والكدابين عارفين

وفي الوقت نفسه نبتت نبتات لأخلاط من التيارات الإسلامية التي تفتقد الرؤوس الراشدة، والقادة الموفقين:

- **تيار التكفير والاعتزال، ومصادرة إيمان المجتمع كله؛ بفهم شخص غير متخصص، جعل نفسه أميرًا، وأعطى نفسه حق الفهم والاجتهاد، و(طَغْوَتَ) الأئمة والمذاهب والكتب والعلم كله، وأصدر فتاوى شديدة الغباء!**

ثم بدأ هذا التيار ينقسم كالخلية المريضة، ليكون خلايا أخرى مريضة، تكفر الدنيا كلها، لا تستثني غير المتكلم نفسه، وبأسماء عدة: التكفير والهجرة/ التوقف والتبين/ الفرماوية/ القرآنيين/ أبو مسلم/.....إلخ!

- **ثم اتجه هذا التيار للعنف واستباحة الدماء والأموال، فعرفوا استباحة أخذ أموال الآخرين فيئًا وغنيمة باردة(التَّفْيِيء) باعتبارهم كفارًا، واستباحوا الكذب عليهم، ثم استباحوا دماءهم، حتى قتلوا الشيخ الذهبي رحمه الله، الرجل الجليل العليم الهادئ الودود!**
- **وظهر تيار يمزج السلفية بالجهاد، ويميل للعنف (صالح سرية والجماعة الإسلامية) وعمل سرًّا كعادة التيارات ذات الأجندات الخفية وغير الواضحة، لينتهى به الحال لقتل السادات رحمه الله، عبر الإسلامبولي والزمر وفرج وطايل رحم الله الجميع!**
- **وظهر التيار السلفي العلمي عاقلًا أول الأمر هادئًا مسالمًا، ثم بدأ في الانقسام، بشكل مزعج وشائن، ومشوه للسلفية، حتى صارت السلفية سلفيات تتفق ورؤية هؤلاء الشباب، لا وفق رؤى أئمة السلف رضي الله عنهم؛ فكان أن حجروا أمورًا واسعة،**

وضيقوا مفاهيم رحبة، وعسّروا على أنفسهم وعلى عباد الله أشياء كثيرة، وكان حصاد انقسامهم وتشرذمهم وفساد رأيهم ما رأيناه بعد ذلك بثلاثة عقود أو أكثر قليلا بعد ثورة يناير 2011!

- ولا ننسى هنا تيار الجماعات الحكومية التي لا تستطيع تجاوز خطوط رسمت لها رسميًّا: كأنصار السنة، والجمعية الشرعية، والشبان المسلمين، وما شابه!

- وتيار الدروشة الجزئية أو الكلية، كجماعة التبليغ التي لم تبال كثيرًا بالعلم، والتربية المنهجية، كما انطلقت جماعات من الصوفية، التي تدثرت أحيانًا بالعلمية، خصوصًا الجماعة العزمية، والتي ساهمت بعد ذلك بكثير من الخلل العقيدي والسياسي..
- وكان الأزهر – مع استثناءات منتسبة له علميًّا ولغيره حركيًّا – منسحبًا تقريبًا من الحياة العامة آنذاك: لا يثق الشباب برموزه، ولا يفكرون في مجرد استشارته – أقول هذا في حدود رؤيتي ولا أعمم – ما فسح المجال للشباب الأحداث أن يفكروا لأنفسهم، وينقسموا هذه الانقسامات!

ثم ظهر التيار الأزهري الرسمي الكنود، الذي قاده عدد من المنتمين للحكومة بشكل كبير كأحمد عمر هاشم والأحمدي أبو النور وعدد من المشايخ لمواجهة التيارات كلها برعاية أمن الدولة، ليثمر بعد ذلك نخبة من الأزهريين الرافضين للخنوع، تمثلوا في جبهة علماء الأزهر، التي صار منسوبوها الآن بين قتيل، وسجين، وهارب، ومغترب!

- أما الإخوان أوائل السبعينيات فكانوا بين حديث عهد بالخروج من السجن، مستورٍ ثقُل العبء عليه، ولا يريد أن يحرج نفسه، أو صف ثان أو ثالث، منتمٍ وله تاريخ في الحركة لا في العلم والفقه، أو رجل عالم فقيه يتكلم من الخارج – خصوصًا قادة الفكر الكبار: الغزالي والقرضاوي ومحمد قطب والعسال ومناع القطان وتوفيق الواعي وفتحي لاشين، وكان عدد كبير منهم بين السعودية والكويت وقطر والإمارات، وتركوا المجال فسيحًا لمن لم يكونوا في خبرتهم وعلمهم ورؤيتهم وموازناتهم، وتأمّر كثير من الشباب (الأحداث علميًّا وحركيًّا) في الجامعة، وأتقن بعضهم الاصطدام بغيرهم،

والسخرية منهم، وأبدع في عدم استيعاب المرحلة، ما عمَّق الاختلافات، وخط خطوطًا يسير عليها كل تيار حاملًا لافتته، متعصبًا لها، مبررًا كل ما يفعل، ملبسًا إياه ثوب الشرعية، والمنهجية، والولاء المطلق..

وسأتكلم عن مزيد من ذلك في جزء تالٍ إن شاء الله تبارك وتعالى!

حرب أكتوبر 73

أخيرًا.. بدأت الدراسة في رابعة ثانوي (وكانت الإعدادية أيامي أربع سنين، والثانوية كذلك)، وبعدها بأيام اشتعلت الحرب، واستقبلناها بحذر شديد في أول الساعات، حتى لا يتكرر مقلب 5 يونيو، فلم نكن لنلدغ مرتين من الجحر نفسه، وكانت مواجع النكسة حاضرة بقوة في ذهني، إذ عشتها بحذافيرها؛ لكن ما لبثت نغمة التفاؤل أن علت، وسادت طمأنينة واسعة بين الناس، وأحس الناس بطعم شيء اسمه النصر!

وكان السادات قد جهز نفسه إعلاميًّا، فقد اشتعل الراديو – وبسرعة لافتة – بعدد من الأغاني الوطنية التي لا أدري متى ألفت، ومتى لحنت، ومتى أنتجت في الاستوديوهات!

هذا السؤال خامرني بقوة آنذاك: متى وكيف؟

غنى المغنون: بسم الله والله أكبر/ عاش اللي قال للرجال عدوا القنال/ فدائي أهدي العروبة دمائي/ أمك تقول لك يا بطل هات لي النهار/ لفي البلاد يا صبية/ خلّي السلاح صاحي/ رافعين رايات النصر/ سمينا وعدينا وإيد المولى ساعدتنا/ عبرنا الهزيمة يا مصر يا عظيمة/ دولا مين ودولا مين/ حلوة بلادي السمرا/ المصريين أهمَّا/ أم البطل..

وانتشينا وهللنا وفرحنا..

المهم قامت حرب 73، وأنشد المنشدون، ومثل الممثلون، وكتب الكتاب، وأحس الناس بنشوة انتصار لم يتوقعوه أو يتخيلوه، بعد يأس طويل ركبهم بعد (الوكسة الناصرية) وانتعشت الآمال، وسادت نغمة متفائلة!

لكن الغريب أن كارهي السادات من اليساريين بقوا كارهين له، محاربين، يقللون من الانتصار، ويسخرون، ويغمزون تلميحًا وتصريحًا، ولم يتركوه حتى بعد موته لرحمة الله تعالى، وكأن من كان سبقه ومن خلفه كانا مثالين للوطنية والشرف!

والمهم كذلك أن الدنيا ما لبثت الدنيا أن انقلبت عام 1977، لكن قبل ذلك.. نعود إلى سبتمبر 73:

الأرضية والتكوين

كانت بداية هذا الفتى الزفتاوي تقليدية جدًّا – كما أشرت فيما سبق – من كُتاب الشيخ مصطفى عبد العزيز، والشيخ محمد درويش رحمهما الله، ثم مدرسة أبي شرف الدين، إلى معهد كشك الديني الإعدادي فالثانوي..

لكن كان هناك جملة أشياء فارقة في هذه المسيرة، لا زال يستصحب آثارها النافعة بفضل الله تعالى..

كان الله تبارك ونعالى قد سلب هذا الفتى عينه اليسري في الثانية من عمره، لكنه تبارك وتعالى – وهو اللطيف المنان – عوضه عنها بجملة عطايا فوق ما يستحق، منها التألق في الدراسة فلا يعرف في المراحل الدراسية – حتى هذه الأيام – من كان يسبقه.. بجانب حبٍّ مبكرٍ للقراءة، بدأه – كالمعتاد – بقراءات صبيانية مبكرة في القصص البوليسية (شرلوك هولمز وأرسين لوبين وشارلي شان) ثم فتح الله له سبل القراءة المنهجية من خلال مكتبة الأستاذ أحمد عبد الله العزب رحمه الله تعالى، ومنها أجهز على عدة سلاسل من الكتب الصادرة آنذاك: سلسلة أعلام العرب، وسلسلة كتب اقرأ، وسلسلة كتب مجمع البحوث الإسلامية، وعدد كبيييير من الروايات الأدبية ودواوين الشعر..

كانت الخلطة غريبة لتكوين شابٍّ بشكل شامل:

- فقد كونت أرضيته من التعليم التقليدي: قرأ كتبًا تقليدية في الأزهر وهو طفل (حفظ القرآن كله، واستوعب كتب الفقه الحنفي التقليدية المناسبة لمرحلته (متن نور الإيضاح ونجاة الأرواح لحسن بن عمار الشرنبلالي، والاختيار لتعليل المختار لابن مودود الموصلي، واللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني، ثم بعد ذلك الهداية حين كبر أكثر) وقطر الندى لابن هشام، وشرح ابن عقيل على الألفية، وكتب الأدب المقررة على التقسيم التقليدي للعصور الأدبية، وقطعًا مقررة من تفسير النسفي، وشرح جوهرة التوحيد للقاني، ومجموعات مختصرة في الحديث الشريف والسيرة النبوية)..

- **وفي الوقت نفسه كان يقرأ سلاسل من الكتب الرصينة، ويستمتع بعدد من دواوين الشعر القديم والحديث لمشاهير كتّاب النصف الأول من القرن العشرين، ويحفظ كثيرًا من أشعار المتنبي وأبي تمام وبشار، وصولًا إلى كامل الشناوي ونزار قباني الذي حفظ له وحده اثني عشر ديوانًا، وكان يقرأ كل ما وصلت إليه يده من الروايات العالمية المشهورة المترجمة، وكتابات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي ومحمد عبد الحليم عبد الله، وكل ما وجده من كتب العقاد وطه حسين والزيات ومحمود تيمور والمازني، وعدد من المجلات الثقافية القديمة والمعاصرة آنذاك..**

وكان دافعه إلى الإقبال على القراءة – استوعب ما يقرأ أم لم يستوعبه – انطواءه، وعدم قدرته على مجاراة لداته في الكرة، أو ألعاب الأطفال الأخرى، العنيفة في أكثرها: (صلّح، وضربونا بونا، ومليم ونكلة، والاستغماية، وما شابه) ولم يكن – خصوصًا في البدايات – يستطيع التأخر خارج البيت، بسبب ضبط والدته دخوله وخروجه، رحمها الله وأحسن إليها.

- **ومع أول يوم في النكسة الشهيرة (5 يونية 67) بدأ يتعلم شراء الجريدة ليتابع ما يدور – رغم أن سعرها بالنسبة له كان كثيرًا – واشترى كما أشرت من قبل أول ما اشترى مجلدًا من البخاري، وهو في الصف الأول أو الثاني الإعدادي، طبعته مطابع الشعب بسعر زهيد، ليتعلم الشراء مبكرًا، ويعرف قيمة الكتب الأثرية، ويتسلل بعد ذلك لسور الأزبكية ينتقي ما يريد بأسعار زهيدة، ويبحث عن المستغرَبات والنوادر، خصوصًا الكتبَ التي وقَّع مؤلفوها عليها في إهداءات لأصدقائهم، ليختطف كتبًا وقعها العقاد، وعبد الرحمن شكري، والسنهوري، وغيرهم، ويعدها من نوادر مقتنياته ونفائسه آنذاك!**
- **وبجانب ذلك أحب الفتى كتابة الشعر، فبدأ يتكلف كتابة أشياء بالعامية والفصحى من سن مبكرة، جاريًا في فصحاه على روي بعض الشعراء الكبار، يأخذ من قصائدهم فيغير هنا وهنا، ويرفع كلمة ويضع مكانها أخرى، وينسب ذلك لنفسه!**

- وأحب الخط العربي بسبب أستاذه الخطاط الموهوب محفوظ الجمل الذي علمه أول ما تعلم الخط بالطريقة المنهجية التقليدية، وكان الأستاذ معلمًا للثلث في مدرسة تحسين الخطوط بطنطا، بجانب ما سجلته ذاكرته العنيفة الهدارة آنذاك من خطوط محمد أبو الوفا ومتولي سعده ومختار وحسن حسب الله، وما كان مطبوعًا في مخيلته الراصدة من أعمال عبد العزيز الرفاعي ومحمد إبراهيم ومحمد حسني ومحمود الشحات وغيرهم!

وكان الفتى قد لفت أنظار أساتذته أواخر المرحلة الابتدائية بمعرفته بالخط، وجمال حروفه، وقدرته على التقليد، فوجد تشجيعًا حافزًا دعاه للاستمرار حتى آخر حياته!

- كما أحب الرسم، وشجعه على إتقانه والتعلق به الأستاذ فريد عبد الرحمن، وحين رسم (عبد المنعم رياض) في امتحان الشهادة الإعدادية من ذاكرته – وكان حديث الناس آنذاك بعد أن اغتيل في طائرة كما قال العسكر آنذاك – ونال درجة كاملة.

كان الفتى إذن مميزًا بين أقرانه – وهو لا يدري، أو لا يعنيه – فقد كان الأفضل دراسيًّا بين زملائه، وكان القارئ النهم، وكان مشروع الأديب الشاعر الخطاط الرسام الكاتب الدؤوب، الذي يلهث وراء الإضافة والإبداع، ليستمر على هذا المنهج المجهِد الشاق ما تلا من عقود عمره!

وأعتقد أن التنوع في القراءات والإمكانات نعمة كبيرة، في توسيع الأفق، وتعميق الرؤية، وقبول الاختلاف، إذ انفتح الفتى بعد ذلك على القراءات المتخصصة المعمقة في الفنون المختلفة، كما انفتح في المدينة المنورة بعد الأزهر على المدرسة السلفية بعمق، وانفتح ميدانيًّا بعد ذلك على الإعلام، والفنون، وعلى الحضارة الأوربية سفرًا ومخالطة، ومعايشة، ومناقشة، ما أنتج كائنًا متسامحًا – فيما أرجو – يحب التنوع، ويقبل الاختلاف، ويرحب بتعدد وجهات النظر، ويرى جازمًا أنه: لا يصلح رافدٌ واحدٌ أن ينتج كائنًا مثقفًا ثقافة حقيقية؛ كما نرى في واقعنا العربي الكنود، وكما نرى بين الإسلاميين الذين ينهل أحدهم أحيانًا من بئر وشلة، يعتقدها البحر الزخار، والسيل المدرار:

- **فكيف لإسلامي قد درس على شيخ أو شيخين، أن يتكلم كأنه الإمام مالك رحمه الله تعالى، ويظن نفسه قادرًا على الإفتاء في الدين والدنيا، والسياسة والاقتصاد، والأخلاق والقيم، والفن والأدب؟! حقًّا لا أدري كيف؛ إلا أن يكون دعيًّا أو أبله!**
- **وكيف لعلماني لم ينهل إلا من مدارس فكرية معادية أن يتحدث عن الإسلام الذي لم يقرأ عنه شيئًا؟ كيف لمن لا يحسن قراءة آية، ولا يقيم سنة، ولم يصلِّ فريضة، أن يعترض على الدين، ويرفض الثوابت، ويزعم الاجتهاد، ويعطي نفسه حق النقض والرد؟**
- **وكيف لامرأة (عايشة وخلاص) لا تفرق بين عائشة الصديقة، وعائشة بنت الشاطئ وعائشة المرطة، ثم تملأ فاها بكلام غريب عن ظلم الإسلام للمرأة، وعن إطلاق إسارها، وتحطيم التابوهات وتحريرها!**

إنها الجرأة على المنهجية، وعلى الحقيقة، والجهل بقيمة النفس وحقوقها وواجباتها!

وحقيقة أخرى ينبغي أن تقال هنا هي أنه لن يفهم الإسلام، ويذوق حلاوته إلا من عرف الجاهليات، والثقافات، والفهوم الأخرى!

وهذا من أكبر الأمراض الكبرى المستوطنة في الإسلاميين والشيوخ، فهم لا علاقة لهم – في الجملة؛ إلا ما ندر منهم، وهذا لا ينفي القاعدة – باللغات الأجنبية، ولا قراءة لهم للآداب والطروحات، والنظريات، والإشكاليات العالمية الأخرى؛ فتراهم يحكمون، ويعممون؛ دون دراية حقيقية بما يتحدثون عنه.

وربما سمع أحدهم شيئًا من شخص عامي، أو تُرجم له مقطع، فإذا به يحوله إلى رأي متكامل، ونظرية، وفقهٍ يسحبه على كل شيء، وإذا بهم يتناقلونه، ويصححونه!

ولذا تجد بينهم تعميمات غير صحيحة – بل هي مضحكة في كثير من الأحيان:

- **فالغربيون أبعد ما يكونون عن التدين، وكنائسهم تعشش فيها العناكب!**
- **وهم قد أخذوا من الإسلام كذا وكذا وكذا، ثم هم يتآمرون عليه!**
- **والبيوت هنالك مفككة، مهترئة، متهاوية، والعائلات لا وجود لها!**
- **والشوارع غير آمنة، والسرقة عيني عينك!**

- **والناس كلهم يعيشون في ترف وسرف وبطر وأشر!**
- **والغربي دائمًا لاهٍ، ليس عنده إلا السكْر، والزنا، والتفكك، والفراغ، ومعدلات الانتحار العالية!**
- **والجنس في الحدائق، وعلى قوارع الطرق، والشذوذ الجنسي قاعدة عامة!**
- **والأنانية شعار معلن قولًا وفعلًا!**

وغير ذلك من التعميمات التي يستحيل أن يبقى أي مجتمع على أساسها قويًّا نافذًا، متحكمًا في الدنيا، يبسط قوته، ونفوذه، وفكره، واقتصاده، ودينه، ورؤاه على الدنيا كلها، ودون أن يكون فيه منظومات فكرية وعلمية وبحثية ومخابراتية وعسكرية ومدنية وسياسية جبارة تمكنه من ذلك كله!

لقد شغَلنا التبسيط والتعميم والجهل بالآخرين، والاكتفاء بلومهم، أو تحقيرهم، أو سبهم، عن واقعنا وواقعهم، وشغلنا الجري وراء المثال، والبكاء على الأطلال، عن إدراك حجمنا، والتخطيط لأنفسنا، وحماية ديننا وأمننا وهويتنا وحاضرنا ومستقبل أجيالنا!

ولقد بتنا في هذا المقام بين طائفتين شديدتي الغباء:

- **طائفة المسطّحِين المعمِّمين الذين يكتفون باللوم والازدراء، ويعمون عن محاسن الغرب، ومكامن قوته، وارتفاعه (وهم دائمًا إسلاميون) ولا يستفيدون فعليًّا من محاسن ما عند أولئكم، ومن أسباب قوة حضارتهم!**
- **وطائفة المنفتحين المنبطحين (من النصارى والعلمانيين والمتغربين المنبهرين) الذين يقبلون الغرب كما هو، ويرونه الجنة والخلاص والهدف النهائي، ويعمون عن روح حكوماته العدوانية، وعقائده الاستئصالية، ومخاطره على الدين والهوية، وفساد قيمه وكثير من عوائده، ويتغافلون عن الدور غير الإنساني ولا الأخلاقي الذي تقوم به النخب الاقتصادية والسياسية والإعلامية الغربية، في التحكم في مسارات الدول، واللعب بمصائرها، وعدم المبالاة بشعوبها!**

وويل للأمة من الفريقين!

أوائل رمضان 1393 الموافقة لأواخر سبتمبر 1973

ولا بد هنا أن أروي شيئًا سينبني عليه كل ما سيأتي من أحداث في هذا الكتاب، وربما كل أحداث عمري للعقود الستة التالية، وأرجو عدم المؤاخذة!

قامت الحرب، ونحن في أول شهر في رابعة ثانوي (الشهادة الثانوية)، وجاء رمضان أيضًا في نفس التوقيت، وكنت أول أيام الدراسة في هذا العام الدراسة قد قرّ في ذهني خاطر كبير، إذ تساءلت:

لم لا أكون الأول على الثانوية هذا العام؟ وما المانع؟ وهل من يفعل ذلك خير مني؟

ولم تكن المجاميع مجنونة كهذه الأيام، فأول الأدبي في الأزهر آنذاك كان يكفيه بضع وثمانون في المائة ليكون أول أوائل مصر كلها، بسبب طبيعة الدراسة الصعبة؛ إذ كنا ندرس كل المواد التي يدرسها طلاب الثانوية العامة – باستثناء اللغة الثانية – بجانب المواد الشرعية، فكانت كمية المواد الدراسية مضاعفة، وصعبة، ومرهقة؛ مقارنة بطلاب الثانوية العامة، الذين كنا نعتبرهم محظوظين ينعمون بالعافية، والراحة من نصف المواد التي ندرسها!

لكن أنى لي أن أحقق أمنيتي وقد أدهشني رمضان عن المذاكرة من أول العام، وشغلتني حرب رمضان، كما شغلت الدنيا كلها آنذاك!

وكان لي صديق منافس – رحمه الله تعالى – كلما سألته عن أخبار المذاكرة قال بمسكنة ومكرٍ، وبلهجته الفلاحية الخالصة: ما بذاكرش خاااالص ياد يا عبسلام، أنا خايف السنا دي! وظل كذلك حتى زل لسانه قبل الامتحانات بوقت قليل – شهر ونصف على ما أذكر – وقال لي: تعبت من المذاكرة.. لقد حفظت الكتب صم!

– يا بن الـ... أتضحك علي طوال هذه الشهور؟ طيب!؟ (تكرر هذا الموقف بعد ذلك بنصه من شخص آخر في امتحان مختلف، وكرر نفس رد الفعل، وسيأتي)!

تماسكت، وأعددت خطة بسيطة، ومركزة، وبدون إرهاق – لا تزيد عن أربع ساعات مذاكرة منظمة ومكثفة كل يوم؛ ودون تسامح في دقيقة واحدة – وعلى بركة الله تعالى دخلت الامتحان..

كنت صادقًا مع نفسي، منضبطًا؛ خشية أن أضيع ما بقي من الوقت، ممتلكًا نوعًا من الثقة الباطنة بخير آت!

وكان معي توفيق الله تعالى؛ إذ فوجئت بنفسي متقدمًا على صديقي الذي حفظ الكتب رحمه الله (الأستاذ الدكتور ورئيس القسم في إحدى كليات جامعة القاهرة بعد ذلك) بثلاث وثلاثين درجة، وبأنني الأول على المحافظة كلها، وآخر الأوائل – العاشر على الدولة – في معهد ثانوي يخرِّج عامَذاك أول دفعة من طلابه!

وكانت فرحة غامرة، أهم أسبابها – بالنسبة للشباب – الصيت، وحسن الذكر، و– بالنسبة للفقراء – أنني سأحصل على منحة مجانية من الدولة: خمسة عشر جنيهًا شهريًّا (كل جنيه ينطح جنيه) كانت تعطى آنذاك فقط لفئتين: أوائل الثانوية، والحاصلين على تقدير امتياز في الامتحانات الجامعية! وكان هذا المبلغ يقترب من راتب شهري لموظف جامعي آنذاك!

ومن هذا اليوم بدأت ملامح ولادة عسرة نسبيًّا لشخص جديد، ورؤية جديدة!

المهم أنني – كنوع من الإغراب ومحاولة التميز، ونتيجة قلة الخبرة، وضعف التفكير – قررت أن أدخل القسم الإسباني بكلية اللغات والترجمة، التي كان قد سبقني إلى قسم اللغة التركية بها الصديق الأسنُّ مني آنذاك عبد الله الناظر – أ.د. عبد الله أحمد عبد الله – ظنًّا أن هذا باب كبير للمستقبل!

وأراد الله تعالى أن يهيئ لي من ينصحني بشكل عابر – كما مر في جزء سابق من هذه الذكريات – فغيرت التخصص الذي كنت أردته، والتحقت بقسم الترجمة الإنجليزية الفورية بالكلية، وحضرت بضع محاضرات، وأنا تائه بين طلاب كلهم مميز، وكنت الأزهري الوحيد – على ما أظن – الذي قُبل بهذا القسم عامذاك!

والله يفعل ما يريد:

لكنْ كان لله تعالى اختيار آخر، لم يدر ببالي، ولم أتوقعه – وله سبحانه الحمد والمنة، وله الثناء الحسن الجميل – إذ أرسلت السعودية (عبر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وكان أمينه العام آنذاك المرحوم العالم الجليل: أ.د. محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى) منحًا لخمسة طلاب، ليدرسوا الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتم اختيار الخمسة: ثلاثة من القسم العلمي، واثنين من القسم الأدبي!

وكنت أحد المختارين: لكن على أي أساس؟ بأي معيار؟ لماذا لم يختاروا الأول والثاني مثلا؟ لماذا أخذوا الثامن خير عبد الراضي (صار بعد ذلك: الدكتور خير عبد الراضي خليل) والعاشر؟

لا أعرف إلا أن هذا كان قدر الله الغالب، الذي لا يد لأحد فيه!

ولم أدر إلا وخطاب قد أتاني من المجمع، بتوقيع الشيخ الذهبي رحمه الله، بأنه تم اختياري للدراسة بمنحة مجانية بالمدينة المنورة – على ساكنها الصلاة والسلام – وأن علي مراجعة المجمع، والاستعداد للسفر!

سبحان الله: لم أفهم آنذاك سر هذا التحول الذي سيحصل في حياتي، وأنه تغيير رباني للمسار، لا دخل لي فيه، بل كان ضد هواي واختياري، وطبيعة تنشئتي!

كان أساتذتي في معهد زفتى (معهد كشك) يعتقدون جازمين أنني (بتاع لغات) وأدب وفن، ولم تخطر الدعوة والدراسة الشرعية المعمقة في ذهني ولا أذهانهم! فشجعوني للسير في هذا الاتجاه، لذا كان لدي شيء من الاستغراب والتردد، لكن العرض إذ ذاك كان مغريًا؛ بالنسبة لريفي مكافح، وفرصة لفقيرٍ لا يريد أن يكلف أباه مزيدًا من العناء!

وقبلت المنحة!

ولم تكن الأمور سلسة؛ فقد أصابها البطء في الإجراءات – بسبب الروتين العربي الغبي – وترددت على مجمع البحوث الإسلامية، وقابلت الشيخ العالم محمد حسين

الذهبي مرتين، وأشهد أنني وجدت فيه الكثير من حسن الاستقبال، ودفء الأبوة، والحنو، والرفق، علينا وعليه وعلى والدينا رحمات الله ورضوانه.

وكنوع من التغلب على الجمود، وبطء الإجراءات، قررت الانتقال لكلية الشريعة والقانون، لأهيئ نفسي وأستعد للانتقال لكلية الشريعة في المدينة، وأعرف ما سأدرس ثمّ!

وفعلا انتقلت، لأضطر للبقاء بها حتى امتحانات السنة الأولى، في نظام تدريسي غبي مرهق، وأزهرٍ زعموا تطويره فشلُّوه وجمدوه، وأساتذة متعجرفين، أو متدروشين، أو غير منصفين بأي شكل من أشكال الإنصاف:

- **أذكر أن أحدهم قالها بشكل صريح جدًّا من أول العام: لا طالب عندي يأخذ أكثر من مقبول! ووفى الظالم بكلمته، فأعطاني في مادته هذه الدرجة، وكنت كتبت على ورقتي بعد نهاية الامتحان: سأحصل على ما بين 98 و100 من 100! لأنها كانت مادة تُحفظ (مصطلح الحديث) فإما أن يكتب الطالب صوابًا أو خطأ.. وقد كتبت كل شيء آنذاك كما ينبغي!**
- **أستاذ آخر – على العكس من سابقه – قال بوضوح: اللي عايز يسقط عندي هانجَّحه رغمًا عنه، بشرط أن ترتبوا الإجابات: السؤال الأول فالأول، وأعطاني (جيد جدًّا)!**
- **ثالث يرى طالبًا ذا شعر طويل – وكان طول الشعر موضة آنذاك – فيقسم له بالله إنه لن ينجح لو جاء ثانية بهذا الشعر، حتى لو نزل جبريل، وأجاب عنه!**
- **رابع يكلفنا بكتابة بحث، ثم يرهقنا بحثًا عنه، لنسلم له بحث المادة، ويعييننا الوصول إلى سيادته شهرين كاملين، لأستسلم في النهاية، وأسلم ما كتبت لفراش، وأعطيه (مبلغًا) ليوصل البحث للباشا الدكتور، ولا أدري أفعل أم لا!**
- **وخامس مستكبر سبّاب طويل اللسان: تأخر طالب – أول محاضرة له أشهدها – فدخل بعد البيه الدكتور (الغبي المنتفش) فأخذ يسبه أمام أكثر من ألف طالب بألفاظ أقلها: حمار/ حيوان/ اطلع بره وما أشوفش وشك تاني، ويخرج الشاب كاسف البال مقهورًا مقموعًا!**

- **وسادس يبدأ محاضرته – ودون مبرر واضح – بشعر لابن أبي ربيعة: لا علاقة له بمصطلح الحديث، وشرف العلم الذي سيقدم:**

فيا ليت أني حين تدنو منيتي... شممت الذي بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله... وليت حنوطي من مشاشك والدم

وليت سليمى في المنام ضجيعتي... لدى الجنة الحمراء أو في جهنم

وهذا كلام آنذاك أشبه بالكلام الـ(بورنو) قبل إحدى وأربعين سنة من الآن، يجن له الطلاب المراهقون التائقون، فيتصايحون، ويعلقون بما يلائم الموقف ولا يلائم المكان، والبيه الدكتور التربوي يضحك فخورًا متباهيًا!

- **وسابع وثامن وعاشر لا يحسنون العرض، ولا يُفهمون العبارة، ولا يبدو على بعضهم أنه يصلي!**

ويطول العام الدراسي، ويسمج، وتطول الامتحانات: كل أسبوع مادتان، ويشتط الأساتذة الذين لا معقب لحكمهم، ولا مراجعة لتقديراتهم، ولا إنصاف في أحكامهم، فيحصل طالب واحد خامل – فقط – على جيد جدًّا (لأن خاله كان أستاذًا للقانون بالكلية آنذاك)!

كان جوًّا غريبًا بامتياز: غير علمي، وغير إنساني، وغير تربوي، وسأحكي عنه المزيد فيما بعد..

المهم أنني دخلت الامتحان فعلا، ونلت الامتياز في ثلاث موادَّ فقط هي أصول الفقه والقرآن الكريم واللغة الإنجليزية – على ما أذكر – ودرجة جيد جدًّا في مادتين أو ثلاث، ونجحت بترتيب الثالث بفضل الله تعالى، وبأقل كثيرًا مما أستحق، بسبب تسلطٍ يتغطى بالعمامة، ويتدثر بالعلم الشرعي، وأساتذة قلما يهتمون، وقلما يحضرون، وقلما يشرحون، وقلما ينصفون، ولما خبرت كثيرًا منهم فيما بعد، وحاورتهم، و(قلبتهم) وجدت أكثرهم مساكين، متشبعين بما لم يعطوا، متدثرين بثياب من المهابة الكذوب، متحصنين بقوانين جامعية اشترعوها لإخفاء قلة البضاعة، وضآلة الحجم!

الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى ومجمع البحوث:

قبل أن أتجاوز ينبغي أن أقف قليلًا أمام مجمع البحوث الإسلامية ومولانا الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى.

كان مقر المجمع في الطابق الثاني بمبنى إدارة الأزهر القريب من الجامعة، والذي ينفتح بابه على ميدان سيدنا الحسين، وعلى ناصيته الأخرى الجامع الأزهر.. صعدت إليه أول مرة متهيبًا مُجِلًّا، ثم متضجرًا متأثرًا بسبب الروتين، وكان يستقبلني رجل تبدو عليه سيما التدين، بشرني بالمنحة، وداعبني بطلب الحلاوة، ولم أره حتى انتهت الدراسة، فلما عدت إليه، قال بابتسامة تعجبت لها: أهلًا وسهلًا.. انتهيتم؟/ نعم/ حمدًا لله على السلامة، وقِّع هنا/ وقعت/ من الآن لا أعرفك ولا تُرني وجهك/ طيب: ماذا أفعل؟ وأين أذهب؟ وكيف ومتى ولم؟/ معرفكش/ ورحت عنه؛ لأبدأ سلسلة من السوء الإداري والتعاسة الروتينية القتالة! غفر الله لي وله!

المهم: استقبلني الشيخ الجليل محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى أمين المجمع آنذاك بالابتسامة الودود، والوجه البشوش، والتهنئة بالتفوق والمنحة، وتركني بعدها وزميليّ خير عبد الراضي، وفؤاد السايس (رحمه الله تعالى) للأخ سابق الذكر، ولما طال الغباء الروتيني عدت إلى الشيخ الذهبي فاستقبلني، وتعجب أن الأمر لا يزال جامدًا يراوح مكانه، فاستدعى الأخ الذي تبدو عليه سيما التدين (ص ع) وشدد عليه، وأمره أن تحسم المسألة سريعًا.

والشيخ رحمه الله تعالى (1915-1977) – لمن لم يعرفه – من الأزهريين الأصلاء، ذوي الإمكانية والاقتدار، لا من المزيفين (المهجنين) المطوَّرين الذي جدوا فيما بعد!

تخرج رحمه الله تعالى في كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام 1939، ثم حصل على العالمية – الدكتوراه – بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام 1946 من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، عن رسالته القيمة، والمعروفة: التفسير والمفسرون، التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسة في علم التفسير.

وعمل رحمه الله أستاذًا في كلية الشريعة بالأزهر، ثم أعير عام 1968 إلى جامعة الكويت، ثم عين أستاذًا في كلية أصول الدين، ثم عميدًا لها، ثم أمينًا عامًّا لمجمع البحوث الإسلامية، وفي أبريل 1975 أصبح وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر!.

ومن أبرز مؤلفاته: الوحي والقرآن الكريم/ الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم/ تفسير ابن عربي للقرآن: حقيقته وخطره/ الإسرائيليات في التفسير والحديث/ أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع/ عناية المسلمين بالسنة/ مدخل لعلوم الحديث/ الإسلام والديانات السماوية!

ولا بد هنا أن أقف أمام مساحة من التاريخ حصلت عام 77، كتبت بمداد من الدم والوجع وقلة الفقه، وعمى البصيرة، وكان الشيخ رحمه الله بطلها وضحيتها، هي حادثة اختطافه بأيدي جماعة التكفير، ثم قتله رحمه الله تعالى:

الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى وجماعة التكفير:

من المهم هنا أن نقف وقفة حول جماعة المسلمين المسماة إعلاميًّا: جماعة التكفير والهجرة، التي كان ظهورها من أعظم أسباب ظهور العنف الفكري بين طوائف من الإسلاميين، ثم العنف الرسمي الذي تمارسه الدولة منذئذٍ بشكل مجنون، والذي أخذ يتنامى ويتصاعد بشكل متطرف جدًّا، بل انتقل ليصير عنفًا عالميًّا – للأسف الشديد – ولذلك أزعم أن مثل هذه الجماعة مثل ابن آدم الأول الذي له كِفلٌ من إثم كل من يقتل نفسًا بعد ذلك، وقد كانت أس البلاء، وبداية سلسلة الشر التي حاقت بالأمة.. وسأورد حديثًا عنها في الجزء الرابع إن أحياني الله تعالى، فقد لقيت بعض منتسبيها نحو عام 1979، وحاورتهم، وسمعت مبادئ الجماعة الغبية المدونة أدناه من أفواههم، وأثرت على نفر منهم بفضل الله تعالى..

وعلى كل، فقد كان الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى أبرز من تصدى لأفكار جماعة التكفير والهجرة في حينه، عبر آرائه المعلنة في الصحف وأجهزة الإعلام، وحرّر كتيبًا يرد على أفكار هذه الجماعة، نُشر على أوسع نطاق.

ومن خلال موقعه كأمين لمجمع البحوث الإسلامية بذل مجهودات كبيرة في تفنيد ادعاءات الجماعة، التي أرسلت إليه تهديدًا بالقتل، ثم نفذت تهديدها.

اختطاف الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى:

في الثانية من صباح 3 يوليو 77، وفي منطقة حدائق حلوان الهادئة جنوبي القاهرة، وأمام منزل الدكتور الذهبي وزير الأوقاف السابق، كانت حالة من الصمت تحيط بالمكان شبه المنعزل، ثم فجأة انقلب الهدوء إلى صخب، والصمت إلى توتر؛ فقد توقفت سيارتان ونزل منهما ستة شبان مدججين بالأسلحة، يرتدي أحدهم زي شرطي برتبة رائد، واندفع خمسة منهم نحو مدخل الفيلا، بينما بقي سادسهم ليغير إطار السيارة التالف!

طرق المسلحون باب منزل الشيخ وطلبوا من ابنه أن يوقظه، مدعين أنهم من جهاز مباحث أمن الدولة. ثم اقتادوه بالقوة وخرجوا ليكتشفوا أن سائق السيارة الثانية ما يزال يغير الإطار، فاندفعوا داخل السيارة الأولى، وفروا هاربين تاركين خلفهم السائق الذي واجه ضربًا مبرحًا من جيران الشيخ، وليصبح بعد ذلك أحد المفاتيح المهمة التي حاول رجال الأمن من خلاله التوصل إلى الجناة.

أثار خبر اختطاف الشيخ الذهبي ضجة وتعاطفًا مع الشيخ الجليل الذي يكن له الجميع محبة واحترامًا، وقبل ظهر يوم الثالث من يوليو أعلنت جماعة المسلمين المعروفة إعلاميًا باسم (التكفير والهجرة) مسؤوليتها عن الحادث، وحددت مطالب عدة كي تفرج عن الشيخ، وهي: الإفراج فورًا عن أعضاء الجماعة المقبوض عليهم، وعن المحكوم عليهم في قضايا سابقة، ودفع مئتي ألف جنيه مصري فدية، وأن تعتذر الصحافة المصرية عما نشرته من إساءات في حق الجماعة، إضافة إلى نشر كتاب شكري مصطفى (الخلافة) على حلقات في الصحف اليومية.

لم تستجب وزارة الداخلية لمطالب المختطفين، وأصدرت بيانًا طالبتها فيه بالتزام الحكمة، وإطلاق سراح الشيخ الذهبي فورًا، وأنها إن فعلت ذلك فسوف تهيئ المناخ المناسب للبت في مطالبها.

تم الاتصال بالجماعة عن طريق محاميها شوكت التوني، فقالوا له إن لهم شروطًا وإلا فسوف يقتلون الشيخ الذهبي الساعة 12 ظهرًا!

هنا أفرجت وزارة الداخلية عن أحد أعضاء الجماعة ليكون واسطة بينها وبينها، فاستطاع أن يمد أجل الإنذار من الساعة 12 إلى الخامسة بعد الظهر.

ووجه محامي الجماعة نداء إلى أفراد الجماعة مطالبًا إياهم بالإفراج عن الذهبي، راجيًا منهم الاحتكام إلى العقل، وعدم ارتكاب أي مخالفة قانونية، وأكد على أن أمر المسجونين من أفراد الجماعة سيحل بالطريق القانوني المشروع!

كانت أجهزة الأمن تحاول إنقاذ الشيخ الجليل، وانتابت ضباطَ الداخلية شكوك تحيط بقاطني إحدى الشقق، في مدينة الأندلس بالهرم، فتوجهت قوة من الشرطة نحو العقار أملًا في العثور على الشيخ الذهبي محتجزًا هناك، واقتحمت الشقة، وعثروا على شخصين من أعضاء الجماعة!

لكن أثناء التفتيش حضر شخص ثالث، وما إن شاهد رجال الأمن حتى حاول ابتلاع ورقة كانت في حوزته، وتبين أنها رسالة من أمير الجماعة مكتوبة بلغة مشفرة، فأثار محتواها قلق رجال الأمن على مصير الشيخ الذهبي، فهاجموا الفيلا المفروشة التي عثروا على عقدها، في منطقة الهرم، فعثروا على ثلاث نقاط دم متجمدة في الصالة، وكانت الصدمة أن وجدوا جثمان الشيخ الذهبي على سرير في غرفة النوم، وقد فارق الحياة!

وفي السابع من يوليو شيعت جنازة الدكتور الذهبي من جامع الأزهر بمشاركة شعبية كبيرة وغاضبة، متعاطفة مع الشيخ الذي أريق دمه هدرًا، وأصدر السادات رحمه الله قرارًا بإحالة القضية والمتهمين إلى المحكمة العسكرية، فيما واصل ضباط الداخلية بحثهم عن أمير الجماعة الهارب!

ما التكفير والهجرة؟!

أنشأ جماعة المسلمين، أو ما سمي في الصحافة المصرية بالتكفير والهجرة المهندس الزراعي شكري أحمد مصطفى عبد العال بعد خروجه من السجن عام 1971، حين بدأ في تجميع بعض الأفراد حوله، من أصول إخوانية أو من شباب ملتزم حديثًا، فكانت أول محاولة تنظيمية تلاها في الظهور مباشرة عام 1974 الجماعة المعروفة باسم الفنية العسكرية!

اتجه أعضاء الجماعة نحو العمل ببعض الحرف اليدوية، بعد أن حرم عليهم شكري مصطفى العمل في المصالح الحكومية، وباع أفرادها ممتلكاتهم، خصوصًا الحلي والذهب، كي يتمكنوا من تزويد أنفسهم بالمؤن اللازمة، ووسائل الدفاع عن النفس، تطبيقًا لمفاهيمه الفكرية حول الهجرة!

ومصطلح التكفير والهجرة مجرد اسم إعلامي دأبت أجهزة الإعلام المصرية في ذلك الوقت على إطلاقه على المنظمات المثيلة، فجماعة الفنية العسكرية المنسوبة إلى صالح سرية لم يكن اسمها جماعة الفنية العسكرية، بل جماعة شباب محمد!

وقد سمت الجماعة نفسها: الجماعة المسلمة/ جماعة المسلمين: ورأت أن من والاها والى صحيح الدين، ومن خالفها خالف صحيح الدين، وكل من هو خارج الجماعة كافر، وكل من كان عضوًا في الجماعة ثم انشق عنها مرتد، يتعين قتله.

وقد قامت فكرة الهجرة على أساس الهجرة المكانية، بأن تتباعد عن مكانك بقصد إخلائه من المؤمنين، كي تحق لعنة الله على الباقين، وتعرف لدى البعض بفكرة «التخلية»، بحيث عندما يعود جيش المسلمين يجد الباطل وقد زهق، ويجد الكفار وقد هزموا، فيقيم دولة الإسلام! وطبقًا لهذه المفاهيم أمر شكري مصطفى زعيم الجماعة المسلمة في سبتمبر عام 1973 بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية، واللجوء إلى المغارات الواقعة في دائرة أبي قوس في محافظة المنيا جنوب مصر!

وقد كان التكفير العنصر الأساسي في معتقدات هذه الجماعة؛ فهم يكفرون كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها، كذلك يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، بإطلاق ومن دون تفصيل، وكذا المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم؛ أيضًا بإطلاق ومن دون تفصيل. أما العلماء فيكفرونهم لأنهم لم يكفِّروا هؤلاء ولا أولئك، ويكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله (وقد كنت أحد الذين كفروهم) أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم، ويبايع إمامهم، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين!

وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع، ولو كان إجماع الصحابة، أو بالقياس، أو بالمصلحة المرسلة، أو بالاستحسان، ونحوها، فهو في نظرهم مشرك كافر!

كذلك لا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد في القرآن الكريم فحسب.

ولا قيمة أيضًا لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد، لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث، بحسب معتقدهم، مرتدون عن الإسلام.

وقد قالوا بحجية الكتاب والسنة فحسب، لكن كغيرهم من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه؛ فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا في رده، أو رد دلالته.

ورأوا أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله تعالى، فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها، ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين!

ولم يعتبروا أقوال الصحابة وأفعالهم حجة؛ ولو كانت من الخلفاء الراشدين.

وكانت الهجرة هي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي – والمجتمعات كافة جاهلية – والعزلة المعنية مكانية وشعورية؛ إذ تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية، كما عاش الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام في الفترة المكية!

وطبقًا لأفكارهم كان يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاصلة الشعورية؛ لتقوية ولائهم للإسلام من خلال الجماعة! وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد إلى أن يكتسبوا القوة الكافية.

الأمية

ودعت الجماعة إلى الأمية لتأويلهم العجيب للحديث النبوي (نحن أمة أمية...) فوجهوا الأتباع إلى ترك الكليات، ومنع الانتساب إلى الجامعات والمعاهد، إسلامية أو غير إسلامية، لأنها مؤسسات الطاغوت، وتدخل ضمن مساجد الضرار (أعرف من كان أول الثانوية آنذاك، وأول كليته أربع سنين، ثم تركها في الخامسة؛ امتثالًا لأمر أبي سعد)!

وأطلقوا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية؛ لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام؛ فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة!

كذلك قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعة في المساجد، لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وقباء، والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها – أيضًا – إلا إذا كان الإمام منهم.

وزعموا أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد صلى الله عليه وسلم من ظهور

الإسلام على جميع الأديان، وعليه فإن دور الجماعة يبدأ بعد تدمير الأرض بمن عليها، بحرب كونية بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي، تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة كالصواريخ والطائرات وغيرها، ويعود القتال – كما كان في السابق – رجلًا لرجل بالسلاح القديم من سيوف ورماح وحراب!

وادعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها، وما أجمعت عليه سلفًا وخلفًا!

قرار من السادات بتشكيل محكمة عسكرية لقاتلى الذهبى

جماعة التكفير والهجرة قتلوه برصاصة فى عينه من مسدس كاتم للصوت

القبض على ١٣٥ من أفراد الجماعة فى حملات مكثفة على كافة أوكارها

الارهاب الأسود خطر ينبغى اقتلاعه

السادات ينعى الشيخ الذهبى عالما ورعا ومجاهدا فى سبيل الحق

من هنا .. فى كهوف الجبل الأخضر بالمنيا بدأت قصة الضلال لجماعة التكفير والهجرة

تحقيق عند كهوف ومغارات الجبل بالقرية المعزولة التى شهدت نشأة جماعة التكفير .. ومع الذين عانوا ارهابها والذين كشفوا أسرارها

● تفاصيل مذهلة وراء عمليات خطف الفتيات والتغرير بهن

● والد مساعد أمير الجماعة : أطالب باعدام ابنى ولن أتسلم جثته

شكري مصطفى

رأس الجماعة، ومنظرها، وواضع أسسها: شكري أحمد مصطفى، أو أبو سعد، ولد عام 1942 في قرية أبو خرس/ مركز أبو تيج في محافظة أسيوط، كان طالبًا في كلية الزراعة في جامعة أسيوط، معروفًا بميله لكتابة الشعر (أصدر الدكتور باسم غريب ديوانه باسم: ديوان شكري مصطفى) انضم إلى الإخوان المسلمين، وتم اعتقاله مع عدد من عناصرها وعناصر شباب القطبيين عام 1965، ولقي من التعذيب الوحشي المروع في سجن أبو زعبل ما جعله يؤمن أن معذبيه ومن يحكمهم ليسوا مسلمين، ولا يمتون إلى الإسلام بصلة.

في عام 1969 أعلن مصطفى أن اللواء حسن طلعت المسؤول آنذاك عن الأمن والمخابرات والشرطة كافر، وقال له: أنت كافر، ورئيسك كافر... لأن الذي يعذب هؤلاء الشباب بهذا الشكل لا يمكن أن يكون مسلمًا! وفي عام 1971 أفرج عنه، بعد أن حصل على بكالوريوس الزراعة، ثم بدأ التحرك في مجال تشكيل هيكل جماعته التنظيمي، لذلك تمت مبايعته أميرًا للمؤمنين، وقائدًا لجماعة المسلمين، فعين أمراء للمحافظات والمناطق، واستأجر شققًا عدة في القاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي. وفي سبتمبر (أيلول) 1973 أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية، واللجوء إلى المغارات الواقعة في دائرة أبي قرقاص في محافظة المنيا، بعد أن باعوا ممتلكاتهم، وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، تطبيقًا لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة.

هيأ شكري مصطفى لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط، وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، فعزلهم بذلك عن المجتمع، إذ أصبحوا يعتمدون على الجماعة في احتياجاتهم كافة، ومن ينحرف منهم يتعرض لعقاب بدني، وإذا ترك العضو الجماعة اعتبر مرتدًّا وتتم تصفيته، فالمجتمع خارج الجماعة كافر!

ورغم أنه كان مستبدًا في قراراته، فإن أتباعه كانوا يطيعونه طاعة عمياء؛ بمقتضى عقد البيعة الذي أخذ عليهم في بداية انتسابهم للجماعة. وكان قد تأسس فكريًّا على يد معلمه في السجن الشيخ علي عبده إسماعيل الذي اتخذ مبادئ العزلة وتكفير المجتمع منهجًا له متأثرًا بأفكار الخوارج، إلا أنه عاد وتبرأ من تلك الأفكار التي كان ينادي بها، لكن شكريًّا لم يتراجع عنها؛ بل ازداد تمسكًا بها.

في ذلك الوقت بدأت (التوسمات) المنسوبة إليه تأخذ حظها من الانتشار بين شباب الجامعات، وهو الذي أطلق على أفكاره هذا المصطلح، وبدأت عملية تجنيد واسعة جدًّا للشباب، وفي الأثناء تقرر الرد على أفكار هؤلاء، وكان أول من تصدى لهم الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى!

القبض على شكري مصطفى

في منطقة عزبة النخل الواقعة على أطراف مدينة القاهرة في الشمال الشرقي، كان رجل أمن سري (مخبر) يجلس عند محل ترزي، فرأى شخصًا ومعه سيدة منتقبة تحمل طفلًا على كتفها، ولاحظ أنها تشير إلى الملثم وتقول له: ابعد! فارتاب فيه، واتجه نحوه يسأله عن اسمه وهويته، فرفع اللثام وقال له: أنا شكري مصطفى، أنا شكري مصطفى، أنا شكري مصطفى! رددها ثلاث مرات، فتم الاتصال بأقرب نقطة شرطة من محل الترزي، وألقي القبض عليه في وضع كان يشبه عملية استسلام كامل منه، رغم ما أشيع آنذاك عن خطط واستراتيجيات باشرها الأمن للقبض عليه! ومن دون أية مقاومة تذكر من شكري، أو محاولة هرب كان يستطيعها، فلم يكن رجل الأمن السري مسلحًا، ولا يحمل جهاز اتصال، وكان موجودًا في المكان صدفة!

بعد ذلك وفي التوقيت نفسه، تم القبض على المئات من أفراد الجماعة وتقديمهم إلى المحاكمة في القضية رقم 6 لعام 1977 التي حكمت بإعدام خمسة من قيادات الجماعة، في مقدمهم شكري نفسه، وأحكام بالسجن متفاوتة على بقية أفراد الجماعة.

مختصرة عن تقرير للجزيرة بعنوان: الشيخ والأمير: قصة اغتيال الشيخ الذهبي رحمه الله.

شكري مصطفى شاعرًا:

ذكرت أن شكريًّا كان معروفًا بكتابة الشعر، وقد صدرت أعماله الشعرية بتحقيق الدكتور ياسر غريب جمعة، وفيها معارضة لقصيدة هاشم الرفاعي (رسالة في ليلة التنفيذ) في أكثر من مائة بيت، يقول مطلعها:

أبتاه لا ح الشط للربان	ودنا الأمان لقلبه الحيران
وتلألأت بين النجوم رسالة	للفجر من نور ومن تحنان
وبدت تباشير الصباح ترف لي	بشرى لحوق الركب بالركبان
يا تائهًا بين البلاد مغربًا	أبشر فساعات اللقاء دوان
دار السلام كما علمت ازينت	من يومها للشائق الولهان
لم يُبق فيه الشوق إلا ومضة	عذرية جادت بها العينان
وبقية من أدمع لم تمتهن	أبدًا ولم يشرق بها خدان

وكنت في جمعي لمعارضات قصيدة الحصري: يا ليل الصب، قد وجدت له معارضة استهلها استهلالًا غريبًا:

ليل كالفحمة أسوده	هل غير الصبح يبدده؟!
إن جاء النجم يهدهدني	فالدمع بعيني يفقده
إن جاء البدر ليؤنسني	يحتال الليل فيرقده
فأنا السهران بمفرده	يقظان اللحظ مسهده
قلبي المسكين غدا أثرًا	أفنى الدقات تنهده
قد كنت تغار لعزلته	فأتيت له تتهدده
واللحظ رمى.. سلمت له	فعلام يداك تعضده

فالكون الأحمر يشهده	والكف رمى إن تنكره
أحبيب أنت أقربه؟!	أم أنت عدو أبعده!؟
لو كنت حبيبي ما عبثت	كفاك بقلبي تفسده
أو كنت عدوي ما لمست	كفاك الجرح تضمده
أم أنت كلا الضدين معًا	من لي بشهيد أشهده
عجبًا لغزال ذي هيف	أعيا الصياد تصيده
لما خاواه وطوقه	ارتاع.. وضاع مهنده
صيد الصياد فوا عجبًا	ما أغنى السيف ولا يده
كم خضت حروبًا فارسها	قلبي والقتلى جسّده
فعذول مات تربصه	وحبيب زاد تودده
والنصر هنالك أحرزه	وطريق الحب أمهده
فيظل بوصل يرفدني	وأظل بوصل أرفده
وحديث عذب أسمعه	من فيه الحلو يردده
استسلم قلبي وارتعشت	كفاه.. ومات تجلده
وهناك جمالك يأسره	في حصن عز مشيده
يبكي فلترحم دمعته	فكذا ذا القن وسيده
أو أطلقه ما لم ترحم	يكفيه الدمع وعوده
الحق معي لكن ولعي	يعطيك الحق وأجحده
وكذاك الليل يماطلني	كم ليل لا يأتي غده

تجارب مع التكفيريين

أشرت إلى أن التكوين الثقافي المتوازن للمرء يعصمه – بعد فضل الله تعالى – من الوقوع في فخاخ التعسير على النفس والآخرين، والغلو، ومشادة الدين، وكذا فخاخ التسيب والتسطيح والجراءة والاستباحة!

وقد لاحظت سمات مشتركة في الذين قابلتهم ممن انتسبوا لهذا التيار:

فهم باحثون عن الجنة – فعلا – مكثرون من العبادة: (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم).

وهم كذلك ذوو تفانٍ وصدق مع الفكرة، يجعلهم يضحون بالغالي والرخيص، فمنهم من باع بيته، ومنهم من ترك دراسته التي كان على خطوة واحدة من نهايتها، ومنهم من اعتزل والديه وأهله ومعارفه، من أجل قناعته!

وهم قليلو العلم بالدين، قليلو المعرفة بالحياة، تسهل برمجتهم، وحشوهم بأفكار لا يستطيعون مناقشتها ومحاكمتها عقليًّا؛ بحكم الضحالة الثقافية.

وهم صِداميون، من السهل أن يرموا بالفكرة، ويسيئوا لمن أمامهم، ويسفههوه ويسخروا منه، لما يملكون من يقين لا يتزعزع!

وعندهم نوع تقليد وعناد ودكتاتورية، فلا يقبلون إلا ما ألقي إليهم، ولا يعملون إلا بما أمروا به، ولا يقيمون لغير ذلك وزنًا، ولا يرون له أهمية!

ومهما حاورتهم وأقمت عليهم الحجة، أغلقوا آذانهم، وأعرضوا؛ إلا من وفقه الله تعالى منهم، كبعض الذين فتح الله أعينهم فأبصروا وتركوا، كصاحبي الذي سيأتي ذكره!

ومع إخلاصهم، وتفانيهم، وتضحياتهم، وبسبب قلة وعيهم، فقد كانوا مصيدة سهلة للأمن، لاستثمار لطبيعتهم، التي تحول أحدهم إلى مستبد دكتاتور، لذلك سهل تشظيهم وانقسامهم فرقًا يكفر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا؛ كأهل النار: (كلما دخلت أمة لعنت أختها)!

وقد رأيت منهم تعميمات عجيبة، وأحكامًا شديدة الجفاء والخطأ:

- قال لي أحدهم، ذات مرة: كل من هو خارج هذه الغرفة كافر!
- وقال أحدهم: في معرض كلامنا عن الأئمة: هو رجل وأنا رجل، هو ابن حجر وابن زلط (اسم عائلته) وكان والله – ولا أبالغ – حاملًا للإعدادية، لا يحسن قراءة آية!
- وقال ثالث: إن الألباني طاغوت كافر! وكان بين يديه صحيح مسلم باختصار الشيخ رحمه الله تعالى، فسألته: كيف تكفره وأنت تأتمنه على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل يؤتمن الكافر عليها؟ فقال: لم أفكر في ذلك!

وكم تمنيت أن تكون الدولة أبًا حانيًا لا جلادًا قاسيًا، كما فعلوا مع عبدة الشيطان أبناء البهوات!

وليتهم استوعبوا هؤلاء وحاوروهم بشفافية، من خلال علماء حقيقيين، لا من خلال من يثق أولئكم أنهم علماء سلطويون، لا يعملون إلا لنصرة من يعتقد هؤلاء أنه مارق مريد!

وليتهم لم يواجهوهم بالعنف الذي بدأ بهؤلاء ومعهم، ثم امتد واتسع ليغطي الأمة – والدنيا كلها – بسحابة سوداء من طوارئ وعنف وإرهاب، وتغييب مقصودٍ للأمن والحرية!

وكلنا نعلم ما فعل سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنه حين ناظر أولئكم، وربح نصفهم في جلسة واحدة!

ثلاث خصال مكفرات:

ومما حصل من الغرائب أن أحد الأصدقاء القدامى من مدينتي في مصر جاءني إلى المدينة المنورة زائرًا، وبقي عندي مدة قصيرة، ثم انتقل إلى جدة، وبعد ذلك اختفى، وانقطعت عني أخباره، ولم أجد سبيلًا لأعلم عنه أي شيء، ونسيت أمره!

وبعد سنين أربع رأيته يسير في مدينتي زفتى، فناديته، ورحبت به، وفرحت بلقياه: أين أنت يا رجل؟ افتقدتك، وانقطعت أخبارك عني من سنين؟ ودعوته لبيتي!

تفرسني باندهاش، ورأى فيّ تغيرًا كبيرًا، فقد صارت هيأتي هيأة شاب ملتزم، متدين، بعد نوع إهمال وتقصير، ولله الحمد والمنة، وله الثناء الحسن الجميل!

فقال لي رحمه الله: اسمع: أنا الآن أرتضيك، وأرتضي ما أنت عليه؛ أنا من جماعة المسلمين، التي يسمونها التكفير والهجرة، وحين جئتك بالمدينة كنت مهاجرًا لله، ثم غادرتك لجدة لأنني كنت أكفرك لثلاث خصال: أنك تلبس البنطلون، وتطيل شعرك، ولأنك.....!

واندهشت من المفاجأة، وتعجبت: كنت معي هذا الوقت وتكفرني!؟

وأخذ يحكي لي عن الجماعة، ومبادئها، وفكرها، وقائدها أبي سعد (شكري مصطفى) – وكان قد أعدم – وكيف كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يقتل، لأنه سيمكَّن له، وللجماعة في الأرض، ويقضوا على الكفار (العالم كله)!

المهم دخلنا في حوارات متطاولة، وزيارات عديدة، وبعد شهرين كان قد خرج نهائيًّا من الجماعة، وعاد للجامعة، وعين فيها معيدًا، وارتقى فيها بعد الدكتوراه حتى صار رحمه الله رئيسًا لقسم الفقه والأصول.. بفضل الله تبارك وتعالى!

المدينة المنورة

الحرم النبوي الشريف

الجامعة الإسلامية

1978-1974

السفر للمدينة المنورة والصدمة:

كانت المراسلات بين مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تدور ببطء غبي، وقد مر عام دراسي كامل، وأنا معلق بين الاستقرار أو الانتقال، فحسمت أمري، ولم أبال بمراسلات المجمع، وكتبت رسالة لرئيس الجامعة الإسلامية آنذاك – الشيخ الجليل عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى – أطلب فيها حسم الموقف، وعدم إبقائي وزميلي (خير) معلقين، حتى أركز في دراستي؛ فإما نعم، وإما لا!

ويبدو أن الرسالة كانت ذات أثر؛ فلم يمر وقت، إلا وإخطار من الجامعة قد جاء بالمبادرة بالسفر، مرافقًا بتذكرة الطائرة، وخطاب للسفارة بإعطائنا تأشيرة على عجل!

وقد كان ما أراد الله، حين أراد الله، حسب أقدار الله! ووجدت نفسي سريعًا في المدينة المنورة دون تصور لشيء، لأصدم، وأصطدم بواقع أبعد من خيالي الساذج، الذي زين لي أنني سأنتقل لجامعة على أنساق زاهرة، وإمكانات باهرة!

وجدت المدينة المنورة آنذاك مكانًا بسيطًا فقيرًا تحوطه الصحراء، والجبال العالية السود الخالية من الخضرة والجمال..

كان الجو شديد الحرارة – بالنسبة لقادم من مصر – مع شائعات عن انتشار العقارب، حتى إن أحدهم قد يجدها أحيانًا تحت وسادته إذا قام من نومه، مع قلة في المرافق، وضعف في الحال، وبداوة في المكان ظاهرة!

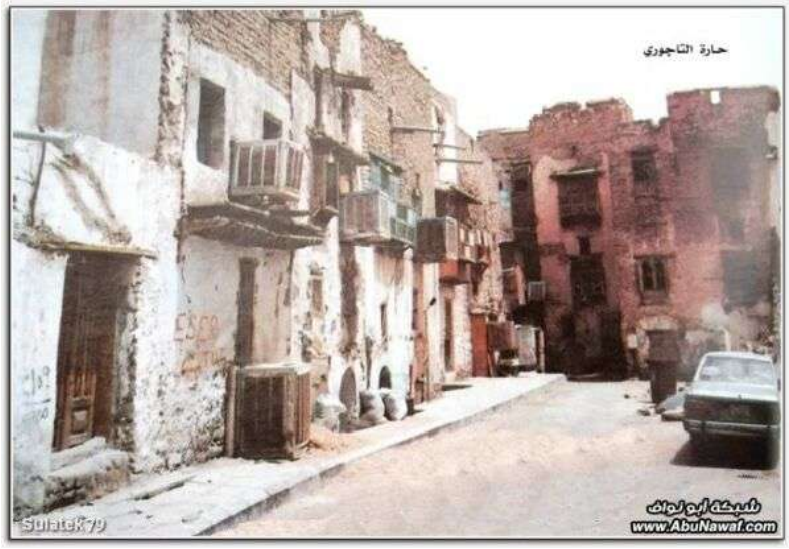

وقد تناثرت أحياء فقيرة هنا، وبيوت بسيطة هناك، عثمانية الطابع – من طابقين أو ثلاثة، وذات مشربيات قديمة – وفنادق متواضعة كثيرًا،

ولا أذكر آنئذٍ بيتًا ارتفع عن خمسة طوابق! وانتشرت مقاهٍ ومطاعم بسيطة يديرها دائمًا يمنيون، بسحنهم وأزيائهم، ولسانهم، وكنا كثيرًا إذا نزلنا للصلاة في الحرم نتناول (ربع سليقة) أو نصفًا، مع الشاي ولا بد!

وكان بطيبة الطيبة أحياء معقولة المستوى المعيشي، قريبة من الحرم الشريف، وأغلب أهلها من تجار أصولهم من أواسط آسيا، ترى ذلك في سحنهم وأسمائهم (كاشغري/ طشقندي/ طاش/ كابلي/ سندي/ بخاري... إلخ) وأخرى فقيرة بشكل ظاهر، متناثرة في أطرافها، خصوصًا الأحياء التي يسكنها غالبية من ذوي الأصول الأفريقية (التكارنة) والشناقطة، ومناطق الأطراف عند جبل أحد:

حكي لي أخي الدكتور عمر شاهين – وكان رائدًا للنشاط الطلابي أيام دراسته بالجامعة، بعد تخرجنا بنحو ثمان سنين، وهو رجل مبادر ذو همة، ولا أزكيه على الله – أنه بعد كل نشاط احتفالي يتجمع فيه الطلاب، كان يجمع ما يتبقى من الطعام – وهو كثير – ويعبئه، ويغلفه، وينقله في (وانيت) إلى حيث فقراء المدينة حوالي جبل أحد، ولما تكرر ذلك لاحظه الدكتور عبد الله بن محمد المختار الأستاذ بالجامعة (وكان زميلي أربع سنين) وقد ظن أنه يأخذه لبيته، لفقره، فانفرد به، متفقدًا حاله، ومعاتبًا إياه:

– لم لا تقول إن ظروفك صعبة؟ أراك تأخذ بقايا الطعام بعد كل لقاء؟

– أتظن أنني آخذه بيتي؟ إنه لفقراء المدينة يا شيخ؟

– وهل بالمدينة فقراء؟

– إذن فقد وجب أن تكون معي المرة القادمة!

وفعلا رافقه الدكتور عبد الله بعد ذلك، فلما اقتربا من المكان، وجدا الناس واقفين صفًّا، وبأيديهم آنيتهم – وكان قد تعودوا على شكل الوانيت، يعرفونه عن بعد – ففجع د. الشنقيطي، ولم يستطع النزول من الوانيت وظل مكانه يبكي، وهو يكرر:

هؤلاء هنا ولا أعرف، وأنت قادم من الأردن وتعلم حالهم!؟

وأقرب الأحياء للحرم آنذاك فيما أذكر، كان حي المناخة، حيث الدكاكين التي تبيع كل شيء، وسوق الجِمال، والبرسيم، ومكان إقامة الحدود (وسأتكلم عن ذلك فيما بعد) وكنت أجد المتعة للسير في دروبه الضيقة، وتأمل المحلات الضيقة و(التنْدات) التي تكاد تتلاصق من أعلى بسبب ضيق الطريق!

وكانت المساجد بسيطة، قديمة، عثمانية، كما تركوها، وكان من أعجب ما رأيت مسجد القبلتين.. فقد كان يقوم وحده وسط الصحراء لا يحيط به شيء، ولا يصلي به أحد، ولا يرتفع فيه الأذان، فتكلفنا الذهاب إليه – أنا وخير وفؤاد – مرة أو مرتين من باب الفضول، لنعرف ما بداخله، وسط الحجارة، وأشجار الصحراء، والحر الشديد، فلم نر غير فرشٍ مترب، ومكان مظلم، وعناكب متوطنة، فزهدنا بعد في الوصول إليه.

وكانت المساجد الأخرى القريبة من الحرم شبه مغلقة دائمًا: مسجد عمر، ومسجد علي، ومسجد أبي بكر رضي الله عنهم، وصلينا في مسجد الغمامة والعنبرية والسبق وغيرها، وشهدتُ الحديقة التي قامت مكان سقيفة بني ساعدة، وطريق سلطانة الذي يبدأ بثنيات الوداع، التي كان يصحب أهل المدينة المسافرين حتى يبلغوها فيودعوهم، وينتهي الطريق بقصر أمير المدينة، ومباني الجامعة.. حيث كنا نقيم، وندرس، ونقضي حياتنا كلها تقريبًا!

وكان البقيع أصغر مساحة، والشوارع أضيق وأكثر التفافًا وتعرجًا، كما كان أبعد مدىً نصل إليه خارج الحرم هو مسجد قباء الذي كنا نذهب إليه متوضئين كل سبت من مكان سكنانا، لننال ثواب عمرة، كما ورد في الحديث الشريف، و كما ذكرني الشيخ خير!

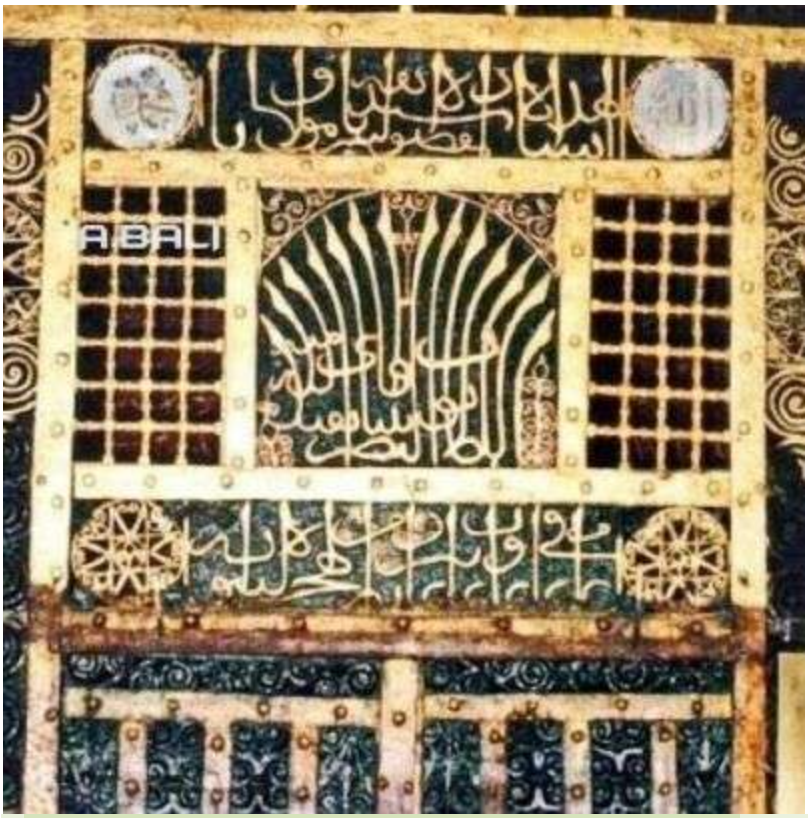

باب مقصورة قايتباي النبوية من الخلف وعليه تاريخ المقصورة 888 هـ.

وأما المسجد النبوي الشريف فكان في حدود البناء العثماني، والتوسعة الأولى للملك سعود، وكانت البيوت والمباني والفنادق البسيطة تحيط به وتكاد تلتصق به، والحواري العربية القديمة تحيطه من كل جانب، وتنتهي إليه بحكم كونه مركز المدينة، ومحور اهتمام المقيمين بها والوافدين، وكان جملة أهل المدينة والوافدين إليها يحرصون على الصلاة فيه!

دخلت الحرم النبوي الشريف بعين الفضولي الذي يتأمل، ويرى الخصوصيات، فلم يطربني ويهزني غير مكانين: المقصورة النبوية ومنطقة العمارة العثمانية، وما يحيط بها، ثم اللوحة الهائلة التي كتبها عبد الله الزهدي رحمه الله تعالى قبل نحو مائة وعشرين سنة آنذاك، وكانت شامخة باذخة مهيبة: بمهابة وجودها في الحرم، ومهابة خط جلي الثلث ملك الخطوط، وجلال ومهابة قوة الحروف وعبقرية عبد الله الزهدي رحمه الله!

وكم كنت أتسلل وأقف لأنظر إليها – بصفوفها الأربعة – على طول جدار القبلة، وامتداداتها على القباب الصغيرة حول القبة الخضراء..

ويؤسفني أن أقول إنهم دمروا جزءًا منها كبيرًا عند باب السلام وباب جبريل/ النساء، كما أساء المرممون الذين رمموا السطر السفلي (أسماء النبي صلى الله عليه وسلم) فسلبوا اللوحة الأصلية روحها، وأخرجوا مادة مشوهة غبية، كما تعمدوا طمس توقيع عبد

الله الزهدي في آخر السطر عند المقصورة النبوية، لا أدري لماذا، ولا أعرف من العبقري الذي فعل هذا أو أمر به!

ولا أحتاج فيما أظن أن أقول إن المدينة التي عرفتها قبل إحدى وأربعين سنة لم يعد شيء منها موجودًا، غير صدر الحرم – إلى حد ما – والمعالم الثابتة، كجبل أحد، والجبال المحيطة، والمساجد العثمانية الباقية على حالها..

أما مبانيها وشوارعها ومعالمها ومنازل السيرة فيها، وتنزلات الوحي، فقد تغيرت، بل امّحت، وذهبت عن طيبة مسحتها الروحانية، وبساطتها الإسلامية، وصارت فنادق للمترفين، وأبراجًا للموسرين، ومكانًا خاليًا – فيما أزعم – من الأصالة والنفحات القديمة للحرم بمفهوميه الحقيقي والمجازي..

وكم أتمنى أن تقوم الحكومة السعودية بعمل مجسم خارج حدود الحرم للمدينة القديمة بحجمها الطبيعي، ومعالمها، وتفاصيلها: يراها الزائر، ويتعرف على مواطن السيرة، ومفاهيمها وأجوائها، بعيدًا عن الأبراج، والسرف، ومحلات التيك أواي، والطعام الأمريكي، وروح التجارة، وسعار البزنس، والاستغلال الذي يسود!

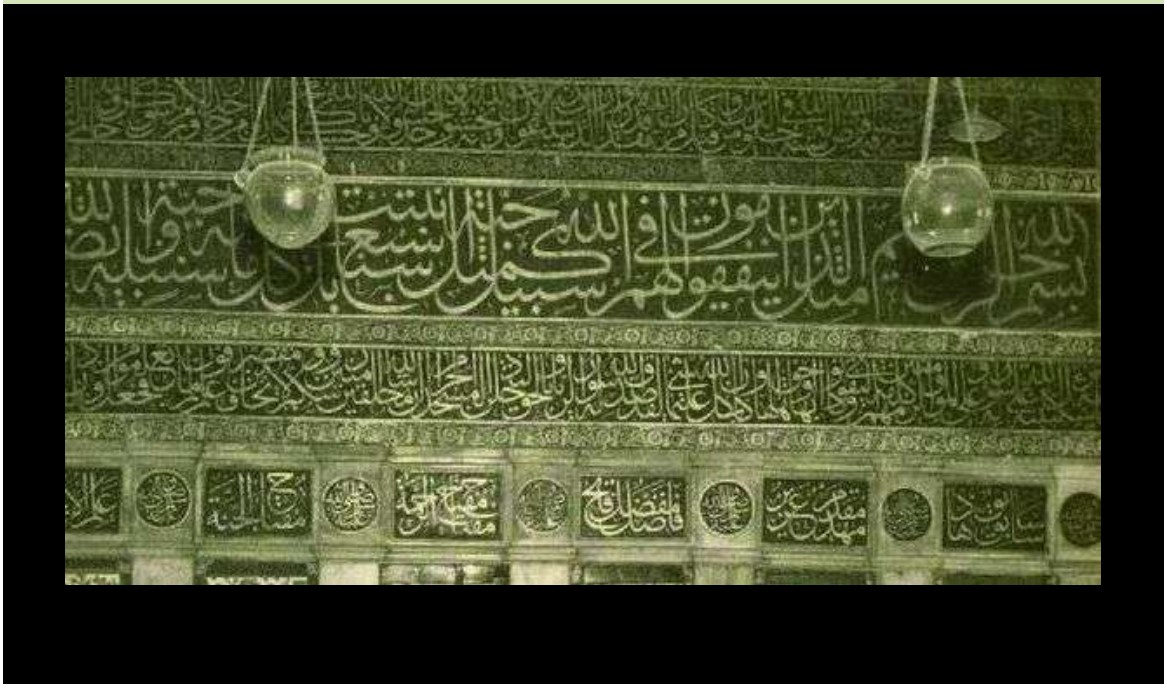

في المسجد النبوي الشريف

أطول لوحة في العالم بخط الثلث

ملايين يزورون البيت الحرام في مكة، والحرم النبوي الشريف في المدينة، ويخرجون دون أن يستفيدوا كثيرًا؛ رغم أنهم يمكن أن يعودوا – بجانب الثواب العظيم – بفوائد جمة: فنية، ومعمارية، وتاريخية، وجغرافية، فهم لا يفتحون عيونهم ليروا الإبداعات المنوعة داخل الحرمين الشريفين، ومنها أطول لوحة في العالم على الإطلاق، بخط جلي

الثلث، وبإبداع الخطاط البارع عبد الله الزهدي رحمه الله تعالى، والتي يعز من يكتب مثلها بعده!

وما خلفه الزهدي أفندي في الحرم الشريف – في صدر الحرم والقباب – يشكل بمجموعه أطول عمل على الإطلاق بهذا الإبداع الذي لا يكتبه إلا أستاذ بلغ المنتهى في فنه؛ إذ يبلغ كيلومترين كاملين، أو ألفي متر من الخطوط الفريدة، جلها محفور على الرخام، وبعضها مكتوب بالفرشاة بلون ذهبي! وما كتب بارزًا محفورًا سيبقى تحفة لا يمحوها القِدم؛ وإن كان المرممون قد أفسدوا مساحات، ودمروا مساحات، وطمسوا أمتارًا، كما أشرت قبل، تمامًا كما دمروا إبداعات تاريخية من مئات السنين كانت على الأعمدة في الحرم المكي الشريف؛ ليمرروا سلك كهرباء، أو ليمدوا خشبة! يا الله!

الغريب أن الزهدي حين اختير لكتابة هذا العمل البديع لم يكن الخطاط الأشهر آنذاك، ولا الأكبر سنًّا، بل كان خطاطًا شابًّا مغمورًا، سمع عن استنفار السلطان عبد المجيد للخطاطين الكبار – في مسابقة – ليكتبوا حوائط الحرم، فاشترك آملًا أن يزاحم بكتفه الكبار ويفوز، وكان الحكَم هو السلطان نفسه، الذي كان خطاطًا مجازًا وابن خطاط مجاز، فشد نظرَه عملُ الزهدي فاختاره، وأصر عليه؛ رغم تذمر (عواجيز) الخطاطين، الذين عزّ عليهم أن يبزهم هذا الشاب! وانطلق الزهدي للمدينة المنورة – مع فريق من المساعدين – ليبدأ مهمة دامت اثنتي عشرة سنة، ليترك بعدها بصمة لا يمحوها الزمن! وذلك سنة 1277 هـ. أي قبل نحو 160 سنة..

ومما كنت أتندر به أيام وجودي بالمدينة أن المشايخ جزاهم الله خيرًا كانوا يذمون بردة البوصيري، ويرون فيها أبياتًا شركية لا يجوز النطق بها، ولم ينتبهوا إلى أن القصيدة كانت مكتوبة في قباب المسجد النبوي فوق رؤوسهم، كما أن على المقصورة النبوية أبياتًا مخلة بالاعتقاد إلى أيامنا هذه، يزعمون أن السلطان عبد المجيد – الذي نسب إليه الباب المجيدي على ما أظن – هو كاتبها! وكنت أندهش من الغفلة وغياب الفطنة!

هذه الفقرة من كتابي عن عبد الله الزهدي رحمه الله تعالى

اللوحة الرئيسية على واجهة المسجد النبوي الشريف

السنة النبوية
مباشر
13:27

السنة النبوية
Live
14:55

www.mobdar.net

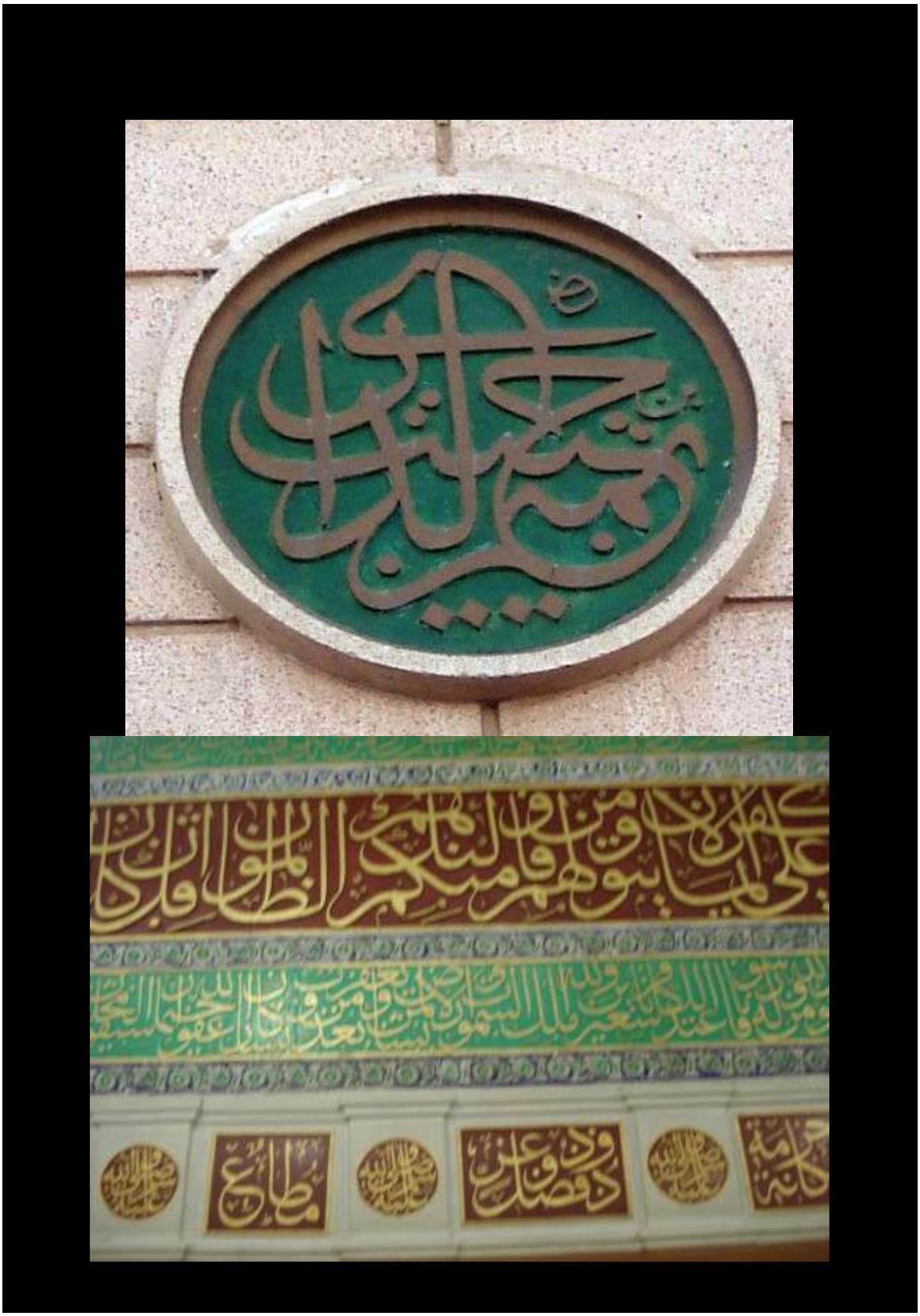

الأيام الأولى في المدينة المنورة

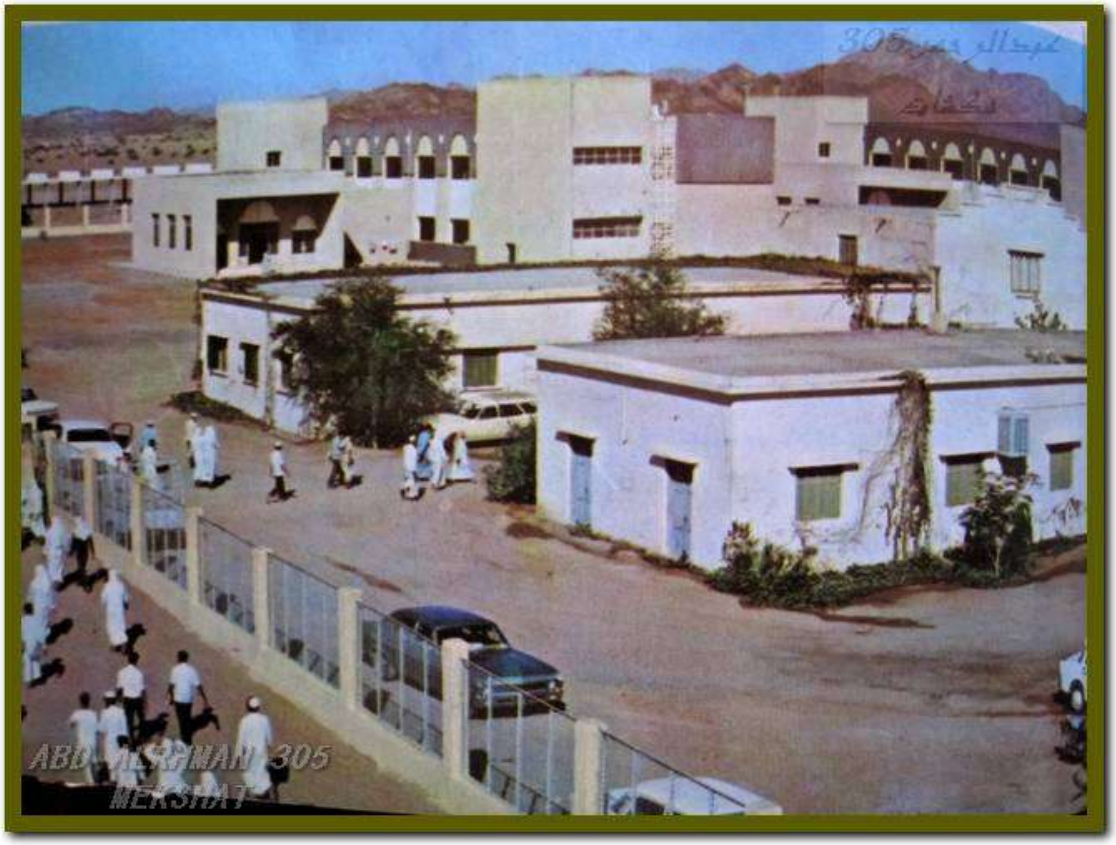

هكذا كانت حين دخلتها أول مرة، وتبدو المخازن في مقدمة الصورة

دخلت المدينة المنورة، وركبت إلى الجامعة مباشرة، لأجد مكانًا وسط الصحراء – بالمعنى الحرفي – في جملة مبانٍ متناثرة، تشمل الإدارة والمسجد والمكتبة والمعهد الإعدادي الثانوي التابع للجامعة، ودار الحديث المدنية (كانت بالمدينة نفسها لا بالجامعة) والكليات التي تباعد بعضها عن بعض: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، والدعوة والدراسات الإسلامية، والقرآن الكريم، ثم افتتحت بها كلية اللغة العربية بعد وصولي بعام واحد، ثم كلية الحديث بعد وصولي بعامين؛ بجانب بعض الأقسام الخدمية، ومنها قسم الإشراف الاجتماعي، أول مكان دخلت إليه، والقسم الطبي، وقسم المخازن!

وجهني دليلي أول ما وجهني لقسم الإشراف الاجتماعي، وكان يرأسه رجل مصري طوال، جهير الصوت، طيب النفس، هو الأستاذ محمود صبري، وحين ولجت وجدت

طالبًا مصريًّا في الجامعة في السنة الثالثة، اسمه محمد الشناف، من تل حوين بالشرقية، وفقه الله تعالى لكلمة لا تزال عالقة بذهني لليوم: (الذي يأتي به الله سبحانه للمدينة أحد اثنين: فإما أن الله تعالى راضٍ عنه، وإما ساخط عليه، ولن تلبث المدينة أن تلفظه، فانظر لنفسك)!

ولم أفهم الكلمة بالطبع إلا بعد أن عرفت أكثر، فجزاه الله عما قال خير الجزاء!

استقبلني بعدها الأستاذ رئيس الإشراف الاجتماعي، ووجهني للمخازن لأستلم أشيائي: خزانة معدنية، ومكتبًا، ومكتبة صغيرة، وكرسيًّا، وسريرًا، بمرتبته وغطائه ومخدته!

ثم ما لبثت أن أحسست بالصدمة؛ إذ أعطوني صفًّا من المجلدات والكتب يزيد عن المتر ارتفاعًا! وتساءلت باندهاش وإحباط: كيف أذاكر هذا كله، وقد بقي على الامتحان شهران ونصف شهر فقط (كنت قد وصلت في مارس قرب انتهاء العام الدراسي)!

ونظرت من هذه المجلدات: فتح القدير في التفسير، وبداية المجتهد في الفقه المقارن، وتدريب الراوي في مصطلح الحديث، وسبل السلام في فقه السنة، وتهذيب التهذيب في علم الرجال، وكتابان لطيفا الحجم في التخريج والأسانيد، وتيسير العزيز الحميد، وشرح الطحاوية، والحموية – ثلاثتها في التوحيد والعقيدة – وابن عقيل مفصلًا بشرح محيي الدين في النحو، وكتبًا أخرى كلها جديد علي آنذاك، في الأدب العربي، والفرق والمذاهب، والتاريخ، والواقع المعاصر، واللغة الإنجليزية، وبعضها من خمسة مجلدات، وثلاثة، واثنين!

كان الموضوع صادمًا؛ فما هذا عهدي بالأزهر الشريف، وكتبه كلها مملة الطباعة والمحتوى، أو مجرد مذكرات رخيصة في شكلها ومضمونها، وقبل نهاية العام يحذف الجهابذة معظمها تخفيفًا عن الطلبة، فكيف ألم بهذا التل، في مدة كهذه!

عندها قيل لي إنها كتب السنين الأربع، نستلمها مرة واحدة عند وصولنا! فسري عني وتنهدت ارتياحًا، وحمدت الله أنني لن أمنى بهزيمة فاضحة فادحة ما دامت هذه الكتب موزعة على سنين أربع!

كلية الشريعة، والمطعم يسارًا، وعمارة سكنى الطلاب في خلفية الصورة (المهجع) حيث كنت أقيم

دخلت (المهجع) أحد ثلاث عمارات بالمكان؛ حيث يقيم الطلاب الداخليون، لأجد غرفة – ككل غرف الطلاب – كبيرة، تسع ستة مكاتب، وستة أسرّة، وست خزائن، في مساحات مقبولة، وكانت – لسوء حظنا – غير مكيفة، فاحتملنا حرارة المدينة الحارقة أربع سنين كاملة؛ ما جعل بحياتنا بعض الخشونة والعناء الذي أراد الله به لنا – فيما أرجو – خيرًا وأجرًا!

وكان الطلاب من بلاد شتى، فالجامعة فعلًا كانت عالمية، تركتها وبها طلاب من مائة جنسية، وكان معي – أنا المصري – بالغرفة خمسة: عبد الوهاب عبد الغفور الإندونيسي، وعبد الرفيع أوييؤمي أوماتوشو النيجيري، وزهير شفيق الكبي اللبناني، ومحمد امحمد المهدي السطي المغربي، و.... السريلانكي، وتخيل حين تقيم وتتفاعل وتأكل وتشرب وتقوم وتنام وسط هذه التشكيلة، التي كنت محظوظًا بها، فقد كانوا مجموعة من الطلاب الهادئين المستقيمين المؤدبين، وأظنني كنت أكثرهم (غلاسة وعفرتة)، مع الاحتفاظ لزهير بطلاقة الوجه، ولطف المعشر، وعشق الرياضة، وقربني إليه أكثر حبه للخط العربي، ومعرفته بخطاط لبناني كبير استهواني خطه (د. أحمد اللدن) وليس من موضوعنا الآن!

منتصف الغرفة ووراءنا باب البلكونة، والحواجز بيننا ملايات السرير، من اليمين: الزميل السريلانكي، فالمغربي البخاري محمد (ليس من أهل الغرفة)، فالمغربي عبد اللطيف الريسوني، فالواقف اللبناني زهير الكبي، فالزفتاوي، ونفتقد هنا الإندونيسي عبد الوهاب عبد الغفور، والنيجيري عبد الرفيع أوماتوشو.

القهوة في مكتب الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى

كان لا بد أن أدخل مكتب رئيس الجامعة آنذاك: الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، لا أذكر لماذا، فلما ذهبت أجلسوني، وأتى أحدهم بشيء في قعر فنجان صغير، استغربت شكله، ولم أفهم ما هو، فما كان شيئًا مما عهدته يُشرب أو يقدم لضيف، شممته فأنكرت ريحه (كان قهوة عربية، ولم تكن معروفة لنا نحن المصريين آنذاك) هل يؤكل؟ هل يشرب؟ هل يشم؟ هل.. هل...؟ وحرت ماذا أفعل به – وأنا معقَّد، لا أُدخل جوفي إلا ما أعرف – ولم يكن أمامي خيار إلا أن (أدلق) ما في الفنجان ورائي، خلف الكرسي الذي أجلس عليه، والشيخ رحمه الله لا يراني، فلما جاء الرجل ليكرر الصب، رجوته باستماتة ألا يفعل.

ومنذئذٍ حيل بيني وبين هذه القهوة، لا أشربها، ولا أحبها، رغم أنني لم أزل في الجزيرة العربية من يومها، وجلست في مجالس كبراء الكبراء وعامة العامة من أهل الخليج، ولم أذقها، وأظن أنني لن أفعل، رغم أن أبنائي يعشقونها!

كان هذا اللقاء القريب الأول مع الشيخ رحمه الله تعالى، ثم كان يأتي للجامعة بين الحين والحين، فيصلي بنا في المسجد، وربما ألقى كلمة وراح.. ثم لم ألقه رحمه الله تعالى بهذا القرب والحميمية طوال وجودي في الجامعة إلا عند التخرج، حين كان يسلم الطلاب الحاصلين على امتياز شهادة التخرج، ويهمس في أذن كل منهم بوصية غير قصيرة، يوصيه فيها بتقوى الله تعالى، وبالعمل بما علم، بكثير من الحنو والصدق المناصحة.. عليه رحمات الله ورضوانه!

والعميد يداعبني!

ثم كان لا بد أن أدخل مكتب الشيخ عميد كلية الشريعة (فضيلة الشيخ محمد ابن صالح المرشد) فسلمت، ليستقبلني رجل باسم وديع هادئ، فأجلسني، وصب لي بيده كأسًا من الشاي (كنت أول مرة أرى الأكواب الصغيرة المنتشرة في الجزيرة العربية، وهي صغيرة جدًّا مقارنة بالأكواب (Triple XL) التي كنا نشرب الشاي فيها – ومد الشيخ يده

فأردت أخذها فسحب يده وابتسم، فاندهشت، ومدها ثانية فمددت يدي، فسحب كأس الشاي ثانية، فزادت دهشتي: هل يلاعبني الشيخ؟ إيه ده!؟

ثم انتبهت ومددت يدي اليمنى، فابتسم وأعطانيها بعد ذلك مرحبًا، جزاه الله خيرًا على رفقه، وحسن تأتيه!

والزملاء يحتفلون:

وجدت نفسي وحيدًا عصر يوم وصولي، في مكان أجهل فيها كل أحد، وأتعجب من الاختلافات الحادة في الألوان والأشكال والأجناس، ويزعجني الحر الخانق، وأحس كأني فأر قريب من موقد نار، ولا فرار!

وكان بعض الطلاب قد أنزلوا أسرَّتهم من السكن، وجعلوها في الخلاء، فنزلت أسير بينهم، أتأمل، وأفكر، حتى لحظني مجموعة من الطلاب الأفغان، أذكر منهم زمرك عصمتي (سمعت أنه كان وزيرًا في أفغانستان بعد ذلك) ومحمد نعيم مسعود، وحبيب الرحمن (رحم الله الجميع)!

قام زمرك – ذكره الله برحماته – ورحب بي، وقال بعربيته الملحونة: أنت جديد؟ تعال تفضل، وقربوا لي طعامًا، فاعتذرت بسبب دائي المزمن: أنني لا آكل إلا ما أعرف، فعرض علي الشاي فوافقت بلهفة، فقد كنت (خرمان) وأنا متعود أن أشرب الشاي (الحبر) كما يقولون!

أهَّل الرجل وسهَّل، وصب لي شايًا ظننته غُسالة البراد، فقد كان خفيفًا يميل للخضرة! فانزعجت، واعتذرت عن شربه، فقال هذا شاي أخضر – ولم نكن نسمع عمرنا أن هناك ألوانًا للشاي، كما علمنا فيما بعد – فقلت له: معذرة لا أعرف إلا الأحمر! فقال: بسيطة: وأتى بشاي أحمر صنعه لي، فقلت: آسف لا أشربه إلا كالحبر – ويا لصبر الرجل وحلمه وكرمه – فقال بسيطة: وملأ لي نصف البراد شايًّا وغلاه، حتى صار خلاصة الشاي Tea essence فلم أطق شربه، الخلاصة، أني خاب ظني، وخيبت ظنهم، لكن ربحت هؤلاء الرجال الحقيقيين المباركين، الذين كان لي معهم – بعد – ود طويل!

بداية المسيرة الدراسية:

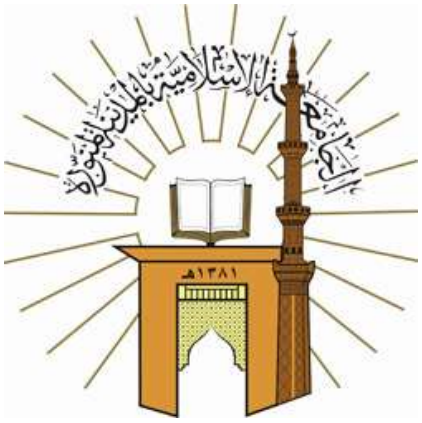

وبدأتُ العام الدراسي في وسط استغربت تنوعه، وطبيعة فكره، ولم أبتلعه أول الأمر، وبقيت شبه معرض أو رافض.. وكان أن دخلت الصف متأخرًا لأجلس أواخر الطلاب تقريبًا.. ثم لأتفاعل ببطء..

رغم تهيُّبي وإحساسي بالغربة كنت معتدًّا بنفسي، واثقًا من بضاعتي، بحكم النشأة والتأصيل الأزهري الذي رزقني غرورًا غبيًّا، وأراد الله تعالى أن يؤدبني في أوائل جلوسي: كان الشيخ محمد أبو طالب شاهين قد طلب أن نكتب شيئًا عن الصداقة، وأشار إلى أن علينا أن نحذَر أصدقاءنا، وما إن بدأ يقرأ ما كتبته، حتى سأل بصوت ساخرٍ عالٍ: فين فلان؟

- أنا يا أستاذي!
- مش عارف خبر كان؟ ما حكم خبر كان؟
- باستغراب وانزعاج: منصوب يا أستاذ؛ خيرًا!
- إذن فكيف تكتبه مرفوعًا؟

أحسست بصفعة شديدة على وجهي أمام الطلاب جميعًا، في أول ساعة من دخولي المكان! يا إلهي! أنا أخطئ في هذا؟ في خبر كان؟ يا للفضيحة! منتهى الحرج والإساءة!

الغريب أن الأستاذ قرأ الموضوع كله، ووجدني أفند مقولته، وأثبت بطلانها من أساسها، وأدلل أن عكسها هو الأصوب، وهو المتفق مع الدين والمروءة، فسُر بطرحي، وكتب في آخره ثناءً طويلًا عريضًا على الأسلوب، وحسن العرض والاستدلال!

فقلت في نفسي: سامحك الله: بعد إيه؟! تشتمني في زفّة، وتصالحني في عطفة!

لكنه كان درسًا مهمًّا – رغم قساوته آنئذٍ – لشاب متسرع!

ثم بدأت أستمع للمشايخ بطريقة لم أعتدها هناااك – حيث كنا قبلُ – ندرس الفقه والحديث والتفسير والتوحيد، كما ندرس التاريخ والجغرافيا واللغة الإنجليزية: مجرد

مفاهيم معلَّبة، بلا أثرٍ فاعلٍ في القلب، ولا تهذيب للنفس، ولا زيادة في الإيمان، بينما وجدت هنا أمرًا مختلفًا: فقد كانت الدراسة تبدأ باكرًا أول النهار، وتنتهي تمامًا عند صلاة الظهر، ليؤمنا في الصلاة أحد العلماء، وكان غالبًا الشيخ الجليل أبا بكر جابر الجزائري، ذا الراء اللثغاء، والطريقة الخطابية الاستعراضية في الشرح، والذي درّسنا التفسير في السنة الأولى، والعقيدة في السنة الثانية رحمه الله تعالى.

وكان الأساتذة (الذين يفخرون بلقب شيخ أكثر مما يتنادون بلقب دكتور) يغمسون شروحهم بنقيعٍ من الترقيق، والذكر، والاستدلال الدائم على كل شيء!

وفي العام الأول: درَّسنا الشيخ عبد الله الغنيمان، والشيخ أبو بكر الجزائري، والدكتور محمود ميرة، والدكتور محمود الطحان، والدكتور محمود العكازي، والدكتور (المثير للجدل بعد ذلك) محمد أمان الجامي، والشيخ محمد أبو طالب، والشيخ عبد الرحيم جمعة الشريف، والشيخ سعد ندا، وآخرون ممن نسيتهم؛ جمعني الله بهم في فردوسه الأعلى!

ثم في السنين التالية درسنا عدد من العلماء الكرام، منهم العلامة الشيخ محمد المختار الشنقيطى الكبير (الذي حول حياتي بالكامل – دون أن يعلم – وصاحب الفضل الكبير علي بعد الله تبارك وتعالى) والشيخ الجليل الدكتور عبد المحسن العباد (نائب رئيس الجامعة) والشيخ الدكتور محمد بن حمود الوائلي، عميد الكلية بعد المرشد، والشيخ الدكتور محمد الشال، والشيخ الدكتور عبد القادر شيبة الحمد، والدكتور علي محمد جريشة، والشيخ عبد الغفار حسن، والشيخ الدكتور عبد العظيم الشناوي، والشيخ الدكتور محمد محمد خليفة (مؤلف كتبنا في الأدب في المرحلة الثانوية الأزهرية) والدكتور محمود شيخون، والدكتور محمد نغش، والشيخ عبد الرؤوف اللبدي، والشيخ الدكتور سيد محمد الحكيم، والشيخ الدكتور رمضان أبو العز، والشيخ الدكتور عبد الحميد ربيع، وغيرهم ممن أسقطتهم الذاكرة، وسامحوني فقد مر أكثر من ثمان وثلاثين سنة!

كنت قد جئت من كلية يصعب فيها الكلام إلى البيه الدكتور، فضلا عن لقائه كفاحًا، فضلا عن مراجعته؛ مع سلطة له مطلقة، واعتدادٍ بالنفس شديد، وسطوة تحول بينه وبين البركة والإفادة.

ثم وجدت الأساتذة هنا في المتناول، نكلمهم، ونستفهمهم، ويتواضعون للطلاب، ويظهر عليهم التدين شكلًا وموضوعًا!

ما هؤلاء الناس العجيبون؟ أستاذ دكتور، وقريب بهذه الطريقة؟ لا.. هناك شيء خطأ فيهم؟ الأستاذ لازم يكون مغرور/ فووووق فوق/ صعب/ منشِّي!

أنسيت كيف بحثت عن الأستاذ السمين الجسم والعقل، شهرين كاملين لأسلمه بحث مادة الفقه المقارن، ولم أجده، ولم أسلمه بحثي!

ما نسيت، ووالله ما كنت رأيته، ولا أعرف شكله – تصور! – وكان من حظه الأسود أنني حين جئت للجامعة وجدته بها، واستمعت إليه، لأجده (فضيحة علمية) فلم يكن (ضخامتُه) يحسن عرض مادته المتواضعة، ولا يستطيع امتلاك قلوب الطلاب، مع لغة هالكة، من شخص لُحَنة لا يحسن صياغة جملة صحيحة، حتى استخف به الطلاب، وكان هو الوحيد الذي رأيته طيلة دراستي هنالك، لا يحترم الطلاب (المنضبطون جدًّا) محاضرته، فيتركونه ويخرجون!

يا خبر؟ أهذا أنت الذي أركضتني خلفك شهرين؟ يخرب بيتك!

ثم الشيخ رئيس الجامعة، وما أدراك ما هو!؟

كيف يلقانا ببساطة هكذا؟ لا أنسى حين سافرنا للحج في موسم 1396 مع عدد من الأساتذة، ورأيت الشيخ عبد المحسن شفاه الله رئيس الجامعة – بجلالة قدره – قد نزل من الباص (لم يركب طائرة للمدينة كالكبار، بل رافق الطلاب) واستلان قطعة رملية وطيئة مَهيدة، ففرش (مشلحه) عليها، ووضع حذاءه تحت رأسه ونام، وعهدي بمن هم دونه بكثير، من (البلالين) أننا لا نستطيع الوصول إليهم، بل والله لا نعرف أشكالهم! معقول؟ رئيس الجامعة!؟

الكبائر الثلاث في الجامعة!

كان شرب الدخان (التتن) وحلق اللحية والتخلف عن الجماعة هي الثلاث الموبقات التي لا تغتفر، ولا يحق للمبتلى بإحداها البقاء في الجامعة، بأي حال من الأحوال!

كان هذا موقفهم، وكان رأيي غبيًّا رافضًا:

السيجارة؟! كيف هذا، وأنا شخصيًّا جئت من حيث أساتذة الشريعة يدخنون عيانًا في قلب كلية الشريعة، وكان وزير الأوقاف نفسه يدخن، و.....؟! كيف يكون حرامًا؟ هؤلاء الناس لا يعقلون يا عمِّي!؟

كانوا هنا على حق في التحريم، وكانوا على خطأ في الوسيلة!

أما في الأسلوب والوسيلة فلقد بلغت محاربتهم للسيجارة مبلغًا يصل لحد الهوس، لم يفكروا معه أن مثَلهم كمثل من يصر على كسب عشرة ريالات وهو سيخسر عشرة ملايين: يخسر طلابًا مهتدين، أحبوا الإسلام، وجاؤوا للمدينة آوين، إلى الله تعالى مجاورين، للعلم طالبين، ويحتاجون نوعًا من التدرج، والملاينة، والمداراة؛ حتى يتمكن الإسلام من قلوبهم، والمعرفة من نفوسهم!

أذكر أن زميلًا من كوريا الجنوبية حسن الاعتقاد، متحمسًا للإسلام، ذكر أباه أمامي ذات مرة، فقلت له: رحمه الله، فقال: ماذا تقول؟ لقد مات نصرانيًّا؟ فأدهشني..

سامي، أو: مين يول تشو هذا، كان معه ماجستير في السياسة، وترك وظيفة دبلوماسية مهمة مرموقة، وأتى للمدينة ليحسن إسلامه ويتعلم، فطاردوه من أجل السيجارة، بشكل جعله ينكسر، ويهرب!

قال لي ذات مرة بأسى: أتدري؟ لقد فطمني أهلي على الخمر، وأشربها من صغري، وهؤلاء يحاربونني على السيجارة! كيف يفكر هؤلاء؟!

ولم يبق بعدها أسبوعين ورحل! ولا أدري أين هو: هل لا يزال مسلمًا؟ هل ارتد لا قدر الله؟ أسأل الله تعالى أن يردنا إليه ردًّا جميلا!

وأعرف على أقل تقدير أربعة أسماء لطلاب تركوا الجامعة: المصريْن عادل أنيس أبو الإسعاد، وأحمد سليمان، والكوري سامي مين يول تشو، واللبناني محيي الدين حبيب الدايخ، وغيرهم بالتأكيد كثير!

وليت عينًا ثاقبة، ويدًا حانية التقطتهم آنذاك، واستوعبتهم، واستنخت هممهم ليكونوا للإسلام جندًا، وللعقيدة رجالًا!

أو يا ترى نفتهم المدينة عنها، لا قدر الله؟!

الله أعلم بأقداره، وهو الرحمن الرحيم تبارك وتعالى!

واللحية؟ ما بال اللحية؟! كيف تكون مهمة لهذه الدرجة، ولم يكن بكليتي السابقة – كلية النخبة لدراسة الشريعة والقانون – كلها؛ أساتذة وطلابًا – غير اثنين ملتحيين: العميد الدكتور م ش ع، وطالبٍ طلق الوجه، جميل الأخلاق، اسمه (إبراهيم الحسيني) كان ترتيبه الثاني على الجمهورية عامذاك، لا أنسى وجهه ولا لطفه، وكان بين الطلاب مميزًا طريفًا!

كان حلق اللحية إحدى الكُبر، وكان هذا الشاب الغبي عنيدًا، طيعًا بين يدي شيطانه، فيحلقها جهرة، حتى يراه الطلاب الجواسيس، ويبلغوا عنه! وظل كذلك حتى هداه الله تعالى، وتسنن، وتغيرت حاله بفضل الله تعالى، ثم بركة الشيخ العلامة المبارك الشنقيطي رحمات الله عليه!

وإذا انتكست الفطرة، وساءت المِلكة، استهجنت النصح، وأبت واستكبرت، وكانت مثل إبليس عليه لعائن الله تعالى!

وأما صلاة الجماعة – وربما أصل الصلاة ذاتها – فلا تحدثني عنها أرجوك؛ فلذلك حديث آخر، كان الفتى يصلي، بحكم النشأة، وهداية الله تعالى، ثم بركة الوالدين! وكان مسجد الكلية التي كان فيها قبل أن يأتي المدينة يقل عن حجم غرفته بالجامعة الإسلامية، وربما امتلأ بالطلاب في الجماعة الأولى!

ومن الطرائف التي تكتب هنا أن الجامعة اختارت طلابًا من جنسيتين معينتين، ليكونوا جواسيس على الطلاب المدخنين، وأعطت كلا منهم مبلغًا كبيرًا كل شهر – 1000 ريال بمقاييس هذا الزمان شيء كثير على طالب – فكانوا يتشممون ويتلصصون ويتتبعون، وكنا نحقرهم ونكره سحنهم آنذاك، كما كانوا يكرهون سحننا، ويحقروننا!

المهم هنا أن أمرهم بلغ الشيخ الشنقيطي العظيم رحمه الله فثار، وغضب غضبًا شديدًا، إذ كيف تقيم الجامعة جواسيس على الطلاب، وقال بوضوح شديد: أنا متأكد أن منكم جواسيس هنا، روحوا قولوا للملك.. قولوا لرئيس الجامعة، إن الشنقيطي يقول إن هذا حرام شرعًا.. لا يجوز أن نقر هذا الأمر الفاحش العظيم في الجامعة الإسلامية..

كنت وحدي – كما مر – وقد تأخر صاحباي، وجاءا بعدي، فبدأت – مضطرًّا – ألتمس طريقي داخل الجمعة، لتحصل جملة مواقف طريفة أحيانًا ومزعجة أخرى!

مع الحبيب وليد مساعدة في بلكونة الغرفة (أ.د. وليد مساعدة الآن)

المعاناة

لم يعجبني وزميلي (خير) الحال، لعوامل عجيبة كلها خطأ منا، لكنها المراهقة العقلية، والتصور القاصر، وعدم تقدير ما أُنعم به علينا، بسبب مفاهيم مغلوطة موروثة:

- جو الحر والتقييد والتدخل والتزام طقوس في المظهر، والإحساس الشديد بالغربة، وعدم التآلف مع المكان؛ فلم يكن في وعي الناس آنئذٍ أن يوعُّوا القادمين الجدد، ويعرفوهم بالمكان والمدينة، ويخففوا عنهم الإحساس بالاغتراب، ذلك الذي لازمني حتى وصل صاحبي خير عبد الراضي بعد بأيام، فأزاح عني هم الوحدة، وحدث نوع من الانفراج، والعودة للعفرتة والمرح و(شغل الشباب)..

وبمناسبة (شغل الشباب) هذه الأيام أذكر أنني وخيرًا حملنا سريرينا كالآخرين، ووضعناهما في الخلاء هربًا من الحر، وكان الخوف من العقارب مسيطرًا علينا، فوضعت بجانبه صورة لعقرب قد رفعت ذناباها، وجلست أكلمه لأشغله، ثم التفتُّ كالمذعور، فالتفت لينظر ما سبب ذعري، وقفز هاربًا صارخًا، وأخذت أنا أضحك! ولم أر عقربًا بعد إلا مرة في السنة الرابعة، وأنا أذاكر ليلًا أمام بوابة الجامعة، وكانت متجهة نحوي فقتلتها!

- كنا – كدارسين بالأزهر – أشاعرة المعتقد، قرأنا شرح الجوهرة، فلم نهضم العقيدة السلفية الجديدة، التي كانت تركز على تخليص المعتقد من الشوائب والشركيات والأغاليط، ثم وجدنا أنفسنا ملزمين بكتاب ضخم في الاعتقاد، نحو 700 صفحة (تيسير العزيز الحميد) ليس فيه شيء مما نعرف من العقيدة الكلامية التي درسناها بالأزهر، ولم نتآلف مع الكتاب وشارحه كثيرًا!
- كما أن الطريقة التقليدية للمشايخ لم تستهونا هذه الأيام كثيرًا، مع نزغ الشيطان، وتقليله لما نرى مما لم ندرك قيمته إلا بعد!
- ومن أغرب الأسباب التي أزعم أنها وراء استغرابنا: اشتياقنا للاستبداد، بعد أن رأينا العلاقة القريبة المباشرة، والتواصل اللصيق بالمشايخ، وهو أمر كان فوق تصورنا.. أأستاذ نقدر أن نلمسه بأيدينا ونكلمه ونراجعه؟ معقول؟!

الانسحاب

لم يبق العام الدراسي غير أقل من شهرين غير كافيين لنقرأ المقرر الكبير، بمجلداته العديدة، وعلومه الجديدة (علم التخريج والأسانيد وعلم العقيدة) بشكل لائق، وكان أن قررنا ترك الجامعة، والعودة إلى كلياتنا بالأزهر، وتعاهدنا، وتعاقدنا، وحسمنا أمرنا على ذلك! لكن ثار في ذهننا شيء: إذا رجعنا هكذا لقيل إننا فشلنا أو رسبنا.. فلا بد إذن أن ندخل الامتحان على أي نحو، فالمهم أن نعود ناجحين، ثم نبرر بعدُ أسباب عودتنا!

نظرنا في الكتب المقررة نظر الكاره المستثقل، ودخلنا الامتحان بغير أي نوع من الجدية، لتظهر النتيجة، ولنصدم: رسب أحد الثلاثة فاستحيا من نفسه، ورأى عارًا أن يعود، وحصل الثاني على مقبول، وحصلت على جيد، وما رفعني قليلا إلا المواد السهلة التي لم تحتج مني لمجهود في تحصيلها: (القرآن الكريم، والأدب العربي، واللغة الإنجليزية) وإلا فقد كنت أستحق المقبول بجدارة!

خَلاص! وجبت العودة، وآن أوان الترتيب للانتظام بكلياتنا مرة ثانية: وفعلًا لم أكذب الخبر، وعدت للكلية، وبعد الصيف انتظمت في الدراسة طالبًا بالصف الثاني، واشتريت الكتب المقررة، وتغير الاهتمام، ونسيت تقريبًا أمر المدينة، حتى جاءني خطاب منها!

كان زميلي خير قد قرر الرجوع لطيبة، ولم يشعرني بذلك، فلما ذهب أرسل لي رسالة، يقول فيها إن حال الجامعة تغير، وقد ذهب الشيخ ابن باز رحمه الله، وجيء برئيس آخر أسهل منه، وقال إنهم سألوا بشكل خاص عن هذا الطالب الخطاط الذي أعد المجلة الحائطية، وكتب الشعر عن الملك فيصل رحمه الله...

وعاد لطف الله تعالى بي للمدينة (مغلفًا بموازنات وتعليلات)؛ فما دامت الأمور قد تغيرت، وما داموا قد سألوا عني فلماذا لا أعود!؟ ما المانع؟ كانوا قد فصلوني من الجامعة بسبب الغياب، وكانت تأشيرة العودة قد انتهت، ولا بد من تجديدها من السفارة، فذهبت على شيء من المضض و(التلكيك) وعلقت الأمر على المشيئة؛ فإذا يُسرت رجعت، وإلا ف(يا دار ما دخلك شر) وأبقى مكاني، وفعلًا رحت للسفارة!

عليان بيه بواب السفارة:

كان السفر للسعودية آنذاك حلم كل المصريين، حيث السمن والعسل، والمال والأمل، وتحقُّق الأماني! وعلى السور الخارجي للسفارة وجدت مئات من الناس يقفون متزاحمين: منهم من بات طول الليل ليحجز مكانه أول الناس، ومنهم من أتى بعد الفجر، ومنهم من (يستهبل) ليحشر نفسه وسط الزحام، ويسرق مكان غيره! المهم: كانت (سويقة) سخيفة ومسيئة جدًّا للمصريين آنذاك!

ناس من كل المستويات والأعمار: أطباء، ومهندسون، ومدرسون، وصنايعية، وعمال غير متخصصين.. وحاولت أن أجد مكانًا بينهم فتعذر، فوقفت أراقب الموقف!

تحرك رجل (محترم جدًّا، ببدلة شيك) وسحنة كريمة، لكن متعَبة، قد ضايقه الحر، وأزعجه الزحام، فأراد أن يصلح هندامه، ويُحكِم رباط حذائه، فأسند رجله على (صدام) سيارة أمام باب السفارة، يربط الحذاء!

ورآه البواب السعودي الذي يُدخل الناس أو يمنعهم، والذي كان يتصرف بصلف واستعلاء كأنه السفير البيه، أو كأن السفارة ملك أبيه! وكان الناس المسوخ يتملقونه، ويترجونه، وهو يزاداد انتفاخًا وصلفًا!

المهم أن البواب (عليان بيه) هذا رأى الرجل وقد وضع رجله على السيارة، فهرع إليه، و(ردح) له، وسبه وأقذع السب، وتكلم عن البقر، والبهايم، و(اللي ما عاينوا خير) وكيف يجترئ على وضع رجله على صاحبة الفخامة السيارة!

بهت الرجل المحترم، وسقط في يده، ولم يستطع كلامًا، وأخذ الحاضرون يترضون البيه البواب ويهدئونه؛ معتذرين، فاقتربت وقلت:

أقسم بالله إنكم لتستحقون أن يقول مثل هذا عنكم: بقر وبهايم؟! كيف ترضون هذه الإهانة!؟

نظر إليّ عليان بيه، وقال: كده؟ زين.. ما انت بداخل السفارة، ارجع لا تنتظر!؟

قلت بحمية الشباب: هادخل غصبًا عنك، وهاتشوف!

ماذا؟ أدخل؟ كيف وهو حارس البوابة، وهو هنا الآمر الناهي، ولا تمر نملة إلا بإذنه؟

لا حول ولا قوة إلا بالله، قدر الله وما شاء فعل، على كل لن أخسر شيئًا!

ابتعدت، وأنا بين الغضب وانقطاع الأمل، وأخذت أدور حول المبنى حتى وجدت بابًا صغيرًا خلفيًّا مواربًا بلا بواب،فدخلت، ووجدت نفسي وسط القنصلية، ثم وقعت عين أحدهم عليّ فسألني باستغراب: أنت من؟ إيش جابك هنا؟

– أنا طالب بالجامعة الإسلامية، وهذا جوازي، وتأشيرتي انتهت، وأحتاج تجديدها!

– قف مكانك.. لا تتحرك.. وأخذ الجواز وغاب قليلا، ثم ما لبث أن عاد وقد ختم جوازي بتجديد التأشيرة، وأنا مندهش ذاهل من تراتيب الله تعالى وأقداره!

عدت إلى عليان، وفتحت الجواز على صفحة التأشيرة، وقلت: أخذتها غصبًا عنك كما قلت لك!

جحظت عيناه، وضغط بأسنانه، وود لو استطاع أن يلطمني، وتركته ومضيت..

وبعدها بأيام قليلة كنت ثانية في المدينة المنورة صلى الله على ساكنها وآله وصحبه أجمعين، وفي سكني بالجامعة!

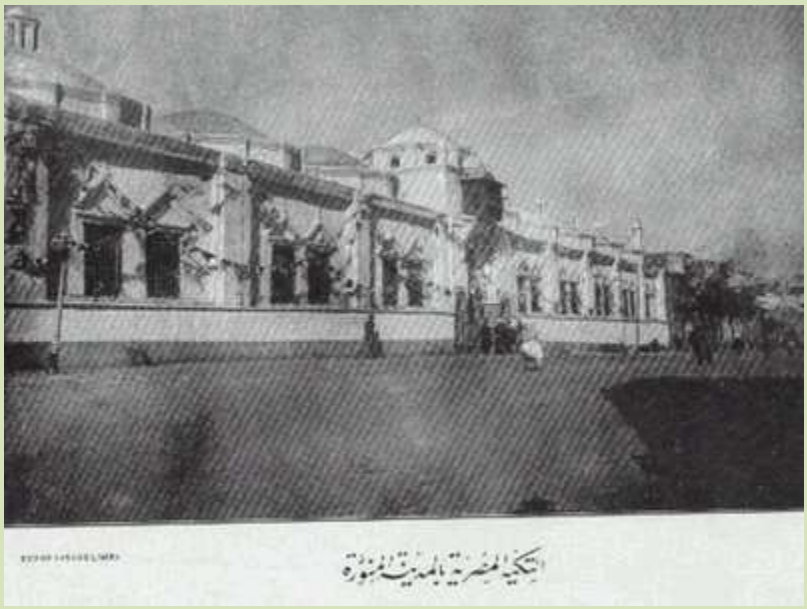

رأيناها ومررنا بجانبها مرات، لكن لم ندخلها

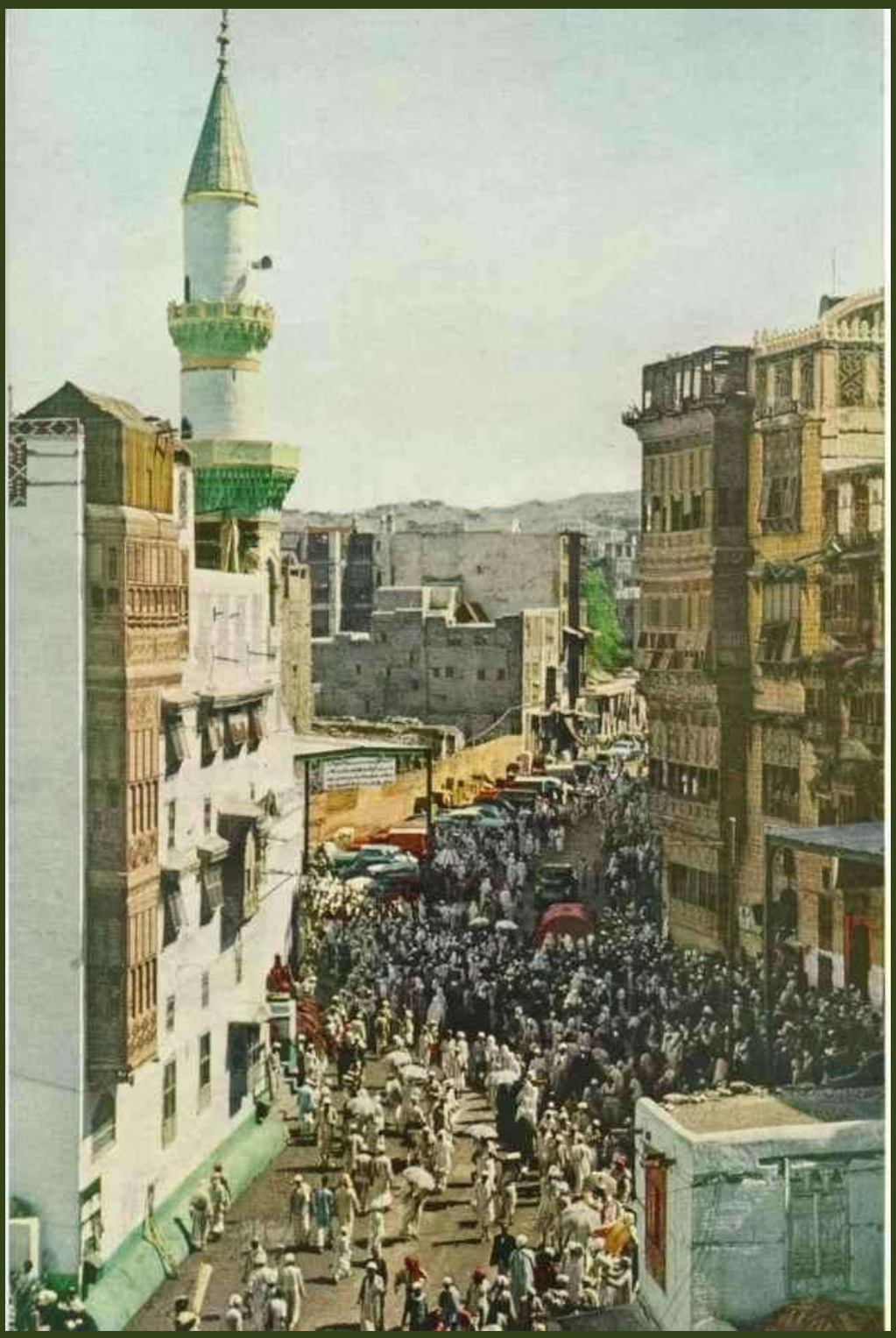

الصدمة الثانية

الحمد لله.. وجدت نفسي ثانية بالمدينة، وانطلقت إلى حيث أعرف أين يتجمع من آنس لهم من الزملاء، وجلسنا وتسامرنا، ولقيت أبا العز رحمه الله (صديقي البصير الذي تكلمت عنه سابقًا) وتآلفنا، وبدأت علاقة لا تنقطع حتى الفردوس الأعلى برحمة الرحمن الرحيم سبحانه. كان هذا في يناير 1976.

وفي الصباح كان لا بد أن أقابل رئيس الجامعة ليعيدني للدراسة!

دخلت هيابًا لمكتب الشيخ عبد المحسن شفاه الله، وكان مشتهرًا بالجفاء، والصرامة، وعدم قبوله المراجعة (وقد عشقته بعد ذلك، وعرفت قيمته الكبيرة، وخطأ ما يشاع عنه)!

في هذه الحقبة من الزمان كانت الحرب اللبنانية في أوجها، والدنيا مشتعلة هناك، والأخبار مرعبة: قتل الناس على الهوية، وجبروت الموارنة، واصطفاف الروافض، واجتياح مناطق السنة، واستباحة من فيها وما فيها، وقلق الزملاء اللبنانيين على أهليهم، ورغبتهم في الاطمئنان عليهم!

دخلت على نائب رئيس الجامعة ومديرها، فوجدت أمامه بعض الزملاء: زهير الكبي، وعبد الهادي وعبد الناصر الخطيب، وغسان بارودي، وعبد الفتاح عمار، يرجون الشيخ أن يمد لهم يومًا واحدًا على خمسة أيام إجازة مُنحوها ليزوروا أسرهم، حتى يعودوا بالطيران، وأبى الشيخ بصرامة وإصرار أن يمنحهم ساعة زيادة!

وخرجوا من مكتبه متوترين حزانى!

قلت: يا لطيف، هذه هي البداية! رب يسر ولا تعسر!

نظر إلي الشيخ من تحت نظارته وسأل: خيرًا!

قلت: يا شيخ، فاتني موعد العودة، وتأخرت على الدراسة حتى فصلوني.

تفحصني من أعلى لأسفل، وأخذ الطلب مني ووقع خلال ثوان: يعاد للدراسة!

وخرجت غير مصدق! معقول؟ ما هذا التوفيق والتيسير الرباني!؟ أهذا الذي كانوا يتوسلونه قبل قليل يومًا زائدًا، يعيدني بهذه السهولة؟

حتى بدون كلمة واحدة، يا الله ما أرفقك بي!

عدت إلى صفي في السنة الثانية، وجلست، كان مكاني في الصف الثاني أمام الشيخ المحاضر، وكانوا يضعون كراسينا بحسب درجاتنا في السنة السابقة، لكنني أجلست زميلا أفريقيًّا مكاني، وآثرت أن أجلس في الخلف، مللًا، وحتى أكون أكثر حرية في النوم أو المعابثة..

مدخل قباء القديم وعليه طغراء السلطان العثماني وسطران بجلي الثلث، وستة أبيات بالنستعليق التركي فيهما تأريخ البناء

الشنقيطي واللحظة الفارقة

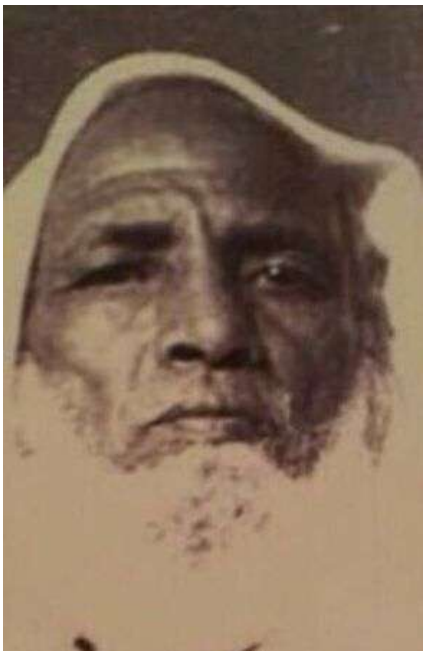

في الحصة الثانية دخل القاعة رجل متواضع الهيئة، بثوب كأنه غير مكوي، و(شبشب) بسيط، ولحية حمراء محناة، وجسم نحيل، ولهجة صعبة الفهم (آنئذٍ) هي خليط من البداوة، واللكنة (الموريتانية) السريعة، والغموض، وعدم تحقيق الحروف.

كان العلامة الفذ الشيخ الرباني محمد المختار ابن محمد بن مزيد الجكني عليه رحمات الله ورضوانه، أستاذ التفسير، الذي سيشرح لنا فتح القدير للشوكاني!

وكنت على أعتاب لحظة فارقة في حياتي، التي ستتغير بشكل كامل، بهذا الرجل وحده، ولله الحمد والمنة على ما أنعم!

كنت لا أزال ذلك الشَّموس، المندفع، غير المبالي، الذي يقضي العام في لهوه وأنشطته وهواياته ومشاغباته، ثم يقرأ الكتب آخر شهر في العام ويتفوق!

استهل الشيخ محاضرته، ووجدت فيه شيئًا مختلفًا، فأخذت أركز في كلامه، فألفيت نهرًا متدفقًا، وعلامةً يتكلم مسترسلًا، لا يتنفس ولا يفكر، ولا يجمع فكره، بل كأنما كان يقرأ من كتاب، سريعًا، مدلِّلًا، معددًا موارده وأدلته وشواهده من الكتاب والسنة والشعر وأقوال السلف، مع المقارنات، والتوجيهات، والاستنباطات!

كل ذلك في تواضع شديد، واستغفار، وذكر لله، وتأنيب لنا على قلة عنايتنا بالعلم والطلب!

قلت لنفسي: ما هذا؟ هذا شيخ استثنائي، غير عادي، سبحان الله، الآن وجب أن أستمع، وأستفيد، فقد وجدت من يشبع نهمتي، ويملأ عقلي!

فجأة ناداني الشيخ: يالأخ.. يالأخ/ انت يا لابس النظارة/ تعال/ اطلع بره!

اندهشت؟ وخرجت صامتًا لا أعلق، اندهاشًا، وعجزًا عن إدراك السبب!

تكرر الأمر بحذافيره في اليوم الثاني والثالث والعاشر، حتى غضبت، وقلت:

لماذا يا شيخ؟ كل يوم تخرجني، دون سبب! ما هذا؟! هذا ظلم!

فقال: تبغي تنام نام في غرفتك، ولا تحضر، وسأسجلك حاضرًا؛ أنا لا أحد ينام في محاضرتي!

أنا أنام في محاضرتك أنت؟ أنا لا آتي إلا من أجلك أنت يا فضيلة الشيخ!

انتبهت أنني أجلس آخر المقاعد، وأرفع نظارتي الشمسية على شعري، فلعل الشيخ ظن على البعد أن رأسي مدلًّى على صدري نائمًا، فقلت ليه يا شيخ: يستحيل أن أنام في محاضرتكم.. وسأعود لمكاني..

وذهبت لزميلي الأفريقي فرددته لمقعده، وعدت لمقعدي!

وبدأت الحياة!

أشبه الشيخ رحمه الله بشخص دخل غرفة شديدة الإظلام، فضغط على زر الإضاءة لتمتلئ نورًا! كانت هذه الغرفة قلبي، وزر الإضاءة علم الشيخ، والضغطة طريقة الشيخ اللافتة في التدفق والتعبير، واللسان الحاد في تأنيبنا، وحضنا على التعلم، والاستزادة، والنهم في الطلب!

كنت كالأرض العطشى التي يمكن أن تشرب نهرًا جاريًا لشدة عطشها، وكان الشيخ جدولًا جاريًا، أو عينًا دفاقة، تجود بسخاء، وسليقة لا تعرف التعمّل والتزويق والمجاملة، صريحًا لحد الإيجاع، صادقًا لحد الإدهاش، حافظًا لحد الإبهار، جريئًا بلا حد يقف عنده أو ينتهي إليه.. ونجح ما لم ينجح كل أساتذتي هنالك: في ترويضي وكفكفتي، ووضعي على طريق واضحة بلجة، وأرجو أن تكون مستقيمة، وأسأله تعالى ألا يخيب ظنه فيّ، وأن يجمعني به في فردوسه الأعلى، وأن أقبل هناك رأسه ويديه وقدميه، شكرًا لله تعالى، وإقرارًا بفضل الشيخ علي!

وأرجو أن تقرأ كلامي بعد عن الشنقيطي فيما يلي من كلام إن شاء الله تعالى:

الافتتان بالشيخ رحمه الله

لم يعشق الفتي من شيوخه – وهم قامات علمية – كما عشق الشنقيطي، رحمهم الله أجمعين، فكان يحضر محاضرته مع مجموعته، وينتقل بعد لنفس المحاضرة في المجموعة الثانية ليسمع إضافات جديدة، وفوائد عديدة، ثم يعود لغرفته، آمنًا من المؤاخذة على الغياب، بسبب العلاقة بينه وبين المراقب الطيب الشيخ مسفر، وقلما كان يحضر لشيخ آخر، ثقة منه أن عند الشيخ المختار العلم كله، والخير كله، والنور كله، والعوض كله!

وبدأ قلبه يتغير، ويميل للعلم الشرعي بشكل أكثر انضباطًا، وفضولٍ أكثر شرهًا..

ومن أقدار الله تبارك وتعالى أن الجامعة كانت على أطراف المدينة آخر حدود الحرم الشريف، ولم يكن يميل للنزول كثيرًا للمدينة، ولم يكن أمامه اختيارات كثيرة لتزجية الوقت: فإما أن يضيع وقته في الكرة واللعب – وهو في ذلك فاشل بامتياز – أو ينام ويطيل النوم لقتل الوقت، وهذا ليس من طبيعته، ولا مما يدور بخلده، وإما أن يقرأ ويستزيد، وهذا مما حبب إليه من صغرٍ كما مر، لذا كانت المكتبة (المكيفة) سلواه، فيها يستروح نسمات باردة، وفيها يقرأ منوعاته التي يحب، في الأدب واللغة، والتاريخ والتفسير، والحديث والسيرة، وغيرها، والمكتبة إذا ذاك كانت مبنى قديمًا في طرف قصي نسبيًّا، وكانت مهداة من قطر ومسماة باسم الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني على ما أذكر، ثم بنيت مكتبة أخرى أحسن بناء، وأكثر كتبًا، وأجمل ترتيبًا، وفيها كان المستراح والهوى!

صورة من مكتبة الجامعة القديمة

وفيها انفتحت على الكتب الأمهات في الحديث والتفسير واللغة – والأدب خاصة – ورأيت بعض النوادر، والكتب التي لم أصل إليها في مصر، كوصف مصر، والموسوعة البريطانية، وكتابي ناجي زين الدين في الخط العربي (الروائع والبدائع) اللذين بهراني آنذاك، وأهداني زهير كبي أحدهما من بيروت جزاه الله خيرًا.

وكان ولعي المبكر بالقراءة قد أفادني طول الطريق بفضل الله تبارك وتعالى، وأعانني على إتقان البحث، وصناعة خط شخصي في الكتابة..

وأذكر أنهم أقاموا مسابقة في البحث العلمي بعد وصولي أول مرة للمدينة بشهر واحد، وكان عن سيرة الخليفة العظيم عمر بن العزيز رحمه الله ورضي عنه، ودخلت، وأعطوني الامتياز، وصحيح مسلم بشرح النووي في ثمانية عشر جزءًا فاخرًا آنذاك.

وأعددت بحوثًا بعد ذلك كان آخرها بحث التخرج في السنة الرابعة، في الأدب الإسلامي! وكان مجلس الجامعة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى رئيس الجامعة آنذاك قد قرر إلزام الطالب في السنة الرابعة ببحث للتخرج، وأصدر قرارًا قال فيه إن من مهام الدراسة الجامعية إعداد الخريج للبحث، والمناقشة، والتأليف، والانتفاع بالمراجع العلمية المتعلقة باختصاصه، لذلك درج الكثير من الجامعات على إلزام الطالب في المرحلة النهائية تقديم بحث في إحدى المواد التي يدخل ضمن منهاج الكلية.

وجاء في القرار أن الجامعة تعتبر تأليف البحث المنشود مادة إلزامية مستقلة في السنة النهائية، لها درجتا نجاح: الصغرى وهي عشرون، والكبرى وهي أربعون، ويجري تطبيقها على أساس أن يكون البحث في إحدى مواد المنهج المقرر في الكلية، وأن يختار الطالب الموضوع الذي يريد الكتابة فيه، ويقدم بذلك خطابًا إلى عميد كليته خلال شهرين اعتبارًا من بدء الدراسة، وليس له العدول عنه إلى سواه بعد تقديم الخطاب، والموافقة عليه من قبل مجلس الكلية، وأن يحمل الموضوع طابع الجدة ما أمكن، ولا يكتب فيه أكثر من طالب واحد في العام الواحد، وألا تقل صفحاته عن الثلاثين من حجم ورق الآلة الناسخة، ولا تزيد عن الخمسين، وأسطر الصفحة عن العشرين بالخط العادي،

وأن يقدم الطالب ثلاث نسخ من البحث مع أصلها، مذيلا كل صفحة بذكر مرجع ما بذكر المرجع، والجزء، ورقم الصفحة التي استمد منها.

ويتولى مدرس المادة في السنة النهائية، مع أستاذ يختاره مجلس الكلية لمراجعة البحث، ثم مناقشته مع الطالب للتيقن من كونه هو المنشئ له، وكونه على فهم سليم له، ثم يقدران الدرجة التي يستحقها على ضوء ذلك، مع ملاحظة الأفكار، والترتيب وسلامة الأسلوب، وصحة التعبير!

وقد اخترت آنذاك موضوع الأدب العربي وتطوره وملامح التجديد فيه، وناقشني الأستاذان الدكتوران محمد خليفة الأستاذ بكلية اللغة العربية – ومؤلف كتبنا في الأدب العربي في المرحلة الثانوية بالأزهر – والدكتور طه أبو كريشة، وأظنه كان يحترم أستاذه خليفة؛ لأنه ترك المناقشة لأستاذه خليفة، وأعطياني الدرجة النهائية بفضل الله تعالى!

روح المدينة قبل وبعد

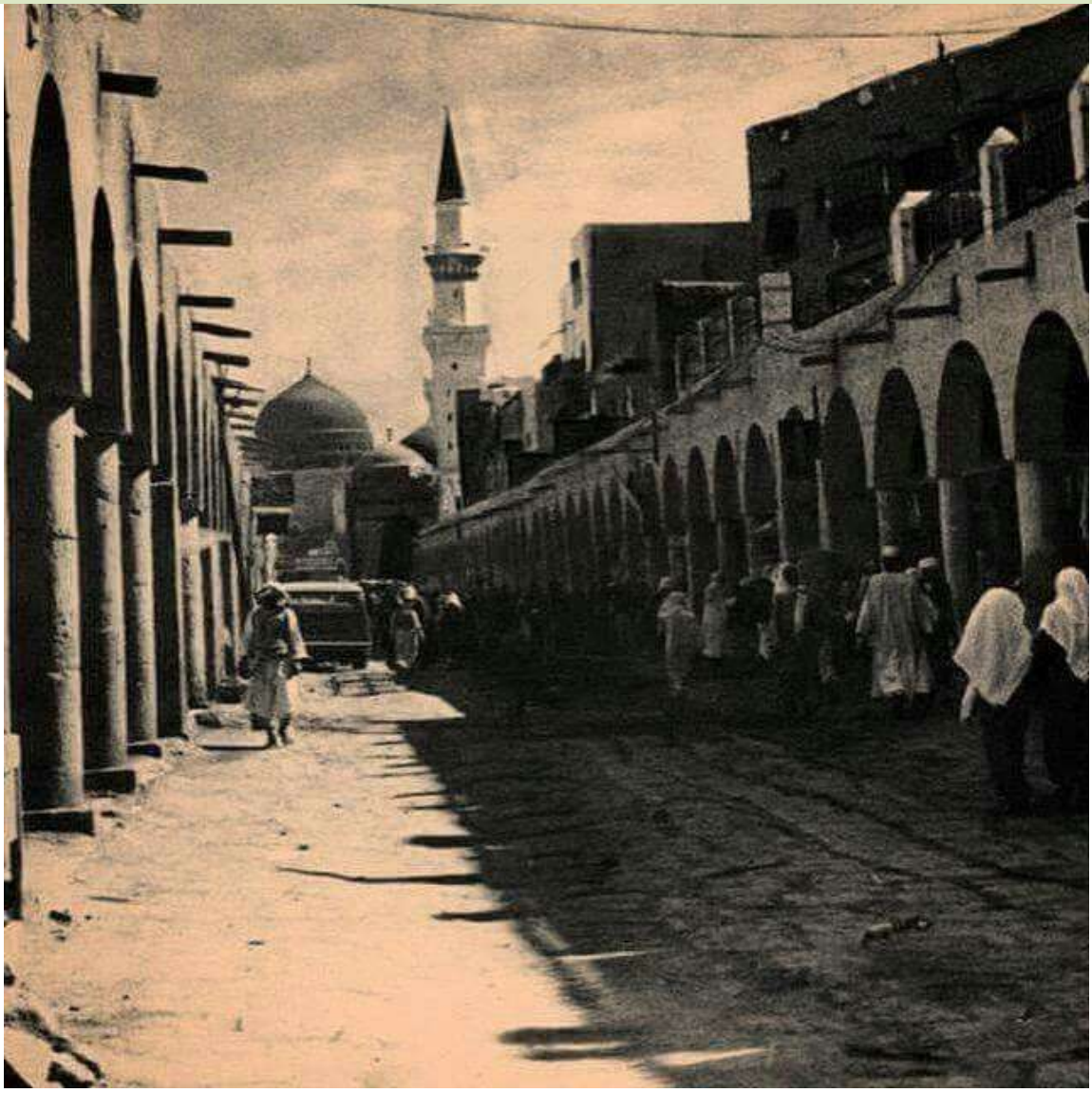

قلت من قبل إن المدينة – قبل الأبراج العالية، والفنادق الشاهقة، والمباني الباذخة، والتطاول في البنيان، كانت ذات روحانية عجيبة، كنا نسير في الشوارع كأننا على مواطئ أقدام النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وتابعيه، وعلى خطى الأئمة المدنيين، والرموز الغُر من الأمة..

كان كثير من المباني عثمانيَّ الطابع بمشربيات، وكنا نجد بعض معالم المدينة القديمة: سقيفة بني ساعدة، وثنيات الوداع، والمساجد المعروفة، والحرتين، وبئر عثمان

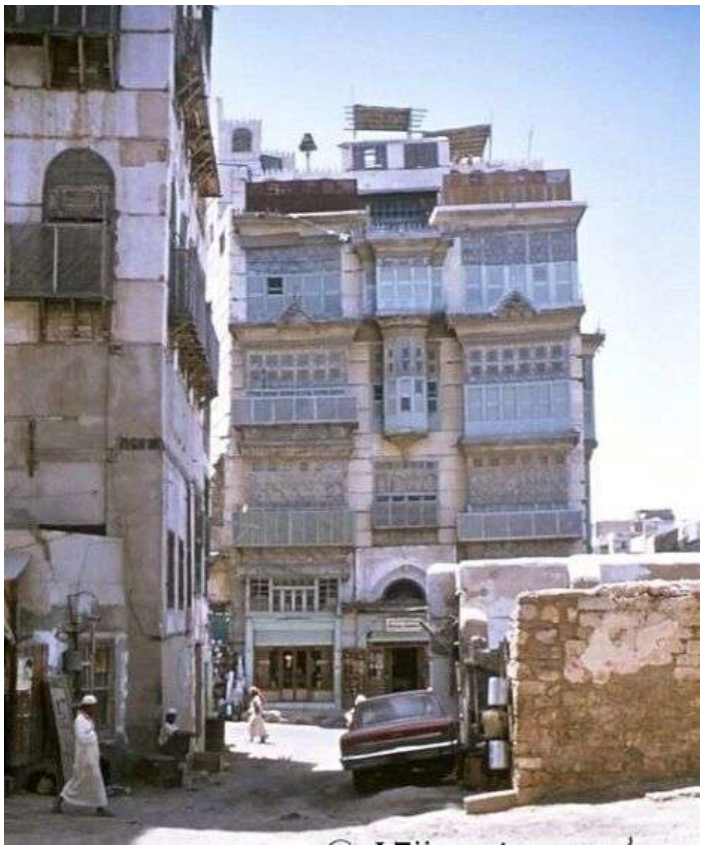

رضي الله عنه، وأحد وما حوله، وما ظنناه عيرًا وثورًا، والمعالم العثمانية، وسكة حديد الحجاز، والتكية المصرية القديمة، ومسجد القبلتين الذي لا يصلي به أحد، لوقوعه وسط الصحراء، ومعالم الحرم بعمارته العثمانية التي لم يكن زيد عليها غير زيادة الملك سعود، والحواري الضيقة الملتوية تكاد تلتصق به!

تركت المدينة عام 1389/ 1978، وعدت بعد اثنتي عشرة سنة لأسجل برنامجًا تلفزيونيًّا ببعض مدن المملكة، ومنها طيبة الطيبة على ساكنها الصلاة والسلام! وقابلت بالمدينة أيامها د. أكرم العمري رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة، والدكتور علي جريشة، والدكتور إسماعيل عمايرة أستاذ الاستشراق، والدكتور عبد الباسط بدر أستاذ الأدب الإسلامي، والشيخ محمد المجذوب وآخرين..

المهم أنني لم أتعرف على أي شيء غير الحرم الشريف! وحين انتهيت من التسجيل مع الدكتور العمري سألته: أين أنا الآن بالضبط؟ ما هذا الشارع الذي نحن فيه؟

فقال: هذا شارع سلطانة!؟

واندهشت: معقول؟ لقد كنت أسير فيه يوميًّا تقريبًا في طريقي للحرم، فهو الصلة آنذاك بين المسجد النبوي الشريف والجامعة.. ولا أعرفه؟ كيف تغيرت الأمور هكذا!؟

بالمناسبة أول شارع سلطانة هو ثنيات الوداع التي عندها كان المدنيون يستقبلون القادمين وعندها يودعون المسافرين؛ لذا سميت ثنيات الوداع، والعلم عند الله تعالى!

التفكير قبل وبعد

لم تتغير المدينة وحدها، ولم يختف المشايخ الكبار وحدهم، بل تغيرت أيضًا طريقة التفكير في الجامعة، وتغير الفقه – وإن ببطء – واستجيزت أشياء كانت ممنوعة، وأدخلت دراسات لم تكن موجودة، وربما لم يكن مسموحًا بها، والذين كانوا طلابًا آنذاك صاروا أساتذة وعمداء وأسماء مشهورة في المدينة المنورة والمملكة، وفي حقل الدعوة، والعمل الأكاديمي، وحصل نوع من التطور في كثير من الفتاوى، والفهوم، والوسائل، والآليات، ولكنه – في ظني – لا يزال دون المأمول بكثير.. وصارت هناك مؤتمرات أكثر حول الدعوة، والآفاق الشرعية المختلفة، وأقيمت روابط للخريجين، ونوافذ إلكترونية للجامعة، ومستحدثات كثيرة، ليس هذا الكتاب مكانها، بحكم كوني أكتب عن مساحة زمنية محدودة جدًّا.

لكن مما شهدته من تغيير كبير، استجازة التصوير – على بساطة المسألة وهامشيتها – وكان من الكبائر المغلظة التي تنخرم بسببها المروءة، وكان المشايخ آنذاك يغلون في تحريمها بشكل عجيب، حتى زعم بعضهم – والعهدة على الزاعمين – أن الشيخ فلانًا لا يحمل جواز سفر لكونه يحوي صورة، وأن فلانًا لا يمسك العملة التي عليها صورة!

وأذكر أن الجامعة حين أقامت المؤتمر العالمي الأول للدعوة والدعاة سالف الذكر حضرته جمهرة من كبار العلماء من العالم كله، منهم آنذاك الشعراوي والقرضاوي والغزالي ومحمد قطب وغيرهم من الأسماء الكبيرة، ولم يجرؤ مصور من التلفزيون أو جريدة أو غيرها أن يلتقط صورة واحدة، بل رأيت الشيخ عبد المحسن شفاه الله وعافاه آنذاك يطرد طاقم تلفزيون المدينة من الجامعة كلها آنذاك، حتى لا يصوروا فعاليات المؤتمر؛ على كونه الأول من نوعه، وعلى رغم عالميته، والعدد الضخم المشارك فيه!

ثم شاء الله تعالى أن أحضر الاجتماع التنسيقي الأولي للهيئات المعنية بالتعريف بالإسلام في الخليج العربي، برعاية أمير منطقة المدينة المنورة، والدكتور عبد العزيز ابن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي؛ رئيس مجلس إدارة الهيئة

العالمية للتعريف بالإسلام الجهة المنظمة للمؤتمر، والشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وأخذونا في جولة ماتعة بالمسجد الحرام: أمامه، وتحته (النفق والطوابق الخدمية، والمرافق البعيدة عن الحرم الخاصة بالتبريد والإضاءة وغيرها) ثم وجدت بعض المشايخ يطلبون أن نثبت ليصورونا، فصحت متعجبًا، وقلت: خلاص؟! سبحان مغير الأحوال!

في الاجتماع التنسيقي الأولي للهيئات المعنية بالتعريف بالإسلام بالمدينة المنورة

الجامعة بعد ربع قرن؟!

بعد أن غادرت المدينة أكرمني الله وعدت لها غير مرة بفضل الله تعالى في مواسم الحج، غير أني لم أزر الجامعة إلا بعد ربع قرن تقريبًا، ففي عام 1423/2002 جئت مع العائلة برفقة عائلة الحبيب الأديب الكاتب الخطاط عماد حفني، وفكرت أن أزورها!

كنا بالصيف، وليس بها طلاب ولا مسؤولون..

ودخلت من البوابة، ووالله الذي لا إله غيره إن قلمي ليعجز عن وصف مشاعري آنذاك، ووالله إنها لدقائق من أعظم وأبدع ما مر بي عمري، ومن أغزرها حنينًا، وأحفلها بالمشاعر الجياشة!

كنت كمن لقي أباه الذي يحبه ويبره ويفتديه بعد أن أضاعه أربعًا وعشرين سنة كاملة – بل خمسًا وعشرين هجرية تقريبًا – كنت كالصبي التائه الذي وجد أهله، أو الغريب الذي رأى وجهًا يألفه وينجده!

كنت أهرع بين المباني التي لم تتغير كثيرًا، وأشير: هنا/ هنا/ هنا/ وأحكي لعماد عن ذكرياتي في كل مكان منها، وعيني تلمع حبورًا، ودمعي يتألق على محجرها، من الفرح!

ولم يحرمني الله نفحة خير من زيارتي هذه، فقد بحثت حتى وجدت عميد كلية الشريعة لشؤون الطلاب – نسيت اسمه للأسف الشديد – ودخلت عليه وسلمت، وقلت له أنا فلان، خريج من خمس وعشرين سنة، وقف الرجل في دهشة، ونظر إلي كأنما ينظر لرجل من أهل الكهف، وقال:

صحيح؟ من 25 سنة!؟

نعم أستاذي!

أهلًا أهلًا أهلًا.. أنت ضيفي اليوم.. نتغدى معًا ولا بد..

شكرًا أيها الكريم.. جزيتم خيرًا؛ أسرتي معي، وزيارتي محدودة..

أنت وأسرتك ضيوفي!

شكر الله لكم.. لست وحدي.. معي أسرة زميل!

أنت وهم.. جميعًا مدعوون!

أحسن الله إليكم، وشكر لكم، واعتذرت حتى قبل اعتذاري، ثم أخذت أسأله عن المشايخ الذين لم يعد منهم أحد تقريبًا بالجامعة..

وكان الرجل في غاية الكرم والمروءة – أحسن الله إليه كما أحسن إلي – فطمعت في نبله وقلت: أريد نسخة من شهادة تخرجي، فليس عندي نسخة!

قال بنوع من التفكير: وكِيف أحصِّل هادي؟ سبحان الله!

ثم نادى مساعدًا له، وطلب أن يحل المشكلة، وكان الرجل عند حسن الظن..

دخل، وغاب قليلًا، ثم رجع وفي يده دفتر بني عريض، وقال: فيه أسماء الخريجين من بداية الجامعة، حتى عام كذا.. متى تخرجت؟ قلت عام: 1398..

قلّب الدفتر حتى وصل لبغيته.. وقال نعم: ها هو اسمك.. ثم تركنا وغاب قليلًا ليعود ومعه خمس نسخ، وقعها السيد الدكتور وختمها، وأعطانيها في سلاسة ويسر تذكرت بهما أيام الطيبين، في طيبة الطيبة، على ساكنيها أجمعين أتم الصلوات والتسليم.

صورة أيام زيارتي للمدينة بعد ربع قرن من تركها.. ومعي الحبيب الشيخ عماد حفني

صورة ذات شتاء على أحد الجسور بالمدينة مع زهير كبي (وسط) وأحمد حامد من القدس (يمين)

مواقف وذكريات

طلاب الجامعة المفاليت

لا يشك أحد أن الشباب شعبة من التمرد، ووقدة من الانفعالات والتجاوزات ما لم يهذبهم دين، أو يضبطهم عقل!

وقد كان بالجامعة فريق من (العفاريت) الذين لا ينصاعون للأوامر بسهولة، بحكم نشأتهم، وطبيعة ثقافاتهم..

فمنهم المسكين المحروم الذي تفلت، ومضى لحال سبيله، ومنهم من بقي لسببٍ ما، تحوطه منةُ الله عليه – فالأسباب حجبُ الأقدار، وحججُ الأغرار – وقد كنت شخصيًّا من هؤلاء المفاليت، الذين لم (يبتلعوا) الواقع أيامئذٍ، لكن حفتهم رحمة الله تعالى، لتتغير مصائرهم، وتحسن سيرتهم، ويعودوا ليشْرُفوا بالدعوة لله تعالى، وخدمة دينه الحنيف..

كان لنا زميل أفريقي أسميته المجنون: عالي الصوت، مندفع، أهوج التصرف، عنيف الحركات، ما تخيلت أن يتجاوز الجامعة، زارنا وفد من دعاة ساحل العاج، فسألتهم عنه، فقال أحدهم: محمود؟ إنه أكبر داعية في البلاد الآن!

ماذا؟ فلان؟ داعية؟/ مستحيل، لا يمكن يا رجل!

أووووه! هذا شيخنا وأستاذنا!

سبحانك ربي ما أكرمك!

مرة ثانية يزوروني نجم من نجوم التنس من جنوب أفريقيا، مسلم، فسألته عن زميل آخر، فقال: الشيخ ظافر؟ ما شاء الله إنه يخطب في الألوف من الناس من محبيه؟

ظافر؟ صدقًا؟!

نعم والله، هو من أهم الدعاة!

ثم يزوره زهير كبي في كيب تاون، ويرى حاله الدعوي ودوره هناك، ويزورني الشيخ ظافر النجار في بيتي بالدوحة غير مرة لأجد شخصًا آخر مختلفًا غير الذي عرفته، فسبحان ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى!

وثالث ورابع وخامس.. كلهم يصيرون في بلادهم وغير بلادهم دعاة مرموقين، وعلماء مشهورين، رغم أن المعطيات الظاهرة آنئذً لم تكن لتوحي بذلك..

وأنا نفسي كنت منهم، و(لولا أن من الله علينا لخسف بنا) فسبحان الرحمن الرحيم!

وفي هذا المعنى كتب لي الصديق الدكتور خير عبد الراضي: (لا أعلم أحدًا من الزملاء الذين درسوا معنا في المدينة إلا وختم الله له بالتقوى والصلاح) فلله الحمد على نعمه وآلائه..

طُطة عبد اللطيف

كان من زملائي بالحجرة: المغربي عبد اللطيف، وكان فارع الجسم، باسم الوجه، ضحوكًا – وبس – وذات يوم سألته في براءة وتباله: انت مختون يا عبد اللطيف؟

فقال: طبعًا أنا مختون!

فقلت له: أشك في ذلك؛ أظن أن أهلك لم يختنوك، وسأفعل أنا، وأقطع لك الطُّطَّة؛ (القلفة) بلغتهم!

وأخذت المقص ورحت وراءه، فصاح وأخذ يجري، وهو يصرخ، وأنا أقول: لا بد، حتى دار طوابق المهجع كلها، وهو يصرخ ويستغيث؛ خوفًا على ططته، وأنا أضحك!

باردو

نظرًا للتنوع العرقي والجغرافي في الجامعة، التي غادرتها وفيها طلاب من مائة جنسية، لم يكن بد للأساتذة من الاقتصار على الفصحى وحدها، وهي التي يستطيع الموجودون

كلهم التفاهم بها، واستخدامها في الحديث، عدا أبناء الجنسية الواحدة حين يلتقون؛ فهم يفضلون لغتهم أو لهجتهم!

وذات يوم – وفي وقت غير معتاد – جاءني الزميل التنزاني (د. جمعة مقداد عمر) حزينًا تعيسًا منزعجًا، لأنه بحث في المعاجم اللغوية كلها عن كلمة يكررها أستاذ أصول الفقه، الشيخ الدكتور محمد الشال، فلم يجدها – وهو الحريص على العلم والتدقيق، وكان على ما أظن يحمل الماجستير في شيء له علاقة باللغة الإنجليزية – المهم أنه طرق الباب، وقال في تأثر:

– يا شيخ أنا تعبت.. ما معنى باردو!؟ فقد عييت من البحث عنها!

– باردو؟ ما هذه؟؟ أظنها غير عربية! أين سمعتها؟

– قال شيخ الأصول دائمًا يقول وهو يشرح: باردو باردو!؟

أدركت مراده، فاستلقيت من شدة الضحك، فقد كان الشيخ الشال – وهو زفتاوي مثلي – يكرر كلمة: بَرْضُه، أثناء شرحه، وهي تستغلق – ولا شك – على من لا يعرف اللهجة المصرية!

وقلت له: إنها لا شيء، ولن تؤثر فيما تقرأ؛ فمعناها: أيضًا، أو كذلك!

وتنفس الصعداء، وانصرف راضيًا!

عبد الناصر الخطيب وتسلق الجبل

كان الزملاء اللبنانيون من الكائنات النشيطة المحبة للحياة، ولهم نظام في مأكلهم ومشربهم وملبسهم مختلف، ومما عشقوه: تسلق أعلى قمة جبلية قريبة – وكانت غير بعيدٍ من الجامعة – وتكرر هذا كثيرًا، وصحبتهم مرات عديدة، وكنا نُجهد، قفزًا وتسلقًا للحجارة الجراتينية السوداء القاسية، التي تكونت منها طبقة رقيقة من الشظايا الحادة كأنها النصال، ونصبر حتى نصل إلى القمة الصعبة، لنجد هنالك أماكن مبنية ومحصنة يبدو أنها كانت ملاذات وملاجئ للجنود العثمانيين الذين وكلت لهم حماية المدينة، صلى الله على ساكنها وسلم تسليمًا كثيرًا!

ولا شك أنه لو تدحرج حجر أو شظية من هذه فيمكن أن يحدث خطرًا كبيرًا..

وذات يوم سبقنا الزميل عبد الناصر (الشيخ عبد الناصر الخطيب الآن) وكان خفيفًا سريع الحركة، فلما علانا أحب أن يمازحنا، فأرسل حجرًا من أعلى إلينا، غير منتبه أنه استحدث كارثة، فقد أزاح الحجر حجرًا، والاثنان أربعة، والأربعة ثمانية، وهكذا، وفوجئنا بوابل من الشظايا ينهال علينا ؛ لو أراد الله أن يصاب أحدنا بشيء منه فلربما هلك.

وهرع كل منا إلى حَجر عالٍ يتكوم تحته، أو غائر يختبئ أسفله، حتى توقف الانهمار، وكانت ساعة سيئة على عبد الناصر، فقد شبع سبابًا (من النوع اللبناني الثقيل)، وعاد قبلنا، كاسف البال حزينًا، وعادت المجموعة غضبى مستاءة!

حبس المشايخ

رأيت في الجامعات التي تفرخ الجهال، كيف سطوة الأستاذ، وكيف يصحح إجابات الطلاب آخر العام، وكيف يعطي الدرجات!

وتناقل أبناء جيلي حكايات مدهشة عن الأستاذ الذي يصحح أوراق الطلاب وهو في المصيف، وتطير منه الأوراق فيضع تقييمات عشوائية، والآخر الذي يختلف خط التصحيح في أوراق طلابه، لأنه أعطى بعض الأوراق لزوجته أو ابنته لتساعده، وثالث لا ينجح عنده أحد، ورابع لا يعطي أكثر من مقبول، وخامس وسادس وعاشر!

ورأيت الأستاذ الذي لا سلطان لأحد عليه، ولا يعقب أحد على كلامه، ولا يراقب أحد حضوره أو عدم حضوره.. والأستاذ الذي يقول لطلابه ذات غضبة: (اعتبروا المنهج انشرح)، ويدعهم في حيص بيص!

ورأيت الأستاذ الذي يغير الكتاب المقرر بين الدورين الأول الثاني، وجل الطلاب لا يعلمون، والأستاذ الذي يتصدى لطالب فيُرسِبه السنة والاثنتين والثلاث..

ولا أزال أذكر الزميل الشيخ محمد الشناف الذي حكى لي أنه ترك كلية الشريعة بعد أن أرسبه الأستاذ ثلاث سنين، وقال له صراحة: لن تنجح ما دمتُ موجودًا هنا!

وسمعت عن الذين يبيعون أسئلة الامتحان، والذين يجاملون ابن فلان بيه وفلان باشا، وابن الزميل فلان، وبنت سيادة رئيس القسم..

رأيت الشيء الكثير مما يسقط مروءة من يفترض بهم صناعة المروءة في المؤسسات التعليمية الكبرى؛ خصوصًا الدينية منها!

لكنني هناك رأيت في المشايخ البررة واقعًا مختلفًا كما أشرت قبل، ومن لم يكن كذلك في حقيقته اضطر إلى أن يكون، حتى يبقى بالمكان!

رأيت الأستاذ يشرح ويخلِص وينهي المقرر، ورأيت الأستاذ يتلطف ويصبر، ورأيت الأستاذ يستمع للطلاب و(يطول باله) ورأيت الأستاذ يعدل في تقييمه، ويقرأ ورقة الإجابة كاملة.

ورأيتني أطلب من الأستاذ – في لجنة الامتحان – أن يتركني لأجيب، وألا يشوش علي، فيقول: حاضر، ويترك اللجنة فعلا، ويخرج، وأنا آمن أنه لن يسيء إليّ في درجاتي، وكان يملك أن يخنقني؛ فقد كان يدرسني آنذاك ثلاث مواد، بل فوجئت أني في المواد الثلاث التي كان يدرسها لم أنقص غير نصف درجة، ورحم الله د. علي جريشة!

ووالله لو قلت مثلها من قبل لأحد أقل منه من أولئكم لنكل بي تنكيلا!

ومن لطيف ما يذكر هنا أنهم كانوا يحرصون على إظهار نتائج الامتحانات سريعًا حتى يتمكن الطلاب من العودة لبلادهم سريعًا أيضًا – خصوصًا طلاب السنة الرابعة – وأقصى مدة تأخروا فيها كانت أربعة أيام بعد آخر مادة؛ على ما أذكر!

فكان الأساتذة يبقون في مبنى الكلية، ويُغلق الباب عليهم، لا يخرجون ولا يدخل عليهم أحد – ولا أدري كيف كانوا يتغدون – فكان يصححون المواد كلها أثناء الامتحان، وتبقى مادة آخر يوم، فيعكفون عليها، ثم يرصدون الدرجات، ويجهزون الشهادات بمعاونة طاقم الإدارة، وكان الذي يحرر الشهادات غالبًا مسجل الكلية الشيخ محمد الأخضر، أو يستعين ببعض الطلاب حسني الخط، كما استعانوا بي أحيانًا، وشهادة درجاتي في السنة الرابعة مكتوبة بخطي أنا..

أحسن غرفة

من لطائف ما مر بنا أن الجامعة – من باب الحرص على الطلاب والمباني – أعلنت عن جائزة لأحسن غرفة بالمبنى، وأنا رجل كسول في مثل هذه الأشياء، لا أحسن ترتيبًا ولا عناية بالمكانة، وقررت ومن معي الفوز – على خيبتنا وعجزنا – ولم يكن أمامنا إلا الحيلة، فقد جمعنا مهملاتنا في البلكونة، وأقفلنا بابها حتى لا يفتحها أحد من أعضاء لجنة المسابقة، وأدرنا ظهور الخزائن الست لنعمل ممرًّا بالغرفة، ثم علقنا على ظهورها – على طريقة الانتخابات العربية – لافتات ترحيب ورقية بخط كبير، تستلفت النظر، ثم خفضنا الإضاءة لنستحدث جوًّا شاعريًّا، ونغطي على بعض ما لم نرتبه، ثم علقنا شيئًا ملونًا بالمروحة، فإذا دارت أحدث موجة من الألوان، كنوع من التخييل وسحر فرعون.

كان الجو خداعيًّا أكثر منه صادقًا، لكنه آتي أكله، وأخذنا المركز الثاني أو الثالث يومذاك على مستوى سكن الطلاب كله! وكان ذلك مادة لتفكهنا مدة من الزمن!

الإفلاس والجدعنة

كانت الجامعة تعطي الطالب آنذاك – 78/1974 – ثلاثمائة وخمسين ريالا كل شهر، وهو مبلغ ربما يكفي بعضنا آنذاك، لكنه لم يكن ليكفينا في شيء، وكان الطعام في مطعم الجامعة من رحمة الله تعالى، وإلا لمتنا جوعًا، لكنْ كثيرًا ما كانت تجف المسألة المالية معنا بشكل صعب، فنجمع ما في جيوبنا، ثم نأكل به وجبة.. وذات يوم كنا في المدينة، وكلنا مفلس: أنا وخير وفؤاد والعطاب، وفتشنا جيوبنا فلم نجد غير ستة ريالات، لا تصلح لشيء، فقررنا أن نعمل (بهوات) ونترك باص الجامعة، ونركب تاكسي، وإذا لم يكن من الموت بدٌّ؛ فمن العار أن تموت (مبهدلًا)، وفعلًا رحنا للجامعة.. وفي الصباح وجدنا من موظفي الجامعة من يسأل: فين فلان؟ أريد أن تكتب لي لوحة! وهاك العربون!

سبحانك ربي، ما أكرمك، ناديت على الشلة: ياللا يا ولاد، جاء الفرج.. ياللا نتغدى! وتكرر مثل هذا السيناريو في غير شكل، وسبحان الله رب العالمين الرزاق السَّتِير!

ومما يمكن أن أذكره هنا بمناسبة اللافتات، أنني كتبت لافتات الجامعة للترحيب بمجيء جلالة الملك خالد للمدينة، بطلب من الشيخ عبد المحسن العباد رئيس الجامعة، لأن الخطاط الرسمي – الأستاذ أحمد مجاهد – كان خطاط حِبر، ولا يكتب بالزيت، وكان رجلا مسنًّا هادئ الطبع شديد الأدب، وهو الذي كتب بخطه اسم الجامعة على البوابة، وكتب شهادة التخرج أيضًا..

وحدث أن زميلًا سمسارًا عفريتًا، جاءني قبل امتحان الليسانس بيوم أو يومين، وقال: جلالة الملك قادم للمدينة، وأريدك أن تكتب بعض اللوحات الخاصة لبعض الناس!

أي خط، وأي لوحات؟ نحن في امتحان يا رجل.. إليك عني، لا بد أن أذاكر!

وأخذ أخونا يلح، ويلح – بشكل مزعج – حتى أضجرني، ولما أردت إبعاده وتعجيزه قلت: هاخد ألف وخمسميت ريال؛ **وهذا مبلغ كبير آنذاك!**

فقال لدهشتي: موافق!

واحترت، واضطررت للقبول، وجيشت الجيش: جهز خير وفؤاد ترامس الشاي، وسهرا معي جزاهما الله خيرًا طوال الليل أكتب ويوقظانني، ويحمسانني، حتى أصبح الصباح، وأعطاني الأخ الأجرة جزاه الله خيرًا..

ثم اكتشفت بعدها أن الزميل سمسار، وأنه قبض لهذه المهمة خمسة عشر ألفًا..

فرع الممثل الشرعي والوحيد

ومما لا أنساه هنا أنني كنت مهتمًّا – بحكم النشأة – بفلسطين والقضية الفلسطينية، وحدث أنني ارتبطت منذ وصولي للمدينة بمقر منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة المنورة، من خلال صديقي الحبيب قاسم عبد الحليم، وكنت أخط لهم لافتات الترحيب، على القماش والجدران، ودعوني ثلاث سنين متتالية لألقي قصيدة من شعري مع الشعراء المدعوين، في مهرجانهم السنوي الشعري (4 يناير من كل عام) وسط جو باذخ، وحضور أناس كبار: أمير المدينة، وسفراء ووزراء ووجوه المجتمع المدني آنذاك..

شؤون عربية ٤

الأمير سلمان يتقدم مشيعي «أبو هشام»

وفاة أول ممثل فلسطيني لمنظمة التحرير في السعودية

وفي آخر مناسبة حضرتها (4/ 1/ 1978) – وكنا في برد قارص – كنت في مكتب رئيس فرع المنظمة، بحضور أبي...... الرجل المهم جدًّا في ترتيب رجالات منظمة التحرير، فقال في براجماتية مقيتة: الناس دول لازم يدفعوا (السعوديون) وبعدين عايزين نقول جهاد نقول، نقول نضال نقول.. المهم يدفعوا!

هالني الأمر، واستفزني، وغضبت أكثر حين قام شاعر فلسطيني بشوش الوجه، كنيته (أبو محمود) ونسيت اسمه للأسف، لينشد، على ما أذكر:

الفجر أسفر في الدروب ولالا وكسا الربوع مهابة وجلالا
قـوم إذا رام المعالي غيـرهـم وأراد خِطبتها، لقالت: لا لا

وأخذ الشعراء بعده يتحدثون عن الفرحة، والنصر، والنضال، والثورة، وهذه الشعارات، فلما جاء دوري قلت بتأثر، وفي اتهام مباشر: شكرًا لحضراتكم لأنكم تتحدثون عن الفرح والفجر والنور، لكنني أخالفكم، فمنذ ولدت لم أر إلا الهزائم، والظلام، والانكسارات، والنكسات، ونحن السبب:

أنعَى لكم الأقصى.. والباقي ربي سبحانه
أنعى لكم الأقصى.. وبأيديكم خِطتم أكفانه!
أنعى لكمُ رمزًا سفحت دمَه رشاشاتُ خطاباتكم الرنانة
يا إخواني في التهليل وفي التهويل.. وفي تنميق الكلمات الطنانة
أنعى لكم المسجون المظلومَ.. وقد كنتم بتراخيكم سجانه!

وأكملت قصيدتي ومضيت غاضبًا، وجاء القوم خلفي يترضونني، وفيهم الشعراء، وبعض الضيوف..

بعدها بشهر قابلت الشاعر أبا محمود في المطار، فقال لي إن أبا هشام يسلم عليك، ويعرض منحة في أي جامعة تريد بالمملكة (للماجستير) فشكرته، ورفضت!

كنت منذ تلكم الأمسية قد أحسست بـ(قرف) من شيء اسمه منظمة التحرير الفلسطينية، وصححت الأيام مخاوفي بعد ذلك، حين خلع المناضلون جلودهم، وقلّموا مخالبهم، وصبغوها بالمانيكير، وباعوا القضية، وأدمنوا جهاد الميكروفونات، وتحولوا إلى متآمرين؛ حتى كتبت فيهم – ساخرًا – أكثر من قصيدة، منها واحدة في رأسهم السالم المسالم أبي عمار، الذي كان دائمًا سالمًا من كل بلاء، حتى إن كل ما حوله كان يهدم ويدك، وينجو هو بقدرة فائقة، وصار هو محور القضية، وصار رأسه رمز البقاء الفلسطيني:

وقد كتبت في ذلك مقالًا بعنوان: قضيتنا أبو عمّار، بجريدة الراية، قلت فيها:

من فضل الله علي أنني – طول عمري لا أتعاطى الفلفل الحار، ولا الكاباتشينو، ولا السياسة؛ لأنها – كلها – تحرق القلب، وترفع الضغط، وتدني من القبر.

وأنا والله قارئي العزيز أوثر السلامة، وأهرب من وجع الرأس، لكن أحيانًا أجد نفسي موحولًا في شيء لا علاقة لي به، ولا هو من اهتماماتي؛ نعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء..

ومتابعة لما ذكرته من ملامح أمتنا اسمح حضرتك لي أن أقول إنها أمة خيبانة.. تُلقَى لها مسألة سهلة، وقريبة، فتتشبث بها، وتلطم، وتصرخ، وتملأ الدنيا نواحًا، وتظل تشغل نفسها بهذه القضية الهامشية، أو التي هي – على أهميتها – أقل من غيرها في الترتيب، لكنهم يجعلونها (زي المية والهوا): محورية جوهرية، لا يستغنون عن الحديث عنها، ولَوكها، وتكرارها حتى تصير هي الشاغل الرئيس، والقضية الكبرى، مع أنها في ترتيب الأوليات (نمبر هندرد)، ولا ينتبه كثيرون أنهم مخدوعون عن خطر عظيم.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك حكاية الرئيس أبي عمار، وأزمة خروجه أو بقائه داخل سجن المقاطعة – مع احترامي الشديد له – فهم يجعلونها دائمًا أُلهية أو عضّاضة نتلهى بها؛ لتشغلنا عن مصائب كبيرة أعظم وأشد، تصيب المسلمين في فلسطين.

ومع أن الله تعالى قد حمى فخامته من ألف حالة مثل التي هو فيها الآن، فإن الإعلام لا يتحدث عن بقائه أو إخراجه، وسلامته أو التهديد بقتله، إلا حين يكون هناك خازوق كبير يدبر للأمة:

تأمل ما كان يحصل حين أُخرج من بيروت، وحين دُك موقعه في تونس، وحين أسقطت طائرته، وفي عِينِ الحِلْوِي، وتل الزعتر، وأحداث أيلول، ودك جنين، ورام الله، وغيرها.. ودائمًا ربنا ينجيه؛ لنهنئ أنفسنا بسلامته، ونفرح بالانتصار!

كل هذا يتكرر بشكل غريب، وكأنما يقال بذلك إنه هو القضية وليس فلسطين، وإنه هو الأهم وليس الأقصى، وإن كل الدماء تهون ولا يخرج فخامته من سجن المقاطعة!

تمامًا كما رُوج زمانًا طويلًا أن الذي له الحق – حصريًّا – في التحدث باسم الفلسطينيين هو منظمة التخدير الفلسطينية (الممثل الشرعي والوحيد) ليلغَى ببساطة كلُّ شخص آخر لا يعمل من خلالها، ثم يثبت الواقع المعيش أن هناك مائة جهة يمكن أن تتحدث باسم فلسطين، غير سيادة (الممسل) الشرعي والوحيد!

وهذا القلق على أبي عمار – مع الاحترام الشديد – هو الذي حدا بي، غفر الله لي – أن أعلنها واضحة :

انسوا الشهداء.. انسوا الدماء.. انسوا المواجع والدكَّ والاستئصال، انسوا الخليل وبيت لحم.. المهم أبو عمار، ويا عمي لا فلسطين، ولا قدس، ولا أقصى، ولا وجع راس!

تريدُ الصدقْ؟

أنا بالفعل مقتنعٌ.. بأن قضيتي الأولى أبو عمار

إذا طلعت عليّ الشمسُ.. أو كُسِفتْ

إذا ضلت مغاربَها

فظلت في مراوحةٍ

وأغفت في مشارقها

إذا وقفت عن الدوران

إذا جَمُدت مياهُ النيلِ

أو كفّت عن الجريان

إذا غطتنيَ الأوضارْ

إذا عمّتنيَ الأوزارْ

أهم قضية عندي.. أبو عمار

إذا ما سبني الإعلامُ أو بالزفت غطاني

وقبّح مجديَ الأسنى

إذا بالعار جللني

ووسّخ سيرتي الحسنى

إذا بالزور صورني

وقال بأنني بالدم

أُسمِّدُ زهرَ بستاني

وأطعم لحمَ خلقِ الله صبياني

إذا قال بأنني الإرهاب يمشي في صريح نهار

وأني فاسقٌ زنديقْ

وقد أدمنتُ عيشَ العار

دع الإعلامَ والأوهامَ والأبرارَ والأشرار

أهم قضية عندي أبو عمار

إذا ما ضعضعوا الأقصى

وفوق القبةِ الغراء

دقوا نجمةً زرقاء

واحتفلوا بباطلهم.. بداخل ساحِه رقصا

فلا تحسب سكوتي ذلكم عيبًا

ولا جهلًا ولا نقصا

ولا تحسب بأني بائع للأرض

أو بالعرض أتهاون

ولا تحسبْ بأني والعدا.. ندنو.. ونتعاون

ولا تزعم بأني قد نسيت حقوقَنا والثار

أهم قضيةٍ عندي.. أبو عمار

إذا ما هدّموا البلداتِ.. واقتلعوا

أصولَ الخير والتيناتِ في الأرضِ

إذا ما أرسلوا ليلًا

وشعبي نائمٌ غافٍ

رجومَ الموت في الدانات.. والطلقات

إذا دَهسَت عجوزًا ساقُها كلّت عن الركضِ

مجنزرةٌ.. تشق طريقها عمدًا

تدنس حرمتي جدًّا

وتهتك في معالمنا.. وتفتك في محارمنا

وتدفن في الثرى مجدًا

فهذا كلُّه سهل..

وإني في سوى هذا لمشغولٌ

أسافرُ في مدى الأفكار

أهم قضية عندي أبو عمار!

إذا صرخت عجائزُنا: يقلن هلمَّ يا عربُ

يصحن: وأين نخوتكم؟

وأين صدى عروبتكم؟

إذا ما اسودت الدنيا

وأضحت ما بها أرَبُ

إذا لم يحلم الأطفالْ

بغير روائح البارودْ

ودخّانِ الإطارات الحريقِ السودْ

ولعلعةِ الرصاص الموت

يزف لواسع الجناتِ صبيانًا بطهر نداوة الأسحار

إذا جاعت صبايانا

إذا انماعت قضايانا

إذا التاعت ضمائرُنا

أو انفجرت مرائرُنا

إذا ما أُرضع الأطفالْ

حليبَ القهر واليتمِ

ونامت في بطونهمُ

أفاعي الجوعِ والعُدمِ

إذا ما سُيِّجت مدنٌ

بأحزمة مكهربةٍ من الإسمنت والقهرِ

إذا ما برئت صحفٌ من الإفساد والعهرِ

إذا ما أحرقت أرضي بصيّبِ قاذفات النارْ

فلن أهتم أو أحتار

أهم قضية عندي أبو عمار!

دعوا الأقصى فلا أقصى

ولا مهدٌ ولا عيسى

ولا مدنٌ مقدسةُ

ولا طورٌ ولا موسى

ولا تينٌ ولا زيتونْ

ولا شعبٌ ومذبحةٌ

ولا باروخُ.. ديرْ يا سين

ولا أرضٌ ولا عرضٌ

ولا نفلٌ ولا فرضٌ

إذا ما حوصر الخِتْيار

فهذا الرمزُ والقائدْ

هو المولودُ والوالد

خذوا منى دمَ الشهداء

وتاريخَ الفداء الحر والعظماء

ولكني سأحفظ بين أحنائي جميلَكمُ

أبوسُكمُ

سأشكر فضلَ أيديكم..

إذا أبقيتمُ التذكار

أبا عمار

أهم قضية عندي أبو عمار!

هل نتعلم أن نتجاوز المفاهيم (التغريبية) التي تملى على العقل العربي أحيانًا فتضله عن سواء السبيل؟

وهل نستطيع التخلي عن النظرة العوراء التي لا تملك إلا النظر بعين واحدة، وتلغي كل ما في المشهد على تنوعه وثرائه؟

هل ننتبه لل(خوازيق) التضليلية والشراك الخداعية – بلغة الحرب – التي تصرف الاهتمام عن القضايا الكلية، وتجعلنا ننظر في غير موضع الحدث، وتلفتنا عن المقاصد الأصلية ؟

وهل نحتاج دومًا إلى قراءة الإعلام والمصطلحات قراءةً معكوسة، أو – على الأقل – قراءة حذرة تعيننا على استشراف ما وراء الحدث، وما يختبئ خلف كواليس المشهد من مطبات، وحفر، وفخاخ، وربما ألغام قاتلة ؟

وهل نتذكر أن هناك وثائق تظهر بعد عقود، تكشف – دائمًا – حقائق غير ما كان مطروحًا، وفصولًا في المسرحية غير ما كان يمثَّل، وأن الشعوب في العالم الثالث كله تكون دائمًا كالزوج (الأهبل) المخدوع: آخر من يعلم؟

بس برضه يا زلمة.. أهم حاجة أبو عمار!

حين كنت ألقي القصيدة في هذه الليلة المشهودة، والخطوط في الخلفية من خطوطي آنذاك

في نادي المدينة الأدبي:

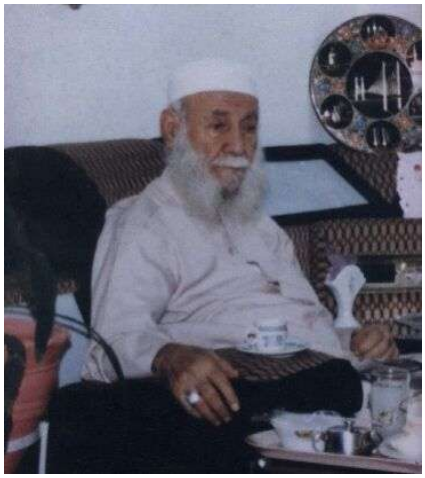

وقد أعقب تلكم الأمسية أن جاء أدباء المدينة عند خروجي، وأثنوا على قصيدتي ورأيي، ودعوني لأمسية في نادي المدينة الأدبي، لأحس مؤقتًا ببعض الزهو، والإنجاز!

وفعلا ذهبت للنادي، مع الصديق زهير الكبي – وليتني ما ذهبت – وسأقول لماذا!

استقبلنا الناس أحسن استقبال، وحضر الأمسية جمع جيد ليستمعوا للشاعر المفترض أنه ضخم، ثم جلس ثلاثة (عواجيز) متربصين: الأستاذ الدكتور عبد الحميد ربيع، والشاعر الأديب الشيخ محمد المجذوب، ورئيس النادي الأدبي، الدكتور محمد العيد الخطراوي، وكان أمثَلهم وأرفقهم!

كانت جل قصائدي من شعر التفعيلة، وهو آنذاك داؤهم ومناط رفضهم، فما أن انتهيت حتى سنوا سكاكينهم، وذبحوني على الطريقة (الشعرية) غير الأستاذ الخطراوي رحمه الله؛ فقد دافع عني، وأثنى على شعري، وخرجت منزعجًا من جمودهم، وضيق آفاقهم.

ثم حدث بعد ذلك باثنتي عشرة سنة أن ذهبت للمدينة لأسجل لتلفزيون قطر برنامجًا عن الأدب الإسلامي، استضفت فيه الشيخ المجذوب صاحب السكين (الثلمة) وسألته عن الشعر الحر، ومدارس الشعر الجديدة، فقال وبراءة الأطفال في عينيه:

وماذا في ذلك؛ على الشاعر أن يجرب وأن يتعرف على التقنيات الشعرية الجديدة و..

هتفت: بس.. بس.. ماذا تقول يا سيدي؟ هل هذا رأيك؟

أكيدٌ أنا أن فضيلتك لا تذكر أنك كنت ضد هذا الرأي، وأنك ذبحتني يومًا ما بغير سكين، حين التقينا في النادي الأدبي.. وحكيت له الملابسات، فضحك، وأخذ في التبرير، والاعتذار، وأنا أقول في سري: منك لله يا شيخ!

المؤتمر العالمي الأول للدعوة والدعاة

من أهم الفعاليات التي حضرتها في المدينة المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي عُقد في 24 ـ 29 صفر 1397هـ/ 1977/2/14. وحضرته أعداد كبيرة ينتمون إلى سبعين دولة، منهم قامات كبيرة أمثال الغزالي، والقرضاوي، ومحمد قطب، والندوي، ومحمود شيت خطاب، والشعراوي، والذهبي، وعبد السلام الهراس، وكامل الشريف، وإسحاق الفرحان، وعصام العطار، وخليل أحمد الحامدي، ومحمد الحبيب بلخوجة، وكامل محمد الباقر، وعبد الله نصيف، ومحمد ناصر الدين الألباني، وعبد الكريم زيدان، ومحمد بهجت الأثري، وأحمد إسماعيلوفيتش، ومن في قاماتهم؛ مع حفظ الألقاب!

وتم اختيار سماحة الشيخ ابن باز رئيسًا للمؤتمر، وفضيلة الشيخ العباد نائبًا للرئيس، وفضيلة الشيخ الغزالي مقررًا..

وحضرت معظم فعاليات المؤتمر، ولأول مرة أسلم على القرضاوي والشعراوي وأرى قطب والغزالي ود. عبد الله نصيف، الذين قابلتهم بعد ذلك، وكان لي معهم محاورات تلفزيونية وصحفية.. وفي هذا المؤتمر أبعد الإعلام كما مر، للحرمة القاطعة لتصوير الفيديو، والتصوير التلفزيوني، والفوتواغرافي أيضًا!

من اليمين بهيج غزاوي فمحمد علي فعبد الهادي فغسان بارودي فزهير كبي، ولا أذكر الأخ الصغير

وطارت رقبتان أمام عيني!

مما لا ينسى هنا ولا يفارق مخيلتي إلى اليوم، ما حدث ذات جمعة حين قيل لنا إنه سيقام – بعد الصلاة – الحد على قاتلين بباحة المناخة، قريبًا من المسجد النبوي الشريف، فهرع الناس، فضولًا، أو تسليًّا، أو اعتيادًا..

ووصلت مع الواصلين، لأجد حلقة من البشر واسعة، وقد وقف وسطها عدة أشخاص، منهم رجلان جالسان على الأرض كهيئة التشهد، وأيديهما مقيدة من الخلف، والسياف يقف في اعتداد بشاربه المنمق، والابتسامة العريضة تكسو وجهه البدوي، وحزامان بنيان عريضان قد تقاطعا على صدره، هما حمالتا السيف على ما أظن، كان المصورون يلتقطون له الصورة، وهو يبتسم كنجم سينمائي، سيقوم بدور كبير، لا كأنه سيقطع رقبتي إنسانين!

قرئت صيغة الاتهام، وحيثيات إقامة الجد – وكانا قاتلين ثبت الأمر عليهما – وفي لمح البصر، وجدت رأسين قد تدحرجتا على الأرض!

نخس السياف كلا منهما بذباب سيفه فرفع التعيس رأسه للخلف ألمًا، ليهوي السيف بسرعة فتنفصل الرأس، وتتدحرج على الأرض، بسرعة عجيبة، حتى إنني لم ألحظ بالضبط كيف حصل هذا!؟ فقد أحسست بإغماءة لثانية أو ثانية، من بشاعة الموقف..

الغريب أن الأخ السياف أخذ يستدير للكاميرات (فاشخًا) فمه بابتسامة عريضة، كأنه سجل رقمًا قياسيًّا يستحق أن يضاف لجينيس بوك أوف ريكوردز!

وعدت إلى سكن الطلاب لأرقد في فراشي يومين محمومًا!

وسبحان القائل في كتابه: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) فأُبعد تمامًا على من شهد مثل هذا البلاء العظيم أن يفكر في استباحة دم أحد، أو الاعتداء عليه! وصدق الله العظيم القائل: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب): حياة النفس، وحياة الآخرين، وحياة المجتمع كله، فإن غاب القصاص، زاد الهرج، وعمت الاستباحة، ورخصت الدماء، وصار الآدمي بلا قيمة ولا معنى!

محاولة قتل عمد!

كنا أنا وخير وفؤاد نتحرك جماعة، فقلما خرج واحدنا وحده.. وذات عمرة حصل لنا ما يشبه الأفلام الهندية، كنا في الطريق إلى جدة، ولم يكن الطريق واسعًا مزدوجًا مضاءً ناعمًا كما هو الآن؛ بل كان (رايح جاي) مظلمًا كئيبًا مهملًا، كثير المنحنيات والحفر!

وكثيرًا ما حَدثت عليه من السائقين (النائمين) أو المساطيل حوادث شنيعة، جعلتني بعد حينٍ أقرر ألا أركب (تاكسي) أبدًا على الطرق السريعة؛ فإما الطيارة، وإما الباص، لكثرة من فقدنا من زملائنا..

وأذكر أننا كدنا نموت ذات سفرة لجدة؛ إذ انقلبت بنا السيارة مرتين أو ثلاثًا على يمين الطريق، عند عودتنا من جدة للمدينة، ولطف الله الرؤوف بنا؛ فلم يكن على يميننا منزَلَقٌ أو مهوًى، ولطف سبحانه بنا ثانية إذ اعتدلت السيارة بعد أن انقلبت، وثالثة حين لم يصب منا أحدٌ غير فؤاد الذي اصطدمت رأسه بالسيارة فقط، ونجا الركاب، وخرجنا فرحين بالسلامة، وظللنا نضحك لأن أحد الموجودين (عملها على نفسه، من الخضة)!

المهم أننا – هذه المرة – كنا في طريقنا لجدة، وحصل شيء لم نلحظه من جراء السرعة، ثم فوجئنا بسائقنا يدير المقود بعنف، وينتقل للطريق المعاكس مسرعًا، ليلحق بسيارة، ويقف بعرض الطريق أمامها، ثم يمد يده للتابلوه، ويخرج مسدسًا، وهو يهدر بسباب منهمر؛ غضبًا على السائق الآخر!

كنت الجالس بجواره، والأقرب له، فانقضضت عليه، وطوقت ذراعيه بقوة – وكنت آنذاك شابًّا فلاحًا صلبًا – وأخذت أهدئه: يا رجل.. حاسب/ اهدأ/ اتق الله/ بتعمل إيه/ الله يهديك/ استعذ بالله.. كل هذا والرجل مشتعل نارًا من الغضب، وهو يصرخ في الآخر: يا بن الكلب.. كنت هاتموتنا/ أربعتاشر سنة اسوق بلا مخالفة وأنت تقتلني؟/ مَن لبناتي يا بن ال.. وكان الرجل الآخر صامتًا لا يحير جوابًا، وكان معه خمس نساء بالسيارة.

وكان سائقنا كلما هدأ قليلًا عاد للاشتعال، ومد يده ليستعيد المسدس، فأمسكه وأهدئه! حتى قال للرجل في النهاية: والله لو لم يكن معك حريم لدفنتك هنا يا بن..

كان هذا السائق طوال الطريق من المدينة، دمثًا مؤدبًا – كأنه متعلم – عكس السائقين الذين عرفناهم على موقف تكاسي المدينة آنذاك، بسمعتهم الرديئة!

وكان قد بقي على وصولنا جدة نحو خمسين كيلو قطعناها في ساعتين، وهو يرتجف ويستغفر، ويعتذر لنا، ولما وصلنا لموقف جدة، قال في أسىً: كنت ناويًا أن أوصلكم لمكانكم، لولا أنكم ترون حالتي... وعذرناه، واعتذرنا له، ومضينا!

غريبولّا

ونظرًا لعالمية الجامعة، وتنوع الجنسيات، فقد انفتحنا على عالم جديد من الأسماء الغريبة، وغير المنطقية، والمخالفة للاعتقاد، ومنذئذٍ ابتدأ شغفي بالأسماء والمصطلحات، والعناية بها، والكتابة عنها.. ففي الجامعة وجدنا الأسماء الباكستانية والهندية الغريبة: مثل: محفوظ الرحمن، وحبيب الرحمن، وخليل الله، وما شابه.. كما وجدت اسم: غلام الله – تعالى الله، لو أُخذت بالظاهر – وكان تونسيًّا شيوعيًّا مغرقًا في الضلالة، و(مخه جزمة) فعلًا!

وكان معنا سوداني اسمه غريبولَّا، لم أنتبه أول الأمر لدلالة اسمه، ثم أدركت بعدُ عادتهم في قلب القاف غينًا، فهو إذن قريب الله.. قريب ماذا؟

قريب الله؟! يا للسوء، وكيف مررت الجامعة ذلك وقد كانوا يغيرون الأسماء فعلا؛ على الأقل في الكشوف الرسمية لحين التخرج؟!

أَمشي يا عبد الزلام يا أخي

وبمناسبة الأخ السوداني، أتذكر هنا أمر اختلاف اللهجات، وتنوعها، ومعاناتي أول الأمر من اللهجة المغربية على التحديد، التي اكتشفت فيما بعد أنها خليط غريب من العربية والفرنسية والإسبانية والأمازيغية، مع لكنة سريعة، لا تدع لك مجالًا للفهم، وأذكر أنني قلت لأحد المغاربة ذلك، فقال بنوع من العصبية التي يعرفون بها: احنا أحسن ناس، ولهجتنا أوضح لهجة، ولهجتكم هي الغريبة والسيئة – ومن عادتهم أنهم كانوا إذا كلمونا

حاولوا البطء والإفصاح، فإذا كلم بعضهم بعضًا دخلوا في الهذرمة غير المفصحة – وبينما هو يتهكم ويتهجم، جاء اثنان يكلمانه، فانقلبت الأفواه إلى مدافع سريعة الطلقات، بلكنة يستحيل أن أدرك خمسة بالمائة منها، فنظرت إليه وإليهم، وأخذت أقلب يدي بتعجب، فانتبه، وأخذ يضحك!

وكذا اللهجة السودانية، التي كنت أستمتع بسماعها من (العايق) المتأنق بثيابه السودانية دائمًا، وابن النكتة علي التوم (أ.د. علي محمد عثمان التوم الأستاذ المشارك في أصول التربية بجامعة أم درمان الإسلامية الآن) عاشق الطرب السوداني، وكان يغني إذا خلونا: (فارجَتْ حِلتناا.. مثلَ الطيرَ الغريب.. سافر عشية) بصوته المميز!

المهم أنني كنت أعددت مجلة مطبوعة للكلية لأول مرة على الاستنسل، فيها مقالات للزملاء، وكان عندنا أيضًا مشرف سوداني سمح الهيئة، في إدارة الإشراف الاجتماعي اسمه أ. مختار، كان كلما رآني قال: عبد الزلام يا أخي، أَمْشي (هكذا) اعمل لي مجلة يا أخي؟!

وكنت أنفعل من كلمة (امش) هذه، وأرد، والله ما انا عامل حاجة، وأخرج غاضبًا!

تكرر الأمر، ولاحظ زهير كبي غضبي فسألني: انت بتزعل ليه؟

قلت له: انت مش سامع بيقول إيه؟ دا بيقول امشِ! إننا لا نقولها إلا للكلاب!

فقال بهدوء: هذه لهجتهم، والكلمة عادية عندهم، والرجل لا يقصد سوءًا!

معقول؟ إذن فأنا قد أخطأت.. وذهبت إليه واعتذرت، وأجبت طلبه!

جودة

وبمناسبة حوادث طريق جدة المدينة، لا بد للمنصف أن يشهد بتطور شبكة الطرق في المملكة بعد ذلك بدرجة مميزة ومدهشة، بعد أن كان السفر عليها مخاطرة مربكة ومخوفة، وكنا كل عام نفقد بعض أصدقائنا المسافرين للعمرة.. كل عام!

ومرت السنة الرابعة بدون أحداث بفضل الله تبارك وتعالى، حتى امتُحنا وظهرت النتائج، ثم حصد الموت أربعة من الطلاب راجعين لديارهم!

ثم جاءنا في التوقيت ذاته موت جودة: الزميل السوداني السمين الذي لم أره إلا ودودًا عريض الابتسامة، بسيطًا تلقائيًّا، إلفًا مألوفًا، متسامحًا، عليه رحمات الله ورضوانه!

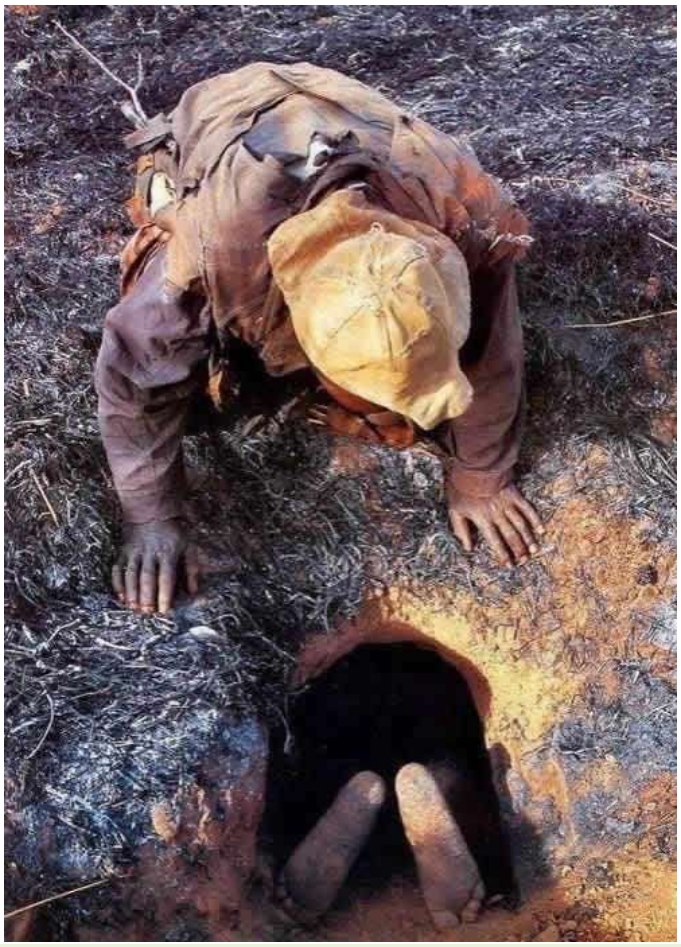

كان جوده من جنوب السودان، وكنت أشبهه في قومه بمصعب بن عمير رضي الله عليه، وأحفزه، وأقول له دائمًا إنه محظوظ بكونه المختار لهداية قومه، وفتْح قلوبهم لدين الله عز وجل..

كان من قبيلة وثنية، تعيش حياة فقيرة بدائية جاهلية!

حكى لي يومًا كيف يأكلون القردة، وكيف يصيدون الأصلات الضخمة، وهي ثعابين ضخام طويلة سمينة عضلية عاصرة، كسلى، تتحرك للصيد، وتملأ بطنها بحيوان متوسط الحجم، وتبقى أيامًا حتى تجوع، فتخرج لتصيد غيره، وهكذا.

قال لي إنهم يعرفون أماكنها، وأين تختبئ، فإذا أرادوا صيدها، ذهبوا إلى جحرها، ولف أحدهم نفسه بجلد أو شيء سميك، أو ذراعه أو ساقه حتى الفخذ، ثم مدها داخل الجحر، وبقي كذلك، فإذا انتبهت بعد إحساسها بالجوع، وجدت فريستها أمامها فالتقمتها، وأخذت تشدها تدريجيًّا، ويمتلئ فمها، فيبدأ الرجال المتأهبون المساعدون بهدم الجحر وإمساكها جزءًا فجزءًا، حتى يتمكنوا من رأسها العاجز الذي التقم فخذ الرجل، والذي لا تستطيع أن تلفظه، فيقطعوا شدقيها بالسكاكين، فلا تعود لها قوة تذكر! – وهي كتلة من العضلات القوية جدًّا – ويبدؤون تقطيعها بالفؤوس قطعًا كبيرة، ثم

يأخذونها لتطبخ! وتبقى في القدر طويلًا حتى تنضج، وربما قفزت من القدر قطعٌ (هكذا) كأن بها نوع طاقة مخزونة!

يا حسين

ومن أفظع ما رأيت أيضًا أنني كنت نازلًا لصلاة الجمعة بالحرم النبوي الشريف، وعند منعطف رأيت ساقًا بشرية مقطوعة يسيل منها الدم، وبعد المنعطف وجدت أشلاء أخرى، ثم رجلا صريعًا كأنما ضربته سيارة وهربت، فقد كان حقًّا ممزقًا، وبه رمق، وهو يصيح في نزعِه: يا حسين.. يا حسين!

واندهشت من رجل في هذا المقام لا يقول يا الله، ولا يشهد أن لا إله إلا الله!

وبمناسبة الشيعة، أذكر أن معممًا رافضيًّا جاء للجامعة ذات يوم، فعلم الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله، فقال بصرامة وحدة: أخرجوه من الجامعة، فلو بقي بها دقيقة لملأها فسادًا!

والحقيقة أن مشائخ الجامعة كانوا يحذروننا بشدة من الروافض، ويتحدثون عن إساءاتهم للإسلام، وسبهم للصحابة الكرام، وأصولهم الفاسدة في الفهم والاعتقاد والسلوك، وكانت الكتب عن الروافض متاحة مبذولة فقرأنا كثيرًا عنهم، ثم لما وقعت ثورتهم بعد ذلك بقليل – 1979 – افتتن كثير من الإسلاميين بهم – خصوصًا الإخوان، قادة ومنتسبين، وعلى الأخص المتسرعين – ووالوهم، وهاجموا من يتحدث عنهم ولو بإشارة، وكانت فهومهم – للأسف – سطحية متسرعة متعصبة بغير وعي ولا تدبر للحقائق والعواقب..

وقد عشنا ورأينا خصومتهم الفاضحة لأهل السنة، ونكايتهم فيهم عند التمكن، في العراق وسوريا واليمن، كما رأينا أفعالهم في سنة إيران، ورأينا علماء مثل العلامة القرضاوي يتراجعون عن تأييد طويل لهم – تحت مسمى التقريب – ويعتذر عن موقفه السابق، ويقول صراحة إن مشايخ في السعودية كانوا أبصر منه، وأكثر وعيًا بخطر الروافض من وقت مبكر؛ جزاهم الله خيرًا وجزاه!

حبيب الرحمن رحمه الله

كانت الجامعة تختار عددًا من الطلاب النشطين للحج في حملتها السنوية، بصحبة المشايخ الكبار! وقد أراد الله تعالى – منة منه وفضلًا – أن أحج مع ابن باز، والشنقيطي، وأبي بكر الجزائري، فلاتة، وحماد الأنصاري، وعلي مشرف (ذي الشعر الطويل تحت غترته) وعدد كبير من أساتذة الجمعة، وضيوفها، وكان منهم آنذاك الشيخ الشاب عبد المجيد الزنداني – الذي كان في أوائل اشتهاره – وكان من مهماتنا توزيع الكتب وإرشاد الحجاج، والمسارعة في خدمة من في المخيم..

وأذكر أنهم في أول عام أعطونا سيارة نقل محملة بالكتب لتوزيعها على الحجيج، وكنت أقف أمام رصة الكتب، أغري الحجاج لأخذ ما يريدون، وكان بعض من لا يعرف العربية منهم يظن أنني أبيعها – وقد تعودوا من الناس أن يبيعوهم كل شيء في الموسم – فكنت أغريهم بأساليب متفاوتة ليأخذوا نصيبهم.

وأذكر أن مسنًّا عراقيًّا ضل عن حملته، وهو لا يعرف شيئًا عنها، وظللت معه حتى أعياني البحث، لأجدهم في النهاية، فلما وصل إلى مأمنه، قلت له: في أمان الله يا عمي، هؤلاء قومك، فقال لي: عمك أنت؟ وسبَّني ومضى، ومضيت في تعجبي منه ودهشتي!

لكن من أغرب ما حصل وأشقه على نفسه ذلك الحريق الذي وقع عامذاك (1976/ 1396) فقد نزلت لمكة صباحًا لطواف الإفاضة، وكان الوصول صعبًا آنذاك والرجوع!

عدت عند المغرب لأجد المعسكرات حولنا كلها قد احترقت، ومات فيها عدد كبير من المصريين والإيرانيين، والمكان كله مملوء بمياه الإطفاء، والمنظر مروع صادم!

ثم وجدت صديقي الأفغاني الحميم حبيب الرحمن وقد حُمّ من هول النيران، وهو يلف نفسه بكساء أفغاني ثقيل من الارتجاف الذي عراه، وأخذ يحكي لي عما وقع..

المهم أن حبيبًا هذا الذي لم يمت بالحريق بقي في مكة، لتضربه سيارة بعدها بنحو شهر، فقام، وطلب من صاحب السيارة أن يذهب، ثم مات نزيفًا إلى رحمة الله تعالى!

والأغرب من هذا، أنني سنة 2007 – أي بعد الحادث بنحو تسع وعشرين سنة – زارني صحفي أفغاني من قناة الجزيرة، وذكرت له عن معرفتي بحبيب الرحمن، فقال إنه ابن عمته أو خالته، وإنه كان خاطبًا آنذاك، وإن خطيبته تبتلت بعده، وأبت الزواج بشكل مطلق؛ حبًّا له، ووفاء لذكراه، رحمه الله تعالى!

وكان حبيب الرحمن هذا ذا دعابة ولطف، ومن لطيف ما حكاه أنه كان له صديق أثير، وكان ابن خالته في الوقت نفسه، التقط له ذات يوم صورة وهو يبول أمام حائط، كعادة أولاد الفقراء، ثم شاء الله تعالى أن يكبر هذا الصديق، ويصير سفيرًا لبلاده في بلد أوربي، فكان حبيب يبتزه، ويستغل مركزه:

عايز بدلة صوف، وإلا نشرت الصورة..

عايز حذاء إيطالي وإلا..

عايز.. وإلا.. وابن الخالة يستجيب ويضحك.

رحمنا الله وإياه برحمته الواسعة!

أبو العز رحمه الله

من المواقف التي أدهشتني أول سني دراستي أنني صادفت زميلًا (بصيرًا)، كان يسبقني في الجامعة بسنة (صار بعد ذلك أحب الزملاء لي) وكنا نازلين للمدينة في تاكسي، فهممت أن أدفع عنه الأجرة، فأبي بغضب واستعلاء، فاعتذرت، وكدت أنصرف، لولا ملاحظتي أنه لما نزل من التاكسي كان مرتبكًا، فاقترحت أن أوصله معي للحرم، فإذا به يأبى ثانية بشيء من النفور، وقال: أنا أعرف الطريق، لا أحتاج من يدلني، فانصرفت متعجبًا من عصبيته، ومن قوله؛ إذ كيف يعرف الطريق وحده؟!

بعد ذلك التقينا وتصافينا، وأدركت أن من مفاتيح شخصيته أنه لا يرضى أن يكون عبئًا على أحد أبدًا!

سألته: كيف تعرف الطريق وحدك؟ فأجابني جوابًا غريبًا، جعلني أفكر في الخفاش وآليات الرؤية الليلية عنده، كانت يمسك بسلسة فيها مفاتيح، درب نفسه على صوتها: فهو يهزها ما دام يمشي، فإذا اختلف الصوت أدرك أن أمامه حائلا أو رصيفًا أو حفرة – يميز كل شيء بصوت – فيقف ويعدل طريقه، ويواصل.

فانظر كيف سلبه الله البصيرة، وأعطاه قدرة لا يتميز بها ملايين المبصرين، هذا بجانب أدبه الجم، وكتابته الشعر، وممارسته الرياضة، وتفوقه الدراسي، والأنفة الفطرية التي تغنيه عن مساعدات الآخرين..

ومن لطائف أبي العز رحمه الله وهمته الشخصية، أنه في أول كل عام دراسي كان يتفق مع اثنين أو ثلاثة من أصحابه يقرؤون له مقرر العام كله على كاسيتات، يرقِّمها هو بمعرفته (بطريقة بريل) ثم يذاكر وحده ويتفوق، دون أن يكون عبئًا على أحد أبدًا.. في حين أن زميلًا آخر أعمى كان يزعج الزملاء، ويطاردهم، ويشكوهم، ويجبرهم على القراءة له، حتى استثقلوه ومجوه، وكانوا دائمي الهروب منه.. رحمة الله علينا جميعًا!

الفيصل رحمه الله

كان الملك فيصل رحمه الله تعالى قد اغتيل قبل وصولنا بمدة وجيزة، فكتبت أبياتًا في رثائه، نشرتها في لوحة حائطية، عُلقت على لوحة الإعلانات بمدخل كلية الشريعة، وكان أهل الجامعة آنذاك لا يعرفون معنى المجلة الحائطية، وكأنهم أيضًا لم يروا فتًى خطاطًا، فاستلفت ذلك أنظارهم منذ البدايات، وكان هذا الأمر سببًا لعودتي للجامعة بعد أن فصلوني منها.. كما مر!

وتصدى للسان الشيخ

كان الأساتذة في الجملة لطيفين أعفة اللسان، لكنْ كان في بعضهم خشونة، وحدّةٌ في الحكم على الناس، يسهل عليه أن يتهم بالفسق، والابتداع، والكفر، وأحيانًا بسببٍ ذريع – غفر الله لنا ولهم – عكس ما تعلمت من سائر المشائخ، جزاهم الله عني كل الخير، فوالله ما ورثت التوقف عن الكلام في الناس، والحرص في الحكم – إذا كنت كذلك – وعدم الاجتراء على عالم قديم أو حديث، إلا من خلال الشيخ العظيم الورع بحر العلم محمد المختار الشنقيطي عليه رحمات الله ورضوانه!

ثم تعمق هذا بعد أن قرأت طويلا في سير أعلام النبلاء، ورأيت منهج الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، في الحرص في أحكامه، وعدم إطلاق الألفاظ الصعبة في الحكم على الناس؛ إلا على بيِّني المروق من الدين!

المهم أن شيخنا هذا – غفر الله له – كان إذا ذكر أحدًا لا يعجبه، قال: الكلب ابن الكلب، الخنزير ابن الخنزير، ويستكثر من ترداد هذه العبارة الفجة، غير المعقولة!

وذات يوم قام أحد الطلبة غضبان منفعلا، وقال له: توقف، واتق الله! كفاك سبًّا، ليس من حقك بأي حال أن تسب أحدًا بهذه الطريقة! وترك الحصة وخرج. وصارت أزمة لا داعي لأذكر تفاصيلها، لكن الله تعالى أخمل ذكر هذا الشيخ – كشأن السبابين الهجامين – فلا أراه منذئذٍ موجودًا على الساحة، ولا مشتهرًا بين علماء المملكة، ولا غيرهم.

الشيخ ميرة شفاه الله:

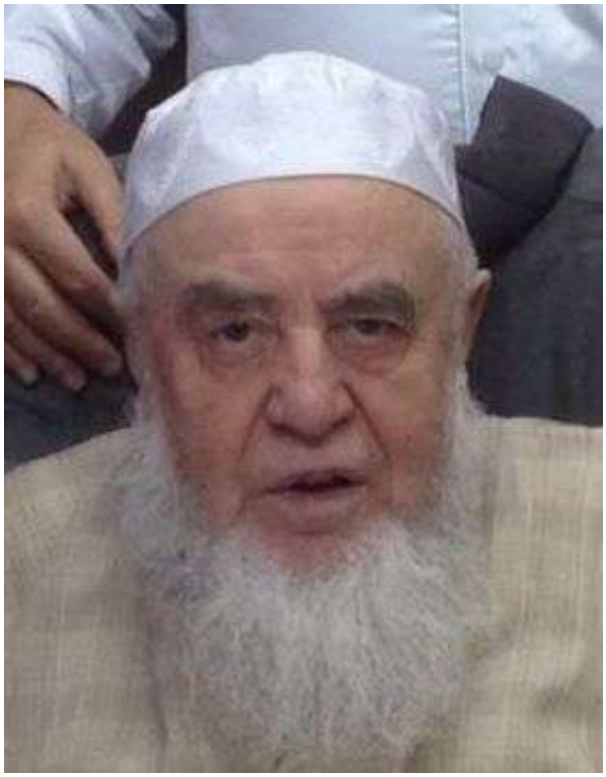

ومقابل هذا – كما مر في ترجمتي للشنقيطي – أفلت لسان شيخي العظيم بكلمة لم يقصدها على الإطلاق، لطالب بالقاعة، فعرق، وتدارك نفسه وأصلحها، وتلجلج، وأخذ يعتذر وقتًا طويلا، حتى أشفقت عليه رحمه الله تعالى!

ومقابل هذا الشيخ العنيف الحاد أيضًا كان هناك شيوخ آخرون رفيقون بسّامون، منهم الأستاذ الدكتور محمود أحمد ميرة الذي علمنا علم التخريج والأسانيد، شفاه الله وعافاه!

وقد كان محبب اللهجة، بسام الوجه، يُطرفنا بين الحين والحين بما يشد انتباهنا!

- ومن طرائف من حكاه لنا أنه دخل الصف ذات يومًا، فوجد طالبًا يمانيًّا قد انتحي ناحية، ونام على الأرض في القاعة، فقال الشيخ؟ ما هذا؟ قم، هذه حصة!

  فرد الشاب: قيلوا؛ فإن الشياطين لا تقيل.. هذا وقت قيلولتي!

- وحكى لنا أن خطيبًا حلبيًّا عندهم – من الدخلاء على العلم والخطبة – أمسك ذات درس، بكتاب ابن الجوزي (الموضوعات) وأخذ يقرأ منه للناس، فلما نبهوه قال: وما في ذلك!؟ هذا كتاب موضوعات، وأنا أقرأ لكم موضوعًا منه!
- وحكى لنا عن حمار توما الذي استحمر صاحبه:

قال الحمار حمار توما: لو أنصف الدهر كنت أركب

فإن جهليَ جهلٌ بسيط وجهل توما جهلٌ مركّب!

- وحكى لنا عن نوادر التصحيف؛ كذلك الذي قرأ: المؤمن كيسُ قطن، بدل: كيّسٌ فطِن! والذي قرأ: الحية السوداء شفاء من كل داء، بدل الحية! والذي وضع أمامه عنْزة في الصلاة بدل العنَزة! وهكذا، كان لطيفًا بشوشًا حسن التعامل، والشرح والعطاء، جزاه الله خير الجزاء. وستأتي ترجمته بعدُ..

كما أن هناك لطائف شهدتها بنفسي من الشيخ عبد المحسن العباد وغيرها، أشرت إليها في مواضعها من التراجم، كما جمعتها وغيرها في كتابي: شيوخ ظرفاء، فرضي الله عن مشايخي أجمعين.

بلقيس

كان لنا زميل يمني كبير السن، عضوًا بمجلس النواب اليمني، ولم تكن الجامعة ترى مانعًا إذا ذاك أن يلتحق بها رجل في الخامسة والأربعين، وكان كثير الاعتزاز بيمنيته، قبليًّا متعصبًا، دائم الانتقاد والسب للسعوديين، يستنكف أن يجلس بين الطلاب!

ولا أدري لماذا استظرفني، فكنا معظم النهار، نتحرك معًا، وننزل للمدينة معًا، ونأكل ونشرب جميعًا، أنا وهو وزميلاي المبتعثان معي – خير وفؤاد – ثم بدا له أن يخطبني لابنته.....، وعزم على ذلك بقوة، وترحاب عجيبين..

ولما دخل الامتحان أحرز أعجب نتيجة بين الطلاب، فقد رسب في المواد كلها، ليولي مدبرًا من الجامعة، غاضبا لاعنًا، ولم يعقِّب..

ولم أره بعدها ولم أر بلقيس!

وبلقيس – بالمناسبة – ليس اسم ملكة سبأ، بل صفة ذميمة أسبغها عليها اليهود، كما سمعت من بعض المدققين..

وهي امرأة من كرائم النساء عاقلة، زكى القرآن فراستها، ورجوعها للحق، أقرت بظلمها نفسها – بعبادتها الشمس والأوثان – وأسلمت مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين، رضي الله عنها، وعن الصالحات جمعاوات.

العقارب والحر والمطر

جو المدينة جو قاري جاف، شديد الحرارة، شديد البرودة، لهذا كانت المشربيات والشبابيك العالية الواسعة عثمانية الطراز حلًّا ذهبيًّا، لا يدركه ولا يقدره الذين يعيشون في عمارات إسمنتية بالزجاج والألمونيوم.. وكم قاسينا من حرارته ومن برودته! وكانت الحرارة هي الأسوأ، إذ لم تكن المهاجع التي نقيم بها مكيفة!

ومما كان يؤذينا أحيانًا، أن يقوم زميل سعودي بدوي – ونحن ننفخ من الحر – ليطفئ المكيف في قاعة المحاضرات، على أساس أن سيادته لا يحب المكيفات، وأن الفرن الذي حولنا بالنسبة له نعمة وراحة بال!

وكم تعرضنا للالتهاب الرئوي في غُرَفنا؛ لولا فضل الله تعالى، ثم فضلةٌ من فتوة آنذاك، حين كنا نُغرق المرتبة الإسفنجية بالماء، ثم نضعها تحت المروحة التي أديرت على أقصى سرعة لها، ثم ننام متخففين جدًّا من ثيابنا، ابترادًا، وسعيًا للعافية!

وكنا نسمع بالعقارب التي تتكاثر كالنمل، لكنني في واقع الأمر لم أر عقربًا طوال وجودي؛ إلا ما حدث في ليلة صيفية، حين خرجتُ لأذاكر أمام بوابة الجامعة، متمشيًا جيئة وذهابًا، حيث الطريق مسفلتٌ مضاء، وهربًا من حرارة الغرفة، وحنينًا لما كنا نفعله على كورنيش نيل زفتى في المرحلة الثانوية..

المهم رأيت العقرب سوداء بلون الأسفلت تتحرك مسرعة، فتجمدت مكاني هلعًا – وكنت أرى العقرب عيانًا لأول مرة في عمري – لكن ما لبثت أن انحنيتُ على حجر كبير وضربتها به، وجريت خوفًا؛ كأنما ستدركني.. وأعتقد أنها دهست تمامًا..

وكان البرد بالمقابل سَمومًا، ينفذ في العظام، لكن حلَّه كان أيسر، وكان يخففه أحيانًا هطول المطر بندرة، وللمطر معنا حكايات:

أذكر أنني كنت أصلي في الباحة الخارجية للحرم الشريف، وهطلت الأمطار غزيرة عنيفة سحاء، فامتلأت الأرضية الرخامية، وعلا الماء سنتيمترات حتى حمل سجاد الحرام – على ضخامته وثقله – وتحرك به مسافات، وأنا أراقب مندهشًا، وبعد العشاء، ركبنا

الباصات وتحركنا نحو الجامعة، لأفاجأ أن هذا المطر الغزير الغدق إنما كان على الحرم والمنطقة حوله، ولم يكن ثم أثر لقطرة، بعد كيلو متر واحد منه، وعدت أراقب الطريق حتى الجامعة، غارقًا في دهشتي، فقد كانت الأرض تتشقق جفافًا!

ومما رأيناه غير مرة – وكنا في وادي العقيق الفسيح وفيه مساحة سهلية ممتدة محوطة بالتلال والجبال – أن كانت السيول تنحط من أعلى الجبال، لتجرف كل شيء أمامها، ثم تتفرق في الشعاب وتضيع في الرمل بعد ذلك، غير مساحة اختطها السيل مجرى لنفسه كان يتجمع فيها الماء الطامي الأحمر زمنًا، حيث يأتي أهل المدينة، ليستمتعوا بالغدران، وبالسباحة في هذا الماء شديد البرودة (!) وسط جو خارجي شديد الحرارة، وكم غرق فيه أطفال، سهل عليهم الدخول، ولم يستطيعوا خروجًا!

ولو أنهم نجحوا في احتواء هذا الماء، وصنعوا مجاري له، لاستفادوا منه فوائد عظيمة في الشرب والزراعة، والثروة السمكية، والتنزه وغير ذلك!

مسجد القبلتين: ثلاث حالات

كانت منازل الوحي أيام وجودنا في هذه الفترة بسيطة، طبيعية غالبًا، فلا هي مطموسة، ولا هي مبهرجة؛ حتى إنني لما مررت بعين بدر ذات عمرة، أحسست فعلًا أنني أرى بعيني العدوتين الدنيا والقصوى، وهذا الرمل الناعم كالدقيق، الذي تنغرز فيه الأرجل، وأدركت حسيًّا دلالة إنزال الماء من السماء، فوق المسلمين وحدهم في بدر، ليلبِّد الأرض تحت أقدامهم – ولو نسبيًّا – فيستطيعوا الحركة!

ورأيت عين بدر – على يمين طريق الذاهب إلى جدة – بسيطة لا شيء حولها، وعرتني هزة لذكرى يوم الفرقان، ووجود سيد ولد عدنان، والخلفاء غير عثمان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم، ورضي عنهم أجمعين.

ومثل ذلك – في البساطة – كان مسجد القبلتين: مجرد مكان تحوطه الصحراء من جهاته كلها، غير مقبب ولا مميز، ولا مباني حوله، بل كان – كما مر – غرفة واسعة مهملة قذرة، وبابه مجافٌ موارب، يستعسر على من يريد فتحه!

وأنا هنا بالتأكيد لا أدعو للقذارة، والإهمال، ولا لتجاهل مواقع التنزيل، ولكنني أرفض الغلو؛ فلا الإهمال يبتغى، ولا التوثين يراد!

المهم أنني عدت بعد أوائل التسعينيات لأرى القبلتين مسجدًا ضخمًا فخمًا متصلًا بالعمران، بعد تغير بنية طيبة، وكيميائها الروحية!

لكنه حوى شيئًا جعلني أغضب غضبًا شديدًا، وأدعو على أعمى البصيرة الذي اقترف الخطأ الذي رأيته:

كانوا قد نصبوا حائطًا بارتفاع مترين عكس اتجاه القبلة، كُتبت عليه أسطر بعدة لغات – أذكر منها العربية والإنجليزية والفرنسية والأردية والإندونيسية – بخط الأستاذ حسن شلبي (قد نرى تقلب وجهك.....) وقد وقفت جمهرة من الروافض، الذين أعطوا ظهورهم للقبلة، واتجهوا ناحية بيت المقدس، وأمسكوا بكتب يقرؤون منها، ويهتزون!

ولم أستطع أن أدفع عن ذهني فعل اليهود أمام حائط البراق، واقفين يهتزون، ويذرفون الدموع الكواذب، فحوقلت، ورفعت صوتي قائلًا:

إن هذا باطل، وينبغي أن يزال.. أهذا حائط مبكىً جديد؟!

وفعلا عدت بعدها بعامين فوجدتهم قد أزالوه، ووضعوا فوق باب الخروج إشارة يلحظها من كان مهتمًّا، وبذا زالت فتنة كبيرة، وبدعة عظيمة، من المدينة المنورة!

سعود رحمه الله تعالى

كانت الجامعة عالمية كما مر، فكنت تجد طلابًا من القارات الست، منوعين، فمنهم من تحبه ويأسرك، ومنهم من تزدريه وينفرك، كالجواسيس الذين مر ذكرهم!

وكان لنا زميل زائيري عفريت، اسمه سعود، كان كثير الشغب، شديد الظرف، حسن المداعبة، يجلس في الصف فيهمهم بفمه، أو يحدث صوتًا لافتًا، ليلتفت الأستاذ، فيشير إليّ أنا – على أني الفاعل – ليغضب الشيخ ويطردني من المحاضرة، تكرر هذا غير مرة، ولم أغضب منه قط؛ بل كنت أضحك مستطرفًا إياه، ثم أراد الله الله تعالى أن يصاب هذا الظريف بداء عجل بنهايته بشكل سريع!

ذهبت إليه أعوده في مستشفى الملك بالمدينة، مع الصديق زهير كبي (الشيخ زهير الكبي مدير صندوق الزكاة بلبنان) فنظر إلينا، وإلى بعض من يعودونه، لافتًا النظر إلى تنوعنا العرقي، واختلاف بلداننا، وقال في تعجب، كلمة لم أستطيع نسيانها ليومي هذا: (سبحان الله؛ لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم؛ ولكن الله ألف بينهم)!

ومات عليه رحمات الله، وشيعناه، وبكيناه بدموع غزار، ووجعٍ مُحرق، وعدنا من البقيع بعد دفنه وقد تسلخ زهير كبي (الرياضي السمين) من الحر والعرق!

في مطعم الجامعة

ابتليت بأنني لا آكل إلا ما أعرف، فلا قبل لي بذوق الطعام والتجريب فيه كعادة كل الناس.

ونظرًا لتنوع الجنسيات، فقد كان من الممكن أن تجد (عكاكًا) يأكل بطريقة عجيبة غريبة!

زميل أفريقي ذات إفطار في مطعم الجامعة، جمع ما على (صينية) الإفطار كلها: الحلاوة الطحينية، مع الفول، مع العدس، مع المربى، مع موزة، مع لا أدري ماذا، وعجن ذلك بيده المجردة حتى صار شيئًا مرعبًا في شكله وطبيعته، وبيده المجردة باسم الله أدخل المكونات فمه على مرات قليلة، ثم قام، وأنا أكاد أقيء من هول المنظر، وهول الفعل!

زميل آخر طيب، من أحسن من عرفتهم أيامئذٍ أخلاقًا (محمد أحمد بري) من الكاميرون على ما أذكر، دعاني للغداء في غرفته، فلما كان الطعام بيني وبينه، أتى بمسحوق أسود وذرَّه على الطبق، فأمسكت يده بسرعة، ورجوته أن يدع لي مساحة لا يقربها مسحوق الفحم هذا الذي لم أعرف ما هو، وهو مستغرب، وأخذ يمدحه لي وأنا مندهش!

التثليث في الجامعة الإسلامية

من مقالبي التي عملتها يومًا أن الأستاذ نبيل طوسون، المشرف الرياضي في الجامعة رآني فتى فلاحًا صلبًا، فضمني – رغم عدم انضباطي المطلق – لفريق الجوالة بالجامعة، تحت إمرة النشيط زهير، ولبسنا اللبس الكاكي والفولار الأزرق، ولما طلبوا منا الاهتمام بإشارة الكشافة: (رفع الأصابع الثلاثة الوسطى للكف) احتججت، وقلت للأستاذ نبيل إنها لا تصح، وإنها علامة كنسية، تعنى التثليث، ولا يجوز أن تكون شعارًا لنا، في مثل هذه الجامعة!

لكن الأستاذ نبيلًا ذكر أنها إشارة عالمية، لا يمكن تغييرها، ولا تجاوزها، وأن هذا لا يعقل، ولن يكون...

وذات طابور مر الأمين العام للجامعة الشيخ عمر فلاتة، وطلب الأستاذ نبيل أن نؤدي تحية الجوالة، فهتفت: آب، ابن، روح قدس....إله واحد! فنظر الشيخ بتعجب: إيش هذا؟

فقلت: تحية الكشافة يا شيخ.. شعار بادن باول.. ما ينفع نقوله في الجامعة!

واقترحت أن نجعل شعار الكشافة رفع الإصبع الشاهد بدل التثليث.. وخرَّبت عليهم، وكنت كمن (ضرب كرسي في الكلوب) كما يقول المصريون!

العودة التعيسة

جئت للمدينة – كما قلت أول هذا الكتاب – منزعجًا، وفصلت بعد أول سنة من الجامعة، تمردًا، ثم ردني الله تعالى إليها، وفتح بصيرتي، حتى أعقل، وأتعلم، وأرضى، لأعود من فراقها حزينًا باكيًا؛ فله سبحانه الحمد والمنة، وله الثناء الحسن الجميل!

تمت السنين الأربع كلمح البصر، وظهرت النتائج، وآن أوان الاحتفال بالمتميزين، وكان من يسلم الشهادات في العادة، هو الرئيس الأعلى للجامعة، وكان آنذاك الملك فهد ابن عبد العزيز، لكنه لم يجئ ذلك العام، بل أناب عنه فضيلة الشيخ العلامة ابن باز ليسلمنا الشهادة بنفسه وألف ريال كاش لإحراز الامتياز.

وكان الشيخ – كما قلت – يسلم على كل طالب، ثم يميل على أذنه، ناصحًا له أن يعمل بما علم، وأن يكون عونًا للإسلام، وأن يتقي الله تعالى فيما يأتي من سني عمره، ويدعو له، حتى ينصرف.. لا حرمني الله تعالى فضل دعوته اللهم آمين..

المهم أنه لم يكن لنا مفر من المغادرة سريعًا بعد إنهاء إقامتنا رسميًّا، وكنت قد رسمت لنفسي أحلامًا بلهاء، سببها عدم إدراكي واقع التعليم في مصر، وظننت – بوصفي نبيهًا ما شاء الله حولي – أنني سأعود للأزهر لأدرس سنتين للماجستير، وأخريين

للدكتوراه، وأرجع للمدينة (أستاذ أد الدنيا) لتتكسر أحلامي على صخرة واقع كنود، سأفصله في جزء تالٍ إن شاء الله تبارك وتعالى!

المهم سافرت من المدينة لجدة لأعود لمصر من هناك، ولأصدم بجملة فواجع غبية: فقد اضطرتني الخطوط السعودية أن (أقطع) تذكرة طائرة غير التذكرة التي تعطيها الجامعة للطلاب المغادرين نهائيًّا، ثم بقيت يومين كاملين في المدرج داخل مطار جدة في عز الرطوبة والحر والإنهاك، والحزن على فراق طيبة!

وكان سر تأخرنا في المطار أن السلطات السعودية قررت جمع المخالفين لأنظمة الإقامة في المملكة، وإرجاعهم لبلادهم، فحشرت منهم ألوفًا، وألقت بهم في الطائرات المتاحة ليعودوا لمصر!

وكان هذا كارثة حقيقية، فهم بين نجار مسلح، وعتّال، وبنّاء، وما شابه: أميين بسطاء، يائسين، رافضين للعودة..

ولم يكن أهل الخطوط السعودية يُركبون الناس بنظام، بل تصرفوا بكثير من الفوضى والاستهانة بالناس، وكان الأمر أشبه بأتوبيسات الدلتا (اللي يلحق يلحق) فأدخلوا الناس إلى مدارج الطائرات، فإذا جاءت طائرة تسابقوا إليها (بالعافية) وركبوا، وبقيت هكذا نحو اثنتي عشرة ساعة – غير ما مر من انتظار – ثم ركبت، وجسمي قد امتلأ (حبوبًا) بسبب الحرارة والرطوبة، وكنت بحاجة للاستحمام مدة يومين على الأقل حتى أحس بالانتعاش.

وفي الطائرة كانت (وكسة أخرى) فبمجرد أن تم العدد أشعل كل شخص بالطائرة سيجارة، فإذا كان فيها آنذاك مائة وثمانون شخصًا، فقد صار بها مائة وثمانون سيجارة مشتعلة، وساد الدخان وملأ الطائرة، حتى بات من الصعب أن ترى مترًا أمامك..

وجاءت الست المضيفة اللطيفة ترجو الناس إطفاء السجائر من أجل الإقلاع!

وبصوت واحد قال الجهابذة: مش طافيين!

لازم نمشي يا سادة! لازم نتحرك..

مش ماشيين!

وأصر الإخوة الصنايعية اليائسين على موقفهم، حتى غضبت الست المضيفة، وسبت، وأقذعت، بألفاظ مثل: يا بهايم، ياللي ما بتفهموش....

برضه مش طالعيييين.

وكانت رحلة سوداء، لا أعاد الله مثلها! ولا أذاق كريمًا من كأسها!

ورجعت لمصر لأبدأ سلسلة أخرى من العناء.. محل ذكرها جزء تالٍ إذا أذن الرحمن الرحيم!

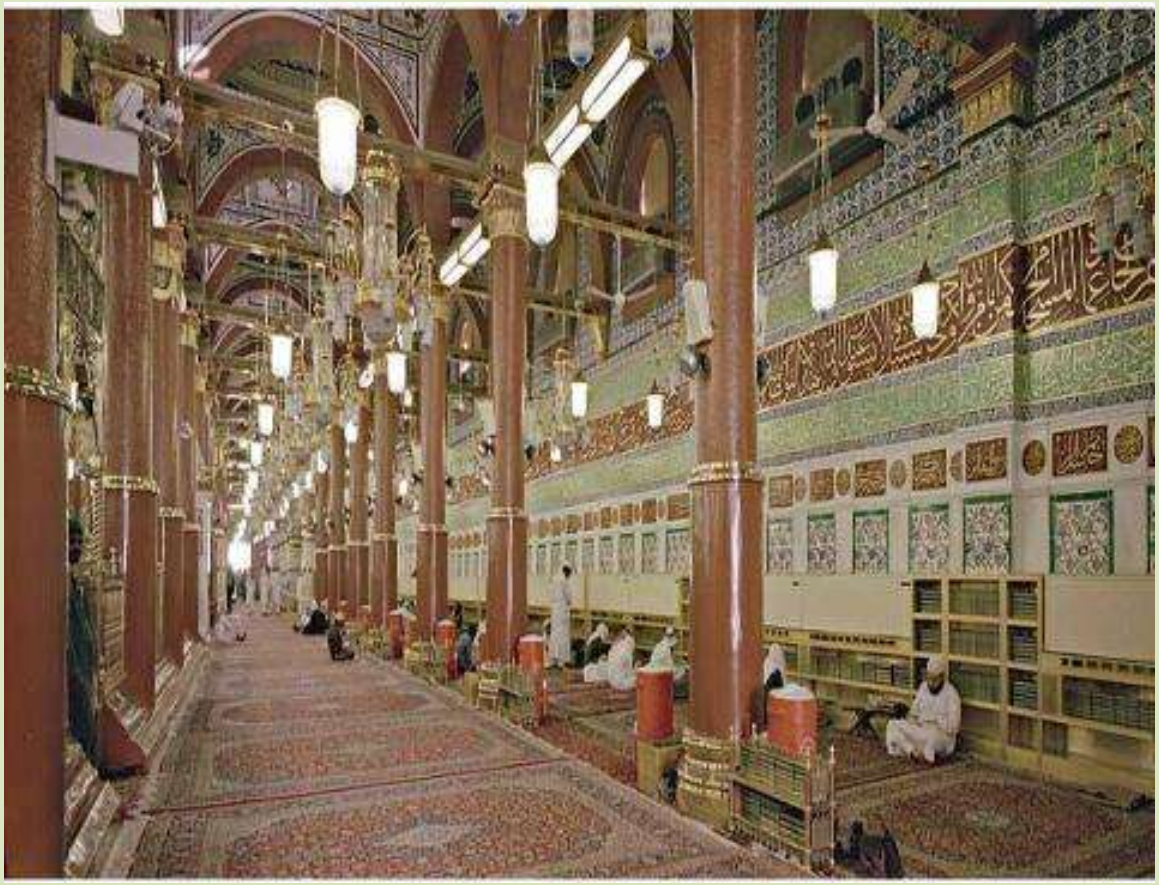

بهاء وجلال العمارة العثمانية، وأطول لوحة في العالم يغفلها كتاب جينيس للأرقام القياسية

ولعل من الملائم هنا أن أنقل هنا ترجمتي لبعض شيوخي الأجلة – بحسب قدر استفادتي منهم، وتأثري بهم – لعل فيها وفاء ببعض حقهم علي، وهي مبثوثة في كتبي؛ خصوصًا كتابي: دعاة ومفكرون عرفتهم:

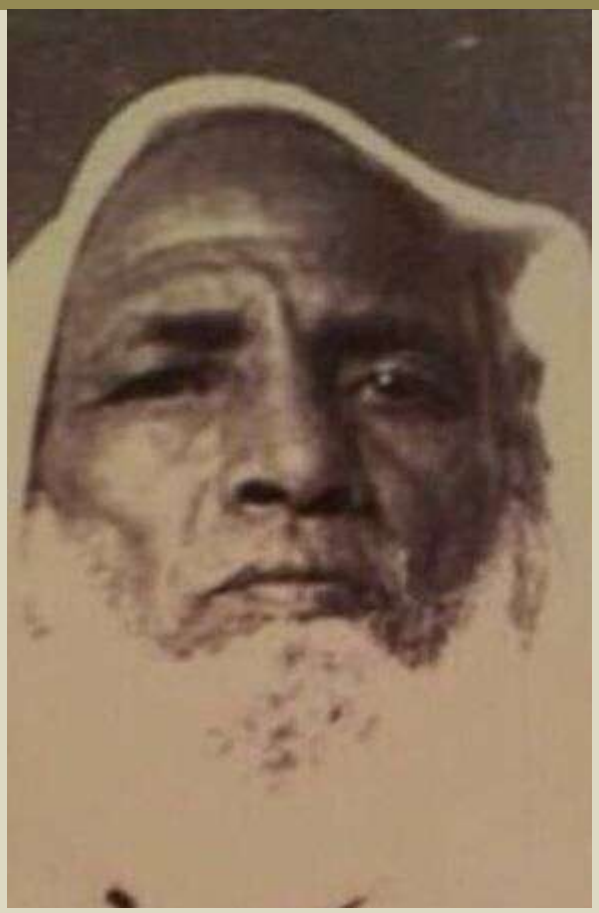

الشيوخ في المدينة

أحسن الله إليهم كما أحسنوا إلينا

الشيوخ الأساتذة

قلت فيما مضى إن إحساسي كان حادًّا بالفروق والمقارنات بين الأساتذة الذين يدرسونني، ومنهجهم في التعليم والتعامل – مقارنة بسابقيهم ممن علموني – جزاهم الله تعالى عني وعن إخوتي خير الجزاء:

- كانوا في طبائعهم أكثر تلقائية، وأقل تكلفًا، وأبعد عن الكبر والتشبع بما لم يعطوا!
- وكانوا – من حيث السمت – أحرص على الالتزام، وأقرب للانضباط، وأنأى عن الكبائر الظاهرة كالكبر، أو التباهي والتشبع بما لم يعطوا، أو التدخين، أو إبعاد المتعلمين؛ حتى إن من لم يكن كذلك اضطر أن يكون، مجاراة، أو تعيُّشًا ومداراة!
- وكانوا في شروحهم أصبر، وأطول نفسًا، وأكثر تدقيقًا!
- وكانوا – كما مر – أحرص على مزج العلم بالتذكير، وخلط الإيمانيات بالعلميات!

وكان هناك شيوخ أيقونات، لهم أسماؤهم وحضورهم: مثل الشنقيطيين (الأمين والمختار) وابن باز، والألباني (قبل وصولي) وعبد الفتاح القاضي!

كما كانت هناك أسماء علمية كبيرة، ومشايخ تقليديون، وأساتذة جامعة عاديون، وآخرون خاملون ضعاف..

وكان أبرز من علموا العربية بالجامعة من المصريين: الدكتور محمد نايل، والدكتور محمد خليفة، والدكتور عبد العظيم الشناوي، وكلهم من العمالقة الكبار، تبعهم بعد ذلك الدكتور محمود شيخون، والدكتور محمد نغش، والأستاذ محمد أبو طالب شاهين!

وكان أبرز من علموا القراءات والإقراء بالجامعة من المصريين أيضًا: الشيخ الكبير عبد الفتاح القاضي، والدكتور محمد سالم محيسن، وأظن أيضًا: الشيخين محمد الصادق قمحاوي، والشيخ رزق حبة (في كلية القرآن).

وكان أبرز من علموا الفقه بالجامعة سعوديين، أهمهم نائب رئيس الجامعة، ومديرها الشيخ الجليل عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وعميد الكلية الشيخ الجليل الدكتور محمد بن حمود الوائلي رحمه الله تعالى..

وكان أبرز من علموا العقيدة بالجامعة سعوديين ومتسعودين من أمثال الشيخ عبد الله الغنيمان، والشيخ الجزائري، والشيخ محمد أمان الجامي!

وكان أبرز من علموا الحديث بالجامعة من الشوام: الدكتور محمود ميرة، والدكتور محمود الطحان، والشيخ عبد الغفار حسن الباكستاني.

وكان أبرز من علموا التفسير بالجامعة من المغاربة أصولًا: الشنقيطي والجزائري!

وكان أبرز من اهتم بالتيارات المعاصرة والتاريخ من المصريين: الدكتور علي جريشة، والدكتور محمد السيد الوكيل، والدكتور رمضان أبو العز، وغيرهم!

وممن احتككنا بهم في إدارة الإشراف الاجتماعي الشيخان عبد الله القادري (الذي صار عميد كلية اللغة العربية بعد ذلك) والشيخ علي مشرف العمري، وكلاهما كان ذا أثر – جزاهما الله خيرًا – وسيأتي إن شاء الله تعالى!

محمد المختار الشنقيطي: رجل من القرون الفاضلة عاش بيننا

شرح سنن النسائي
المسمى
شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية
بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية
تأليف فضيلة الشيخ
محمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي
المدرس بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة
وقف لله تعالى
الجزء الأول

افترض معي إمكان انبعاث عالم من القرن الثاني أو الثالث، ليجد نفسه معنا في القرن العشرين!

وحاول أن تتخيل كيف يكون حاله، من حيث علمه الشمولي الأثري الرباني، ومن حيث تعشقه الفائق للسنة والاتباع، ومن حيث الصراحة التي لا تعرف الالتواء، والصدق الذي لا يتجمل بالمعاريض، ويكره – بتطرف – الكذب والمداجاة، ومن حيث اندهاشه مما يدور حوله، وعدم متابعته لإيقاعه السريع، وانزواؤه منه!

- تخيله في بساطته من حيث هيئته: ثوبه الذي قلّما يكون مكويًّا كما ينبغي، ونعله شديد البساطة، ورائحته الطيبة دائمًا، ومشيته الهينة الرزينة.
- تخيله ومعلوماته عن القرن العشرين الذي انبعث فيه تساوي صفرًا.. وأنه بذلك سيكون كأهل الكهف، الذين لم ينتبهوا لمّا بعثهم الله من مرقدهم إلى أن نهضوا بعد رقاد، في بيئة لا تعرف أمثالهم، ولا تقدر فعالهم، وأنهم يتعاملون بعملةٍ نادرة الوجود، صارت أثرًا من الآثار، وبطل التعامل بها ربما من ثلاثة قرون، وأن البضاعة غير البضاعة، والنقود غير النقود، والناس غير الناس.
- تخيل أخلاقه من جهة عفة اللسان، والحرص في العبارة، والانشغال بالأهم، والبعد عن صغائر الأمور وسفسافها.
- تخيل نهاره الذي يقضيه معلمًا أو متعلمًا منذ الفجر حتى منتصف الليل، ويكون ما بين ذلك قائمًا.

- تخيله في غيرته على الإسلام، واحتراق أعصابه؛ لأدنى انتهاك لسنة من السنن..
- تخيله في حرصه على نفع طلابه بعلمه الجم، أو بنصائحه الأبوية الصادقة.
- تخيل صعوبة واقعه حين يتعامل مع أبناء القرن العشرين المشاغبين غير الجادين، وغير المؤسسين علميًا وخلقيًّا وسلوكيًّا ودعويًّا.
- حرك خيالك وذاكرتك، وقدّر معي كم يعاني مثل هذا الرجل المبارك، في أوساط لا ترحّب كثيرًا بالبركة، ولا تريدها، ولا ترجوها، ولا تدير وجوهها إلا نحو أصالة وعمرو دياب والسح الدح إمبو!

هذا هو الأستاذ الشيخ محمد المختار الشنقيطي عليه رحمات الله ورضوانه العالم الوليّ الزاهد الفذ؛ أحسبه والله حسيبه ولا أزكّي على الله تعالى أحدًا: عالم بمائة عالم: عفة لسان، وتركًا لما لا يعني، وذكرًا دائمًا، وعلمًا دافقًا، ونصحًا منيرًا.. رجل لم تر عيني مثله؛ قبله رحمه الله ولا بعده! اختار طائعًا أن يكون جوهرة خبيئة مكنونة في قاع التجاهل وسوء التقدير، في أمة تحتفل بعبسلام النابلسي، وكشكش بك، ونابليون ابن بونابرته!

تجاهلوه فتجاهلهم، مثل كثير من الخيرين في هذه الأمة، الذين أداروا ظهورهم لمغريات كثيرة، اعتقدوا – وحق لهم – أن ما عندهم أجلّ وأعظم من أن يبتذلوه لها!

يقول لي الفتى: رأيته قبل أربعين سنة، وجلست إليه تلميذًا في الجامعة الإسلامية ثلاث سنين، فنفعني الله به ما لم ينفعني بغيره، على الإطلاق، رغم أنني قبله وبعده رأيت من العلماء كثيرين، لكن لم يبلغ أحدهم شأوه..

فبفضل الله تعالى، ثم بفضل علمه، ونصحه، وتفرّده العجيب، تحوّل القلب مائة وثمانين درجة إلى جهة الالتزام وحب العلم الشرعي، وقت كانت شرّة الشباب تتجه إلى حب الدنيا، وطلب "القشرة الفالصو" التي تلمع كالذهب، وليس تحتها إلا الخَبَثُ، والحجارة التافهة الزيوف، التي لا تساوي في سوق الخير نقيرًا.

رأى الفتى "علماء ودعاة" يحرصون بهمة عالية على صرف الإنسان عن الدين، وتقبيح العلم الشرعي إليه: بلسان حالهم، بسلوكهم، بصدهم طلابهم عن الخير!

لا تعجب قارئي الكريم فهذا والله موجود، اكتشفت بعدُ أنه كان منهم لستر الضحالة العقلية، "والهيافة العلمية" التي تغطيها سلاطة اللسان، وطول رِجْل البنطلون، وقصر الهمة العلمية.

يريد الله تعالى أن ينتزع الفتى مكرهًا من هذا الجو، إلى رحاب طيبة المباركة، وكانت في هذا الوقت بكرًا، لم تتبرج – كحالها الآن – بالمباني الشاهقة، والجسور الممتدة، والشوارع الفسيحة، وكانت تتمتع بروحانية عجيبة تأسر القلب والروح.

انتقل إلى حيث الشنقيطي: العلم الدقيق، والخلق الرفيع، والحرص على أن يسقي أبناءه كل ما يطيق، وأكثر مما يطيقون!

لماذا أكثر بكتاباتي وكلامي من الإلحاح على فكرة الجلوس إلى العلماء، والأخذ عنهم؟ إن طالب العلم يتعلم من أحوال الشيخ كلها، من سمته وهديه، وصمته ونطقه، من غضبه ورضاه، من تدفقه وتأنيه، من نظره وإغضائه..

وهذا ما نفع الله به الفتى الجموح، طالب لا بأس به دراسيًّا، موهوب بعشر مواهب، ينفخ فيه من حوله ليصيِّروه كالبالون، ثم ينفثئ فجأة أمام الجبل الشامخ، ويتأكد – بشيء من إنصاف ابتلاه الله به – أنه من قبل لم يسمع علمًا، ولم يقابل أحدًا، ولم يستفد معشار ما ينبغي لمثله أن يستفيد.

ويهديه الله تعالى رغم تمرده، ورغم نفخ الشيطان في سَحْره للجلوس في استكانة بالغة، وصمت عميق، وعطش شديد، ليغترف من البحر، فتتحول نفسه، وتنقلب رؤيته، وتصاغ أولوياته واهتماماته بشكل معاكس تمامًا لما كان عليه نُشِّئ..

إن الله قد يسوق عبده للخير رغمًا عنه منةً منه وتفضلًا! ويدوم جلوس الفتى الصامت أمام الشيخ الذي لا يكف عن التدفق والانهمار؛ غيثًا يحيي الله به القلب، ولا ينازع الشيخَ شيخ آخر في قلبه واهتمامه، ولا يبالي بالأسماء الكثيرة المتاحة حوله آنذاك، والتي نَسختها من قلبه شمسُ الشيخ الساطعة، التي تأفل دونها كل الكواكب.

يقول عنه الشيخ الشاعر الأديب محمد المجذوب في كتابه "علماء ومفكرون عرفتهم": (ثقافته موسوعية، حتى ليخيل إليك وهو يحضّر تقريراته منها، أنها تخصصه الذي لا يكاد يعدوه، شأنه في ذلك شأن الأسلاف من كبار العلماء، الذين كانوا يرون في العلوم الإسلامية وحدة عضوية، لا يغني منها واحد عن غيره، وأهم محصوله من هذه العلوم هو التفسير، والسنة، ثم الأنساب والرجال، ثم التاريخ – خاصة تاريخ العرب في الجاهلية وصدر الإسلام – ثم اللغة وعلومها وآدابها، وهو أحد القلائل الذين كنت أعجب بذخيرتهم من محفوظات الشعر العربي، الذي كان مولعًا به وبقرضه).

في إنصات وتركيز شديدين يجلس الفتى في مواجهة الشيخ (ليشرب منه) ويسهو مرة فيعتمد بيديه على الطاولة، ويمس بمرفقيه "فتح القدير" فيواجهه الشيخ بعاصفة من الغضب:

ألا تقدّرون العلم؟! ألا تحترمون الكتاب الإسلامي؟! أتعتمد بيديك على فتح القدير.. فتح القدير؟ ما هذا؟! انتبه لنفسك.

ذات مرة غضب الشيخ، وسبق لسانه بكلمة لا يريدها لطالب من طلابه، فغرق في العرق، وتلجلج، وامتصها سريعًا بذكاء شديد، وأخذ كالمذنب يعتذر لتلميذه المرة بعد المرة، كأنما أتى بأكبر الكبائر وأعظم الموبقات، وكان عهد الفتى بأساتذة في كلية الشريعة العريقة إياها متألهين، منتفخين، سبّابين من طراز عال، دخل أحدهم المدرج مرة ليسب أكثر من ألف طالب، ويصفهم بأنهم حمير، لأن أحدهم أراد الدخول بعد سيادته؛ – على جهله المنتفخ أو انتفاخه الجاهل – بينما الشنقيطي يذوب خجلًا، ويسيل عرقًا، لسبق لسانه بكلمة لم يردها!

حج الفتى معه ومع عدد من علماء الجامعة عام 98هـ، ومنهم الشيخ ابن باز، وأبو بكر الجزائري، وحماد الأنصاري، وآخرون، فوجده فذًّا في كل شيء؛ على بساطته، وانزوائه، وانشغاله بنفسه.

كان ينكر ذاته إنكارًا عجيبًا، ويرى نفسه أقل الناس علمًا، وأهونهم قدرًا.. وكثيرًا ما كان يكرر على مسامع الفتى وأصحابه: صار أمثالنا علماء لما مات العلماء! رغم أن دروسه في الحرم النبوي كانت عقب الصلوات الخمس كلها، خمسة دروس يومية في علوم مختلفة، فضلًا عن محاضراته الصباحية في الجامعة؛ لذا فلم يترك مؤلفات غير كتابين اثنين: شرح سنن النسائي، ورسالة أخرى صغيرة اسمها: الجواب الواضح المبين في حكم التضحية عن الغير من الأحياء والأموات. أما ما شرحه شفويًّا فقد انتهى الشيخ من تفسير القرآن الكريم في الحرم النبوي أكثر من 10 مرات، كما انتهى من شرح البخاري ومسلم مرات، وشرح سنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، والموطأ، ومات قبل أن يتم شرح ابن ماجه؛ بجانب تدريسه فتح القدير للإمام الشوكاني في الجامعة.

كان أمة، رحمه الله كفاء ما بذل وعلم ودرّس وربى.

كان ينظر للتربية التقليدية والشهادات – وهو ربيب المحاظر (المحاضر، جمع محضرة، وهي المدرسة التقليدية التي تعلم علوم الشريعة المختلفة متونًا وكتبًا وتقاليد) – بكثير من عدم المبالاة، بسبب ما صادف من أصحاب ألقاب طنانة لا يحفظ أحدهم مائة بيت من الشعر، فضلًا عن كتاب الله، فضلًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يسميهم: (حَمَلة شهادات الزور المكتوبة بماء الذهب) ولعله محق في الغالب الأعم، ولعله هو رحمه الله السبب في روح (السَّرْبَعَة) والجموح الذي يندفع به الفتى الذي لم يكن أنبه تلاميذ الشيخ شأنًا.. ولم يكن الشيخ يعيره التفاتًا، لم يحدثه طيلة ثلاث سنين، ثم في آخر اللقاءات قال له كلمة واحدة ضخمة ضخمة ضخمة – وبشكل يبدو عرضيًّا – ألهبت في وجدان ذلكم الفتى حمى العمل والعمل والعمل..

وكأن الفتى ما علم كلمة عابرة تبدو بهذا الأثر، وتعطي هذا الزخم، وتشحن القلب بشحنة هو دائمًا بها في سباق مع نفسه وقدراته وراحة بدنه، لثلاثين سنة، وأربعين، وربما ما تبقى في العمر من السنين!

كان فطريًّا بدويًّا في صراحته، ويكرر دائمًا: "إن الله تعالى قد ابتلاني بالصراحة، فلا أعرف المجاملة"..

عن شيء من أدائه العلمي، وطريقته في التهيئة العلمية لأبنائه، وعن أثره في ضبط مسيرتهم يقول ابنه الشيخ محمد الداعية المعروف (محمد بن محمد المختار الشنقيطي) نفع الله به:

..... كان رحمه الله حريصًا إلى أخذنا إلى مجالسه في الحرم، وحضور درسه في البيت، وكان يأخذني منذ الصغر معه لدرسه بالحرم، حتى إنني ربما أنام من صغري في حجره في الدرس؛ لأنه كان يدرّس بعد الفروض كلها، إلا العصر أحيانًا يكون عنده درس في البيت، فلما بلغت الخامسة عشرة أمرني أن أجلس بين يديه، وأن أقرأ عليه دروس الحرم، فابتدأت معه في سنن الترمذي، وتعرفون بداية مثلي في جمع من الناس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم! ولكنه أراد أن يشحذ همتي، وكان يحسن الظن فيّ – أسأل الله العظيم ألا يخيب ظنه فيّ – فابتدأت بقراءة سنن الترمذي، ثم الموطأ، وختمته عليه، ثم سنن ابن ماجه، وتوفي ولم أكمله عليه، وأسأل الله أن يكتب له أجر إكماله. هذا بالنسبة للدرس الأول بعد المغرب.

ثم يأتي طالب ويقرأ عليه درسًا في اللغة، ثم طالب يقرأ عليه درسًا في الفقه، وكنت أحضر معه.

وبعد العشاء كنت أقرأ عليه صحيح مسلم، حتى ختمه، وابتدأ بالختمة الثانية، وتوفي في آخرها، ومن غريب ما يذكر أنه توفي عند باب فضل الموت والدفن في المدينة!

وأذكر أنه في آخر هذا الدرس دعا، ولم تكن عادته الدعاء في هذا الموضع، وقد قرأت عليه هذا الحديث من البخاري ومسلم قرابة أربع مرات، ما أذكر أنه دعا إلا في آخر مجلس من حياته، وكان صحيحًا ليس به بأس، فبعد أنه ذكر الفضل في الموت في المدينة وأقوال الصحابة، قال: وأسأل الله ألا يحرمنا ذلك، فأمن الحاضرون، وكان تأمينهم لافتًا للنظر كتأمين المصلين في الحرم في الصلاة من كثرتهم.

ثم في الفجر كان يقرأ حتى تطلع الشمس..

وأما بعد صلاة الظهر فكنت أقرأ عليه صحيح البخاري حتى ختمته، ثم ابتدأتُ قراءة ثانية، وتوفي ولم أكملها عليه.

وأما بالنسبة لقراءتي الخاصة عليه، فقرأت عليه في الفقه متن الرسالة حتى أكملته، وشيئًا كثيرًا من مسائل كتاب بداية المجتهد، وكنت أحررها، وكان رحمه الله واسع الباع في علم الخلاف، إلا أنه من ورعه كان لا يرجح.

وأما بالنسبة لعلم الأصول فقرأت عليه، لكن كان رحمه الله لا يحب كثرة الجدل والمنطق التي يقوم علم الأصول، فكان إذا دخلت معه في المنطق يقول: قم، يطردني؛ لأنه كان يرى تحريمه وهو قول لبعض العلماء. وإن كان اختيار بعض المحققين – ومنهم شيخ الإسلام – التفصيل كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله:

وابن الصلاح والنّواوي حَرّمَا **** وقال قومٌ ينبغي أن يُعْلَمَا

والقولة المشهورة الصحيحةْ **** جوازه لكامل القريحةْ

ممارسِ السنة والكتابِ **** ليهتدي بها إلى الصوابِ

المقصود أن أُدلّل على أني ما استوعبت معه جانب الأصول من ناحية النطق والخلافات، وأتممته على بعض المشايخ الذين كان لهم باع فيه، وأسأل أن يكون فيها تعويض لما لم أقرأه على الوالد.

أما المصطلح فقرأت عليه بعض المنظومات، منها البيقونية والطلعة، وقرأت عليه تدريب الراوي.

وأما عن السيرة فقد كان له درس في رمضان فيه البداية والنهاية، وكان في التاريخ شيء عجيب، وكان له باع في علم الأنساب، والحقيقة أنني قصّرت فيه ولم آخذه عنه، ويعلم الله ما كان يمنعني منه إلا خشية أن الإنسان يأتي ويقول: هذه القبيلة تنتمي إلى كذا، فيتحمل أوزار أنساب أمم هو في عافية منه، لكن الحمد الله، في الفقه والحديث والعلوم التي أخذتها عليه غناء عن غيرها.

ومن عجائبِ ما يذكرُ الشيخ محمد عن والدهِ شيخي محمد بن المختار ما حدّث به أحد تلاميذ الابن نقلًا عن الإمام: محمّدٍ العُثيمين – برّدَ الله مضجعهُ – أنَّ والدهُ كانَ يحفظُ كتابَ البدايةِ والنهايةِ للإمام ابن كثير رحمهُ اللهُ كاملًا، وقد كرّرَ شيخُنا نقلَ هذا الكلام غيرَ مرّةً، وأخبرني الشيخُ أنَّ والدهُ كانَ من كِبارِ الضابطينِ لعلمِ التأريخ والنّسبِ، وذكرَ شيئًا من ذلكَ أيضًا العلاّمةُ: بكرُ بنُ عبدِ اللهِ أبو زيدٍ رحمهُ اللهُ رحمة واسعة، في كتابهِ "طبقاتُ النسّابينَ" وغيرهُ.

ومن فضائلهِ جلَدهُ وصبرهُ، فقد أوتيَ صبرًا عظيمًا على ما ابتلاهُ اللهُ بهِ من الأمراض وتقلّبِ الأحوال، وبقدر ما كانَ يعظمُ بهِ البلاءُ ويشتدُّ عليهِ الكربُ، كانَ يزدادُ في الثباتِ صبرًا واحتسابًا، من ذلكَ أنّهُ كانَ يكرهُ البنج والمخدّرَ في الجراحةِ، فحصلَ عليهِ حادثٌ اقتضى جراحة فامتنعَ من قبول البنج، وأجريتْ لهُ العمليّة، وخيطتْ جلدة رأسهُ وهو في كامل وعيهِ، ولم يزدْ على أنْ كانَ يذكرُ اللهَ تعالى، ولهُ في هذا أخبارٌ عجيبةٌ!

رحم الله الولي الصالح محمد المختار الشنقيطي – أحسبه والله حسيبه الذي مات قبل ثلاثين عامًا، في 29 من جمادى الأولى 1405" عن ثمانٍ وستين سنة، وأسأله عز وجل أن يجمعني به في مستقر رحمته، وأن يجزيه عني خاصة خير ما يجزي به عبدًا عالمًا صالحًا.. اللهم آمين.

الشيخ عبد المحسن العبّاد العالم المتواضع الرفيق

الشيخ عبد المحسن على اليمين

أحيانًا يكون الفم مريضًا، فلا يستسيغ الماءَ العذب الزلال، وأحيانًا يكون البصر كليلًا فيعجز عن رؤية الأشياء على هيئاتها الصحيحة.

وكذلك أحكام البشر على الأفكار والأشياء، حين تسوء طباعهم، وتعوجّ فهومهم، وتلتوي فطرهم، فإنهم يحبون الشيء ملتويًا معوجًّا سيئًا: العامل النشيط عندهم (حمار شغل)، والطالب المجتهد (صمّيم، وسوسة كتب)، والرجل الصريح المباشر (قفل)، والذي يقول لا ونعم واضحة ولا يقبل المداهنة، هو رجل جافٍ غليظ.. وهكذا.

والحق أن هذه الأحكام عرّية عن الإنصاف والاستقامة وحسن النية، خصوصًا إذا وُجهت ضد العلماء ذوي النسبة الخاصة، أو الفكر المميز، ومنهم شيخي الشيخ العالِم الصالح عبد المحسن العباد حفظه الله وشفاه.

كان اسمه مقرونًا حين سمعت بالشدة والجمود والتعنت، يخافه طلاب الجامعة، ويهابون لقاءه إذا اضطروا إليه، وكذلك تصورته حين رأيته أول مرة، وكان آنذاك نائبًا

لرئيس الجامعة الإسلامية وظيفةً، ورئيسها فعلًا، وكانت هيئته العامة توحي بالبداوة، ثم رأيته عن قرب واحتكاك فأدركت كم تخطئ التخمينات الجزافية، وكم تخدع المظاهر، وكم يطلق الشيطان على الصالحين من شائعات.

رأيته ورأيت عجبًا، سافرت معه للحج ضمن بعثة الجامعة، وكان السفر بالأتوبيسات، فصحبنا، وأبى أن يركب الطائرة مثل كبار الشخصيات، بل قطع معنا الطريق؛ على طوله.

ولما طال المسير، وأصاب المسافرين العناء، وجدته ينزل من السيارة ليغفو قليلًا فيضع نعله تحت رأسه، ويتغطى بعباءتِهِ، ثم ينام في بساطة عجيبة، وعهدي (بالمعيدين) في الجامعة التي درستُ بها أولًا – ناهيك عن الأساتذة، ورؤساء الأقسام، ناهيك عن العمداء، ناهيك عن رئيس الجامعة – أنهم نفاخون، شديدو الغرور، وبعضهم يعتقد جازمًا أن الله خلق سعادته من ماء الورد، وخلق الناس سواه من ماء البِرَك، فكانت مفاجأة لي مذهلة أن أرى الرجل الكبير يلمسه طلابه بأيديهم، ويرونه نائمًا على الأرض، وذراعه تحت رأسه، في بساطة وتواضع، ومعايشة لا عهد لي بمثلها آنذاك.

ثم عرفته بعد ذلك أستاذًا قديرًا يشرح لنا (بداية المجتهد، ونهاية المقتصد)، فوجدت العلم الوفير، والثقة بالنفس، وحضور الدليل، ومعرفة موارد الخلاف!

ورأيته مرحًا بسامًا على غير ما أشيع يداعب طلابه، ويطلق بينهم النكات في بساطة وأخوّة.

أذكر أنهم كانوا يجلسون الطلاب في قاعة الدرس على أساس التفوق، الأول في المقعد الأول، والثاني في الثاني، والأخير في آخر المقاعد، وحين دخل الشيخ أولى محاضراته، ونحن في السنة الرابعة، وجد شابًّا إفريقيًّا يجلس في الصف الأول على الجهة اليمنى، واسمه محمد كسولي (وهو سفير بلاده أوغندا الآن في السعودية والخليج على ما أظن)، فظنه الشيخ يجلس في غير مقعده؛ لأن الموقع متقدم جدًّا، فقال له: ارجع إلى كرسيك، لماذا تجلس هنا؟ قال الشاب: هذا كرسيي، وأنا في مكاني، فعجب الشيخ وقال: أنت تجلس هنا حقًّا؟ فلماذا سماك أبوك كسولي وأنت ممتاز؟

رائد علم التخريج والأسانيد:

والشيخ شفاه الله وحفظه أستاذ في الفقه، كما أنه عالم في الحديث الشريف وعلومه، بارع في معرفة الرجال، وكان من أول ما درسنا له كتاباه في التخريج والأسانيد من صحيحي البخاري ومسلم، درسناهما تطبيقيًّا سنتي 1395 – 1396هـ (1975 – 1976م) وعلمي أنهما أول ما أُلف في التخريج والأسانيد مطلقًا، تبعتهما بعد ذلك مذكرتان تعليميتان للشيخ عبد الغفار حسن رحمه الله الباكستاني، ثم كتاب للدكتور محمود الطحان السوري، ثم تتالت الدراسات في هذا الفن بعد ذلك، فللشيخ في ظني ريادةٌ في الكتابة في هذا العلم، وله فضل تعليمنا التعامل مع المعاجم الحديثية، وكتب الرجال، ومعالجة ألفاظ الجرح والتعديل، والمراتب والطبقات، والنظر في علل الأسانيد والمتون، ومعرفة غرائب الأسانيد ولطائفها.

كان أيضًا ذا فراسة نفعني الله تعالى بها كل النفع حين أذن بعودتي للجامعة بعد أن فصلت منها بسبب الغياب، كما مر!

ونفعني الله بها حين دخلت عليه ذات مرة غاضبًا مشتعلًا من الانفعال ساعة دخولي مكتبه (مرة ثانية هو رئيس الجامعة) وكان ذلك بعد أن سمعت عن قرار رأيت فيه إضاعة لجهدٍ كبير كنت قد بذلته في إطار النشاط الطلابي، فلما رأى انفعالي ساعة دخولي مكتبه تفّرس أني غاضب، فتحرك برشاقة، وسحب كرسيًّا وضعه ليس في مواجهته أمام المكتب، بل بجوار كرسيه مباشرة، وراء المكتب، حتى أكون قريبًا منه، ودعاني للجلوس وهو يبتسم ويقول: ما لك؟ قلت: قراركم بكذا وكذا سينسف عملي كله، قال: ولا يهمك، لا تبالِ به؛ اعمل ما شئت، فكأنما غمرني بماء بارد، وذهب عني الغضب كله، وخرجت سعيدًا أكاد أطير من الفرحة.

مرة أخرى أصدر قرارًا بمنع سفر الطلاب لبلادهم في عطلة منتصف العام، فراجعته بشدة وأصررت على رأيي، فأخذ يقنعني بمزايا البقاء بحجج مختلفة، وأنا أدفعها كلها: رح احفظ القرآن/ قلت: أحفظه كله الحمد لله/ رح ذاكر/ أنا أحصل على امتياز/ رح

انشغل بشيء/ أهم من أرى أهلي؟/ كل ذلك وهو يضحك، ثم على سبيل التخلص مني قال: رح اسأل العميد، فذهبت إليه وقلت: يسلم عليكم الشيخ عبد المحسن، ويطلب أن تأذن لنا في السفر، فتعجب العميد بشدة، وقال: لا يمكن، قلت: فاسأله إذن، ولما اتصل به العميد سمعت الشيخ عبد المحسن على الخط يضحك مقهقهًا ويقول له: ائذن له وللآخرين.

كان أيضًا سوسة علم، يدخل الجامعة يوميًّا عقب صلاة الفجر، ويبقى حتى ينتهي الدوام مع أذان الظهر، فنصلي جميعًا: الرئيس والعمداء والأساتذة والطلاب، ثم ننصرف للغداء، والنوم، ومع صلاة العصر يعود ليلزم مكتبه يقرأ ويكتب، ويبقى هكذا حتى صلاة العشاء، لا يخرجه إلا صلاة المغرب وحدها.

مواعيد مضبوطة، وفطرة سليمة، وعلم ورفق، وحسن خلق، لأتأكد بعد المعايشة من بطلان الإشاعات عن الجفاء، والبداوة فيه، وفي رجال نفع الله بهم فعلمونا ما لم يعلمنا (المشايخ الإتيكيت)، وأثروا فينا ما لم يؤثر ذوو الياقات المنشاة (والجِزم الأجلاسيه).

ابن باز والعباد:

يقول الشيخ: كنت آتي إليه – يعني الشيخ بن باز رحمه الله – قبل الذهاب إلى الجامعة وأجلس معه قليلًا، وكان معه الشيخ إبراهيم الحصين رحمه الله، وكان يقرأ عليه المعاملات من بعد صلاة الفجر إلى بعد ارتفاع الشمس. وفي يوم من الأيام قال لي: رأيتُ البارحةَ رؤيا، كأنّ هناك بَكْرَةٌ جميلة (ناقة شابة) وأنا أقودها وأنت تسوقها، وقال: أوّلتُها

بالجامعة الإسلامية، وقد تحقّق ذلك بحمد الله، فكنتُ معه في النيابة مدّة سنتين، ثم قمتُ بالعملِ بعدهُ رئيسًا بالنيابة أربعةَ أعوام.

من عجائب خلقه:

حدثني أخي الدكتور محمد الجمل عن صبر الشيخ وتماسكه في المواقف الصعبة، ومن ذلك أنه كان يعقد الدروس لطلاب العلم في بيته، وذات درسٍ دخل مريدوه وطلابه الذين يختلفون إلى بيته لسماع دروسه كعادتهم، فبقي معهم يشرح، ويقرر، ويستفيض، لكنه على خلاف عادته – كان يترك الدرس بين الحين والحين، يقوم ويرجع، فسأله أحدهم عن السبب، فقال ببساطة: إن بالداخل فتاةً تحتضَر، وإنه كان يتركهم ليعرف حالها ثم يعود ليواصل الدرس، لم يعتذر إليهم، ولم يحسوا شيئًا من النقص، في لهجته أو عطائه، بل صَبَر حتى اكتشف طلابه الأمر بأنفسهم، فقاموا على استحياء وانصرفوا.

ولقد قرأت من جمع أحد الإخوة في أحد المنتديات هذه الصور من ورعه فيقول: حدثني أحدهم قصتين عن ورع الشيخ تذكرك بورع السلف الأولين!

- قال: سمعت سائق الشيخ الذي يذهب به إلى الجامعة ويعود به أن الشيخ ما كان يرضى أن يوقف سيارة الجامعة على الطريق من أجل شراء حاجة للبيت.
- وقال: سمعته أيضًا يقول: لما انتهت رئاسة الشيخ للجامعة الإسلامية (والتي تولى رئاستها بعد سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله) رأيت الشيخ واقفًا أسفل ينتظر، فمررت عليه بالسيارة كالعادة لأوصله للمنزل، فأبى الركوب وقال: ما دريت؟! أنا قد انتهت مدة رئاستي، وقد أرسلت لابني ليأتي ليأخذني!

ومن الأمور التي تدل على رفعة أخلاقه ورحمته للناس أنه رغم ترؤسِه للجامعة الإسلامية لم يكن يستغل هذا المنصب الرفيع ليشق على العاملين معه؛ بل كان يتعمد عدم إقلاق راحتهم، وقد روى الشيخ حماد الأنصاري قال: ذهبت إلى الجامعة عصرًا عندما كان الشيخ عبد المحسن العباد رئيسها، ولم يكن في الجامعة إلا أنا وهو، فقلت

له: لماذا لا تأتي بمن يفتح لك الجامعة قبل أن تحضر؟ فقال: لا أستخدم أحدًا في هذا الوقت، لأنه وقت راحة، وكان ذلك وقت العصر!

مداعبات:

يقول الشيخ في محاضرته (عمر فلاته كما عرفته):

(ومن الطرائف العجيبة أنّني أداعب الشيخ عمر حول سنّه وأنّه كبير، ولا يظهر عليه الكِبَر، وفي سنة من السنوات كنّا في الحج، ودخلنا مخيم التوعية في عرفات، وإذا فيه رجل قد ابيضّ منه كلُّ شيء حتّى حاجباه، فقلتُ للشيخ عمر: هذا من أمثالك أي: كبار السنّ، وبعد أن جلسنا قال ذلك الرجل يخاطبني: أنا تلميذ لك، درّستني في مدرسة ليلية ابتدائية في الرياض! وكان ذلك في سنة 1374هـ تقريبًا، وكنت في زمن دراستي في الرياض أدرِّس مساءً متبرعًا في تلك المدرسة التي غالبُ طلابها موظفون، فوجد ذلك الشيخ عمر رحمه الله مناسبة ليقلب الموضوع عليّ، فكان يكرّر مخاطبًا ذلك الرّجل:

أنت تلميذ الشيخ عبد المحسن؟

ويقول: كنتُ مع الشيخ عمر فلاته رحمه الله في مجلس، وفيه أحدُ المشايخ، وقد حج فرضه بعد ولادتي بسنة، وكنتُ أعرف ذلك، فسألته قائلًا: متى حججتَ فرضَك؟ فقال له الشيخ عمر: انتبه لا يجرّ لك لسانك، يعني بذلك التوصل إلى مقدار عمر ذلك الشيخ).

قالوا عن عبد المحسن العباد:

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: لا أعلم له نظيرًا في هذا العصر في العناية بالحديث وسعة الإطلاع فيه، وأنا لا أستغني، وأرى أنه لا يستغني غيري عن كتبه والإفادة منها! وهذه شهادة عجيبة من رجل كالألباني رحمه الله تعالى.

وقال المحدث الشيخ حماد الأنصاري: ما رأت عيني مثله في الورع..

وقال: ينبغي أن يكتب عنه التاريخ، فقد كان يعمل أعمالًا في الجامعة تمنيت لو أني كتبتها أو سجلتها، وقد كان يداوم في الجامعة على فترتين صباحًا، ومساء بعد العصر!

ومرة جئته بعد العصر بمكتبه وهو رئيس الجامعة، فجلست معه، ثم قلت: يا شيخ أين القهوة؟ فقال: الآن العصر، ولا يوجد من يعملها!

ومرة عزمت أن أسبقه في الحضور إلى الجامعة، فلما وصلت إلى الجامعة فإذا الشيخ عبد المحسن يفتح باب الجامعة قبل كل أحد!

ولا يزال عطاء العالم الجليل الشيخ عبد المحسن العبّاد دفاقًا، رغم أنه كاد يفقد بصره، جزاه الله عنا خير الجزاء، وجزى علماءنا ومشايخنا وكل من له يد في تكويننا، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ في سطور:

ولد الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر عقب صلاة العشاء من ليلة الثلاثاء من شهر رمضان عام 1353 هـ في بلدة الزلفي، ونشأ وشب فيها، وتعلم مباديء القراءة والكتابة في الكُتاب عند بعض مشايخ الزلفي، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد المنيع، والشيخ زيد بن محمد المنيفي، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغيث، وقد أتم على يديه القرآن الكريم وغيرهم.

ومن شيوخه بعد ذلك: الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم، والشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز، والشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي؛ رحمهم الله أجمعين.

نال الشهادة الابتدائية فيها عام واحدٍ وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية. ثم انتقل إلى الرياض ودخل معهد الرياض العلمي، وكانت السنة التي قدِم العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله من الخرج إلى الرياض، وأول سنة يُدرسُ في هذا المعهد. وبعد تخرجه التحق بكلية الشريعة بالرياض، وأثناء السنة النهائية في الكلية عُين مدرسًا في معهد بريدة العلمي في 1379/5/13هـ، وفي نهاية العام الدراسي عاد إلى الرياض لأداء الامتحان النهائي في الكلية، فأكرمه الله تعالى بأن كان ترتيبه الأول بين زملائه الذين كانوا يمثلون الفوج الرابع من خريجي كلية الشريعة بالرياض، كما كان ترتيبه الأول أيضًا في

سنوات النقل الثلاث في الكلية، وعند حصوله على الشهادة الثانوية بمعهد الرياض العلمي، ودرس الشيخ في الجامعة، وفي المساجد على يد العلماء الكبار ممن سبق ذكرهم..

وفي عام 1380هـ نقل إلى التدريس في معهد الرياض العلمي. وعندما أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وكانت أول كلية أنشئت فيها هي كلية الشريعة، اختاره سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للعمل فيها مدرسًا، وبدأت الدراسة فيها يوم الأحد 1381/6/3هـ وكان الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد أول من ألقى فيها درسًا في ذلك اليوم. وقد حصل على شهادة الماجستير من جامعة الأزهر، وبقي يعمل مدرسًا في الجامعة إضافة لتدريسه في الحرم النبوي الشريف. وفي 1393/7/30 هـ. عُين نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، وقد اختاره لذلك المنصب جلالة الملك فيصل رحمه الله، وكان أحد ثلاثة رشحهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رئيس الجامعة في ذلك الوقت، وبقي في ذلك المنصب إلى 1399/10/26هـ، حيث أُعفي منه بإلحاح منه، وبعد انتقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله إلى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء كان هو المسؤول الأول، خلال هذه الأعوام الستة لم يتخل عن إلقاء درسين أسبوعيًّا في السنة الرابعة من كلية الشريعة.

من أقواله:

(من أحب أعمالي إلى نفسي وأرجاه لي عند ربي: حبي الجم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، وبغضي الشديد لمن يبغضهم، وقد رزقني الله تعالى بنين وبنات، سميت أربعة من البنين بأسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، بعد التسمية باسم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وسميت بعض البنات بأسماء بعض أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بعد التسمية باسم سيدة نساء المؤمنين رضي الله عنها. وأسأل الله تعالى وأتوسل إليه بحبي إياهم، وبغضي من يبغضهم، وأن يحشرني في زمرتهم، وأن يزيدهم فضلًا وثوابًا).

من مؤلفاته ودروسه:

تخريج عشرين حديثًا من صحيح الإمام البخاري/ تخريج عشرين حديثًا من صحيح الإمام مسلم/ من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم/ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام/ فضلُ أهل البيت وعلوُّ مكانتِهم عند أهل السُّنَّة والجماعة/ عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر/ الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة/ فَضلُ المدينة وآدابُ سُكنَاها وزيارتِها/ من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضي الله عنه/ رفقًا أهل السنة بأهل السنة.. وغيرها كثير..

وهو مدرس بالحرم المدني، وكانت دروسه يوميًّا عدا الخميس بعد كل صلاة مغرب بالحرم النبوي في شرح سنن أبي داود، وله دروس أخرى في مسجده.

أتم الشيخ شرح عدة كتب من كتب السنة النبوية، وشرح مقدمة ابي زيد القيرواني في العقيدة، وشرح في المصطلح ألفية السيوطي، وشرح كتاب الصيام من اللؤلؤ والمرجان، وكتاب آداب المشي إلى الصلاة، وكلها في الحرم الشريف.

العباد في حوار صحفي أسوقه لأهميته والإضافات فيه

بدأ عملي الوظيفي في 1379/5/13هـ بتعييني مدرسًا في معهد بريدة العلمي، وكنت في تلك السنة في السنة النهائية من كلية الشريعة بالرياض، وقد اختارت إدارة الكليات والمعاهد العلمية التي سميت فيما بعد: (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) بعض الطلاب للتدريس قبل التخرج للحاجة إلى ذلك مع إعطائهم الراتب الذي يعطاه المتخرج وقدره 975 ريالًا، وأظن هذا راتب المرتبة الخامسة من سلم الرواتب.

وصلت إلى المدينة في 1381/4/29هـ وعيِّنت مدرسًا في الجامعة في المرتبة الثالثة راتبها 1400 ريال، وكان سلَّم الرواتب آنذاك عكس السلم في الوقت الحاضر كلما قل رقم المرتبة كثر راتبها، وكنت بحمد الله أول من ألقى درسًا في كلية الشريعة في اليوم الذي بدأت فيه الدراسة، ومن الذين درَّسوا فيها عام افتتاحها شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عطية محمد سالم رحمهما الله.

وكم كان فرحي عظيمًا عندما سمعت بتعيين الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في إدارة الجامعة؛ إذ يسر الله لي صحبة هذا الرجل الفاضل العظيم أربعة عشر عامًا، وقد اختارني رحمه الله عضوًا في مجلس الجامعة طيلة هذه المدة.

قمت بحمد الله بالتدريس في الجامعة حتى الآن مدة خمسين سنة كملت في يوم الأحد الموافق الثاني من جمادى الآخرة هذا العام 1431هـ، وفي السنوات الست التي كنت فيها مسئولًا في الجامعة لم أتخلَّ عن إلقاء محاضرتين كل أسبوع في كلية الشريعة، وتم لي أيضًا بحمد الله وفضله في هذا الشهر إكمال تدريس كتب الحديث الستة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان البدء في تدريسها في مطلع المحرم 1406هـ، ابتداءً بصحيح مسلم، ثم صحيح البخاري، ثم سنن النسائي، ثم سنن أبي داود، ثم جامع الترمذي، ثم سنن ابن ماجه الذي تم الانتهاء منه مساء السبت 1431/6/15هـ.

وقد عايشت هذه الجامعة وأدركت في شبابي شبابها وقوتها، ثم أدركت في شيخوختي هرمها وضعفها، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإنه ليحزنني ويؤلمني كثيرًا أن أرى جامعة أُسست على التقوى من أول يوم وتولى غراسها الشيخان الجليلان محمد ابن إبراهيم وعبد العزيز بن باز رحمهما الله يؤول أمرها بعد نصف قرن على إنشائها إلى أن تكون في مهب الريح؛ فتعصف بها الأعاصير وتكون محل إعجاب المستغربين والتغريبيين والصحفيين بل وحتى الصحفيات اللاتي لا وجود لهن قبل عدة سنوات.

وقد كتبت إلى خادم الحرمين الملك عبد الله حفظه الله وإلى وزير التعليم العالي وإلى المسؤول في الجامعة في ذلك، ومما قلته فيما كتبته لخادم الحرمين حفظه الله في 1/1/1430هـ: (وقد مضى على إنشاء الجامعة الإسلامية نصف قرن تقريبًا ظلت فيها الجامعة محافظة على تخصصها، والمأمول من مقامكم الكريم التوجيه بإبقاء الجامعة على تخصصها دون مزاحمة، وأن يسلم عهدكم من إقرار ما فيه إضعاف للجامعة كما سلمت في عهود أسلافكم من ذلك، وألا يحصل للجامعة في عهدكم نظير ما حصل للأزهر في عهد جمال عبد الناصر)!

وفي أثناء إعداد هذه الذكريات فاجأت الصحف المحلية في 1431/5/30هـ. أي: عند إتمام نصف قرن على إنشائها إلا يومًا واحدًا فقط، بنشر الموافقة السامية كما في صحيفة الرياض على قرارات مجلس التعليم العالي، وفي أولها افتتاح ثلاث كليات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي: كلية العلوم، وكلية الحاسب الآلي ونظم المعلومات، وكلية الهندسة، ولا يزال الأمل عظيمًا في خادم الحرمين حفظه الله بالتوجيه بإبقاء الجامعة على تخصصها، وصرف النظر عن كل ما من شأنه إضعافها، وخروجها عن مسارها، ومما لا شك فيه أن فائدة الحاسب الآلي في الوصول إلى المعلومات الشرعية عظيمة، ويمكن تحقيق هذه الفائدة بإيجاد دورات في الحاسب الآلي يتمكن بها طلاب الجامعة من الوصول إلى بغيتهم في مجال اختصاصهم، وأما دراسة العلوم والهندسة فإن ذلك – وإن كان فيه فائدة دنيوية – لا يتفق مع الأهداف التي أُنشئت من أجلها

الجامعة، وهي: تفقيه أبناء المسلمين في الدين ليعودوا إلى بلادهم دعاة إلى الحق والهدى، يبصرون غيرهم في أمور دينهم!

وهذه الكليات تعلِّم المهن والحرف التي لا تتفق مع ما أُسست الجامعة من أجله، وهذا النوع من الدراسة موجود في بلاد كثيرة، ويغني عن افتتاح هذه الكليات في الجامعة أن يوجَّه الطلاب السعوديون إلى جامعات المملكة التي تشتمل على مثل هذه الكليات، وقد زاد عددها على عشرين جامعة، وأما غير السعوديين الذين يُرغَب تدريسهم في هذه التخصصات فإن المناسب تخصيص منح دراسية لهم في تلك الجامعات الكثيرة في المملكة!

وعندما كنت مسؤولًا في الجامعة قبل ثلاثين سنة زار الجامعة الدكتور صوفي أبو طالب مدير جامعة القاهرة، فسألني قائلًا:

لماذا لا تفتح الجامعة كلية طب؟

فقلت: ولماذا لا تفتح جامعة القاهرة كلية شريعة؟

فقال: إن الأزهر كفانا ذلك!

فقلت: وقد كفتنا الجامعات المتخصصة في الطب وغيره في المملكة ذلك.

ولو أن لي تعليقًا هنا لأكدت أن الشيخ محق في عدم تغيير طبيعة الجامعة، وطبيعة الدراسة بها؛ بشرط تطوير المناهج، والوسائل، والأساتذة، والطروحات، ومعايشة العصر، بوعي واحترافية، وإخراج أجيال على مستوى التحديات، فهمًا وتحليلًا، ودراية، وقدرة على المواجهة، وإقرار منهج تخرج مستبصرين متفرسين، ينصرون الدين، ويعلون شأن المسلمين، بفقه لا يعرف عنف اللفظ، ولا عنف الطرح، ولا عنف الوسيلة.. لا سلبها الله بركة الجوار الشريف، وبركة الغيرة على الدين الشريف، وعلى الدعوة الشريفة، ولا حرمنا شرف أن نكون من أنصار الله، وحماة الدين والعقيدة، اللهم آمين يا رب العالين.

الدكتور العالم الفقيه محمد بن حمود الوائلي

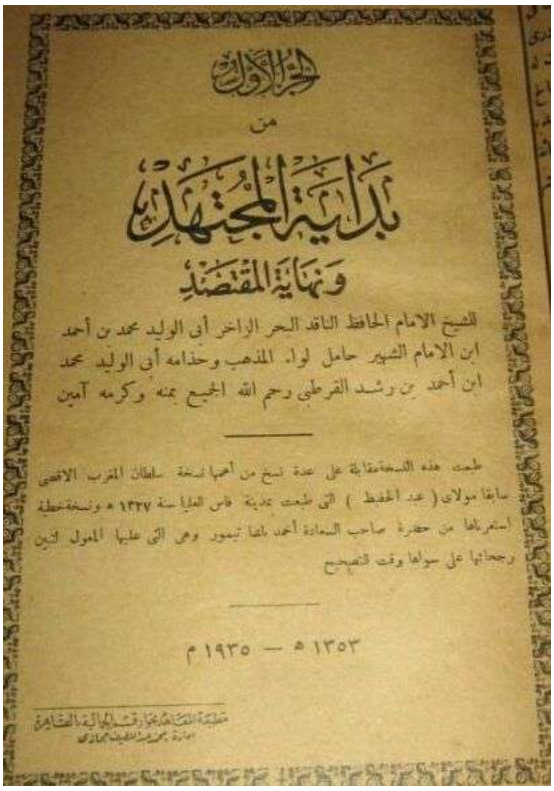

الجزء الأول

من

بداية المجتهد

ونهاية المقتصد

للشيخ الامام الحافظ الناقد البحر الزاخر أبي الوليد محمد بن أحمد ابن الامام الشهير حامل لواء المذهب وحذامه أبي الوليد محمد ابن أحمد بن رشد القرطبي رحم الله الجميع بمنه وكرمه آمين

طبعت هذه النسخة مقابلة على عدة نسخ من أصحها نسخة سلطان المغرب الأقصى سابقا مولاي (عبد الحفيظ) التي طبعت بمدينة فاس العليا سنة ١٣٢٧ هـ ونسخة خطية استعرناها من حضرة صاحب السعادة أحمد باشا تيمور وهي التي عليها المعول لتبين رجحانها على سواها وقت التصحيح

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م

ومممن أحببتهم، وانتفعت كثيرًا بعلمهم وأخلاقهم، الشيخ المبتسم، الزكي الذكي – ولا أزكي على الله تعالى أحدًا – عميد كلية الشريعة ثم وكيل الجامعة الإسلامية بعد ذلك.

ولد رحمه الله تعالى في مدينة بريدة من عام **1361** وصلي عليه ظهر الخميس 1431/10/28هـ في المسجد النبوي الشريف عن سبعين سنة هجرية!

كان رحمه الله حسن الشرح، حسن التأتي، مع ابتسامة تكسو ملامحه بشكل واضح.

قرأت أنه كان – كالشيخ العباد – الأول دائمًا على زملائه في الدراسة، وواصل الطلب حتى حصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر في الفقه المقارن عام **1395**هـ بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة، عن الإمام ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه.

درَّسنا رحمه الله بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد..

يقول الشيخ (الجامعي عبد الرحمن المغربي) أحد طلابه الجزائريين، وعنه ألخص هذه الترجمة: لقد تعجبت غاية العجب من قوة الشيخ وفقهه، وتعليقه على المسائل، وسرد الأقوال، بل كان جلوسي هذا أول مجلس عند عالم بأتم معنى الكلمة، وسررت وأنا بين يدي عالم، وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ هذا الرجاء الذي كنت أطلبه منذ أن ذقت حلاوة الإيمان، وعرفت طريق العلم.

.....رأيت في شخص الشيخ الرجل الناصح الشفيق على الأمة الحريص على النفع الجامع بين العلم والخُلق، ولا ينكر أي أحد ممن جلس مجلسه أو سمع دروسه كيف جمع الله له بين العلم والوعظ، ورُبَّ موضوع خاض الشيخ فيه قد ربطه بأمر العقيدة، وذكّر فيه بأمور الآخرة، وزانه بالفوائد، وحلاه بأبيات من الشعر، ونمقه بمثال من أمثلة العرب، حتى يصير الدرس مجمعًا لمختلف أصناف الفوائد من شتى الفنون؛ وكان الشيخ يُسوِّغ فعله هذا دائما بقوله: حتى أعطي كل الناس حقهم من الفائدة؛ لأن هناك من تَصْعب عليه المسائل الفقهية، وتسهل عليه مسائل أخرى؛ فلا يخرج الحاضرون إلا وقد أخذ كل واحد فائدة على حسب مستواه العلمي!

حفظ سورة البقرة في ساعتين ودقائق:

نشأ الشيخ الوائلي رحمه الله تعالى نشأة علمية منذ صغره، فقد كان رحمه الله تعالى يعتاد المسجد، ويحفظ القرآن الكريم على يدي حفظة القرآن، وكان رحمه الله تعالى ذا حافظة قوية، فحفظ القرآن في الصغر، بل أخبرني رحمه الله تعالى أنه حفظ البقرة بين المغرب إلى ما بعد العشاء بزمن يسير، فتعجبت لهذا، وظننت أن الشيخ وهم في حكايته وأراد شيئًا آخر، فبعدما صلينا المغرب أعاد عليه أحد الإخوة ما ذكر؛ متعجبًا، فقال الشيخ: نعم حفظتها في تلك المدة، وكنت وأنا في الجامعة أحفظ مقدمات في الأصول بله كتبًا ومتونًا كثيرة، وإن أمهلتموني أسبوعًا مع كبر سني سترون ما أحفظ؟!

بدأت حياته العلمية تأخذ طابعًا آخر حيث التقى بفقيه الأمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى، فتأثر به غاية التأثر، وكان كلما حدث عنه وذكر شيئًا من سيرته، يحدق النظر ويتوقف قليلا، كأنما ارتسمت صورته بين عينيه وهو يسمع كلامه ويقول: والله ما رأيت مثله أبدًا، كأنما تكذب ما ترى!

ثم كان يخبرنا رحمه الله تعالى أن التلاميذ كانوا يهابون قراءة الدرس على الشيخ الأمين، لأنه كان يوبخهم خاصة عند اللحن والخطأ، ويقول (إن مكانكم في الصف اللي قبل)، فلم يجرؤ أي أحدٍ على القراءة؛ حتى الشناقطة الذين يدرسون معنا، فكنت أنا

الذي أقرأ، وكان الشيخ تعجبه قراءتي، ولم أكن ألحن أبدًا إلا مرة واحدة أذكرها، قرأت حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) بضم الياء في يريبك، قال فنظر إلي الشيخ الأمين مستنكرًا، وقال: (هاه)! فتداركت نفسي وقلت: (دع ما يريبك) بفتح الباء، ومضيت!

وكان رحمه الله تعالى كثيرًا ما يحدث عن شيخه أمورًا، ومن أعظم الأمور التي كان يكررها رحمه الله تعالى تزكية الشيخ محمد الأمين له على رؤوس الطلاب، حيث كان الشيخ يقول: والله ما تطلعت بعد تزكية الشيخ الأمين إلى أي تزكية أخرى!

وكانت القصة يوم أن سأل الشيخ الأمين عن نتائج الطلاب، ومن نجح منهم ممن رسب، فقالوا الذي حاز الرتبة الأولى هو محمد الشاب القصير النحيف، فلم يعرفني الشيخ فأشاروا إلي، وقالوا الذي يقرأ عليك، فقال الشيخ الأمين: لا أنا أسأل عن غيره، هذا طالب علم معروف! ففرحت يومها فرحًا شديدًا، وكانت كلمة أوقدت الهمة في قلبي، وزادتني حرصًا على حرص!

بعدما تخرج الشيخ من المعهد العلمي بالرياض انتقل إلى معهد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في مرحلة الثانوية، وهناك التقى بالشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، وكان هذا اللقاء بعدما وَضع الشيخ الألباني في مادة الفرائض سؤالا في المسألة العمرية، ولم يجب على السؤال إلا الشيخ الوائلي، وكان يقول (لأني كنت أحفظ الرحبية) فتعجب الشيخ الألباني وطلب رؤيته، وكان دائمًا يقول: الشيخ الألباني أسد السنة والله، رأيته يومًا وأنا خارج من الجامعة الإسلامية والطلبة حوله قد احتفوا به من كل جانب، فتذكرت عبد الله بن المبارك يوم دخل العراق في زمن هارون الرشيد!

وقد تخرج الشيخ الوائلي رحمه الله تعالى من معهد الجامعة الإسلامية عام 1383هـ بترتيب الأول. ثم واصل رحمه الله تعالى التعليم وتحصل على شهادة الليسانس من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام (1387هـ / 1388هـ)، وكان رحمه الله تعالى بعد تخرجه من المعهد قد وكل إليه التدريس به من عام 1387هـ إلى 1388هـ

لمدة أربع سنوات، استفاد منها كثيرًا خاصة من الناحية التعليمية، ولازم في مدة وجوده بالمدينة شيوخًا كثيرين ازداد بهم بعد الله تعالى تحصيلًا وتأصيلا، وكان منهم شيخه محمد المختار الشنقيطي الذي كان يسميه البحر، قال: كنت آتيه وأفتح عليه كتابًا فكان الشيخ يشرح كأنما أمضى الليلة في مراجعة مباحثه!

وسألت شيخنا الوائلي يومًا فقلت: هل كان علمه مثل ابنه الشيخ محمد المختار؟ فتبسم الشيخ وقال: أقول لك كان بحرًا.. وش تبي أكثر؟

ثم عقد الشيخ رحمه الله تعالى العزم على السفر ومواصلة الدارسة، فالتحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة، وحصل على درجة الماجستير في الفقه المقارن عام 1392هـ، وقد أخبرني أنه كان يدرس في نفس السنة التي دَرَسَ فيها الشيخ القدوة عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وكان يثني عليه ثناء عطرًا، حتى إنه جاءه يومًا أحد الطلاب، وذكر له شيخًا من المشايخ، وفضله على الجامعة وغير ذلك، فقاطعه الشيخ بأدب قائلا: لولا الله ثم الشيخ عبد المحسن العباد لما وجدت هذه الكليات في الجامعة!

وبعد أن حصل الشيخ على الدكتوراه من الأزهر بامتياز، ودرجة الشرف والتوصية، عاد إلى المملكة وتقلد عدة وظائف علمية وإدارية كان أهلا لها، حريصًا على خدمة ما وكل إليه بجد وإخلاص، ففي عام 1395هـ عُيِّن عميدًا لكلية الشريعة إلى عام 1403هـ، وفي عام 1397هـ عين أستاذًا مساعدًا بكلية الشريعة فأستاذًا مشاركًا عام 1401هـ ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية عام 1403هـ، ثم أمينًا عامًّا للجامعة الإسلامية من آخر عام 1403هـ إلى 1406هـ ثم أستاذًا في الدراسات العليا عام 1408هـ، ثم وكيلا للجامعة الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي من عام 1416هـ حتى 1422هـ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى قد تقلد لعدة مرات رئاسة قسم الفقه، ومرة واحدة رئاسة قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية، إلى جانب إشرافه رحمه الله تعالى على الرسائل العلمية في درجة الماجستير والدكتوراه!

صفاته الخَلقية والخُلقية

أما صفاته الخَلقية رحمه الله تعالى فقد كان ربعة إلى القصر أميل، أبيض شامخ الأنف، قليل اللحية، يصبغ بالكتم كأنه السواد، يأخذ شاربه من أسفله على مذهب مالك، حاذق النظر، صبيح الوجه مع طول فيه، إذا أعجبه الشيء ابتسم، وكان جل ضحكه التبسم، يتهلهل وجهه عند رؤية الأحبة، إذا مشى قبض يده كأنه في صلاة يمسك المشلح، تعلوه الهيبة والسكينة، تعرف أنه من العلماء رحمه الله تعالى!

أما صفاته الخُلُقيّة فقد كان رحمه الله تعالى منخفض الجناح، لينًا خاصة مع الطلاب، وخاصة مع الصغار منهم، ورأيت ذلك منه مرارًا، ينصحهم ويوجههم، ويسأل عن حالهم كثيرًا، عزيز النفس لا يسأل أحدًا حتى في أمور سهلة، إذا حضر الغريب سأله عن حاجته وبدأ به، بعيدًا عن الشهرة والمدح، يحب من يسأل ليستفيد، وقد كان (فتح باب النقاش) كما كان يقول قبل درسه في القواعد بنصف ساعة تقريبًا قبل المغرب، فيحتف حوله الطلاب ويسألونه عما أشكل عليهم وهو معهم في أخذ ورد، لا يتذمر ولا يتضجر أبدًا، مثالٌ للعالم المربي حقًّا، الذي جمع بين العلم والرحمة بالمتعلمين، رحمه الله تعالى!

التدريس بالمسجد النبوي

بدأ الشيخ الوائلي رحمه الله تعالى عام **1416**هـ التدريس بالمسجد النبوي الشريف، واختار أن يكون درسه في كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد الحفيد، وكان هذا الدرس فتحًا على طلاب الجامعة الذين استفادوا منه غاية الاستفادة، فبسط ما كان موجزًا، وسهل ما استصعب منه، وفك رموزه بأسلوب فقهيٍّ متميز، يعرف هذا كل من سمع درسه، حتى أمضى في الكتاب ثماني سنوات كاملة وهو يشرح ويوضح، وكان دائمًا يذكر رحمه الله تعالى أنه لولا خشية الإطالة لبسط الدرس ولزادت سنواته، ثم بعدما يسر الله تعالى إتمام الكتاب، فتح الشيخ كتاب (الكافي) لابن قدامة المقدسي، وأمضى فيه قرابة ست سنوات ونصف، ثم كتاب (تقرير القواعد وتحرير الفوائد) لابن رجب الحنبلي، هذا الكتاب الذي كان يقول فيه الشيخ (هو أعجوبة)، دائمًا يردد قواعده ويعلي بكاتبه،

لم يُعرف الشيخ بالتأليف لأنه كان رحمه الله تعالى قليل الكتابة، بعيدًا عن هذا الباب وإنما جعل همته في التعليم والتدريس، إلى جانب ارتباطاته الإدارية في الجامعة الإسلامية، ولكنه رحمه الله تعالى كانت له مشاركات بالمقالات أو المحاضرات التي كان يلقيها في الجامعة الإسلامية أو في الندوات، ومن بين ما هو مطبوع: القواعد الفقهية تاريخها وأثرها في الفقه/ رسالة بعنوان: حكم الشريعة الإسلامية في المسكرات وطرق مكافحتها وآثارها الضارة صحيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا/ محاضرة بعنوان: قبسٌ من تاريخ الفقه الإسلامي / مقال بعنوان: مكانة المسجد في الإسلام/ وللشيخ مقالات وتعليقات على بعض الكتب إبان تدريسه في الجامعة لا تزال في مكتبته رحمه الله تعالى!

مرضه ووفاته رحمه الله تعالى

كان الشيخ رحمه الله تعالى يعاني من ألم في قلبه، ألزمه الطبيب الراحة والتوقف عن الدروس، التي كانت ترهقه عند بذل المجهود في التحضير والإلقاء، ولكن الشيخ أبى التوقف والانقطاع، بل لم يتخلف عن درسه رحمه الله تعالى أبدًا فيما أذكر، وفي آخر رمضان من عام 1431هـ أجريت له رحمه الله تعالى عملية في القلب في المستشفى السعودي الألماني، وكانت حالته على ما يرام إلى أن قدر الله له أن يصاب بجلطة، فنقل إلى مستشفى الملك فهد، وتم معالجته، ولكن الله تعالى الرحيم أذن لروحه ففاضت إلى بارئها ليلة الخميس 27 شوال عام 1431هـ، وكان أمر الله مفعولا!

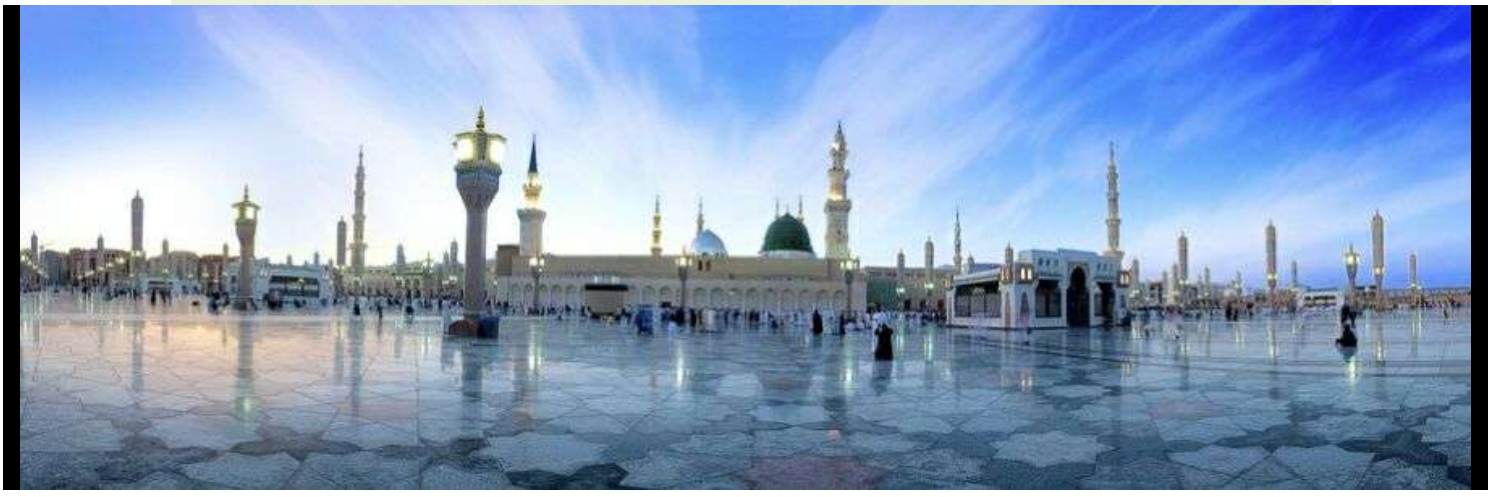

ابن باز العالم الولي الجواد

ما كُفَّ مَنْ رُزِقَ البصيرةَ والهدى	فغدا لرَكْبِ المبصرين دليلا
إن المكارم إن قَصَدْتَ طِلابها	عند ابنِ بازٍ كُمّلت تكميلا

يراه الغلاة المتصوفة والشيعة شيطانًا رجيمًا، ويراه الأكثرون ربانيًّا رحيمًا، وعالمًا رقيقًا صاحب خلق ربيع، ودين جم، وسلوك غير مشوب، ولا أزكي على ربي تعالى أحدًا! وهي شهادة أسأل عنها أمامه سبحانه، أرجو أن أكون فيها صادقًا: هو رجلٌ أمة.. أحسبه والله حسيبه: أمة في العلم.. أمة في الحلم.. أمة في الجلَد.. أمة في الدعوة.. أمة في احتراق القلب لأجل المسلمين..

دخلت مكتبه لأول مرة سنة 1975م حين كان رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ورأيته آخر مرة في جامِعِه بمكة المكرمة في ذي الحجة 1417هـ (1997).

وبين هذين التاريخين سمعت، ورأيت، وتواتر على سمعي وأسماع غيري أن هذا الشيخ – رحمه الله ونفعنا الله بحبه رأسٌ في العلم والعبادة، ومنارة دعوية هادية، وأنموذج فذ في أعمال الخير والبر، لا أزكيه على الله تعالى، وإنما الناس شهود الله في الأرض، فإذا أحب سبحانه عبدًا كما أخرج مسلم في صحيحه وضع له الحب والقبول في الأرض، ورفع ذكره بين (الصالحين)، وأضفى عليه من المهابة وطيب الأثر ما لا ينال غيره، ممن قصَّروا عن عمله ودأبه.

سمعت الثناء عليه من علماء أجلّة، ومن طلبة علم مميزين، ورأيت أطرافًا من بركاته، وربما نالني طرف خير من دعواته:

جرت العادة عند التخرج في الجامعة أن توزع الشهادات في حفل كبير على المبرزين في الدراسة، وكان الشيخ – سَنَتئذٍ هو الذي يوزع الشهادات على الأوائل، فكان

يميل على أذن كل طالب، لِيُسِرَّ إليه بكلام يخصه به لا يسمعه غيره.. ولم أعرف ما يقول حتى جاء دوري في تلقي همسات الشيخ، فإذا هو يحرضني على تقوى الله تعالى، ويحث على العمل بما تعلمت، وينبه عقلي إلى فضيلة أن أكون داعية لله عز وجل على علم وبصيرة.. فكانت كلماته آخر ما تعلمت من الخير، في هذه الجامعة المباركة، التي كانت تحوي خلاصة علماء الأمة في فنون العلم الشرعي آنذاك..

وحسبنا أننا سمعنا فيها للشنقيطي، وأبي بكر الجزائري، وعبد المحسن العباد، وحماد الأنصاري، وعبد الفتاح القاضي، ومحمد سالم محيسن، وأكرم العمري، وعلي جريشة، ومحمود ميرة، والغنيمان، وعبد العظيم الشناوي، ومحمد نايل، ومحمد محمد خليفة، وغيرهم من أهل العلم والفضل.

وأقول شاهدًا، شهادة راءٍ للشمس، عارف بالأحداث: إن الشيخ نفعنا الله بحبه وحب أمثاله تميز بجملة مزايا قلَّ أن تجتمع في غيره من العلماء.

ولقد والله رأيت كبار الكبار، وخالطتهم، فعرفت وأنكرت، وقبلت ورددت، لكن ابن باز شيء آخر: في رفقه ولطفه، ورقته وورعه، وسخاء يده ولسانه، وإنفاقه على الدعاة وطلاب العلم، وشدة اهتمامه بأمر الإسلام والمسلمين:

كانت المكافأة التي تعطى لطلاب الجامعة شهريًّا ضئيلة، ولا تكفي إلا الطالب المقتر، خصوصًا إذا كان هذا الطالب متزوجًا، أو يسكن خارج السكن الجامعي، فكان الطلاب المحتاجون يُهرعون إلى الشيخ يأخذون من ماله الخاص ما يعينهم على العيش، والتفرغ للعلم، حتى تنتهي رحلتهم الدراسية.

ومما سمعته آنذاك أن أحد الطلاب احتاج إلى مائتي ريال مساعدة فكأن كاتب الشيخ قرأها – خطأ – ألفين، فأمر الشيخ بصرف المبلغ له – والألفان آنذاك مبلغ كبير – وعند مراجعة الأوراق اتضح أن الطالب طلب مائتين، فأراد الكاتب تصحيح الأمر، فنهاه الشيخ قائلًا: لعله كان محتاجًا للألفين، واستحيا فرزقه الله.. أعطه الألفين.

ولم يزل هذا دأب الشيخ إلى أيامنا في الإنفاق على طلاب العلم، وعلى الدعاة خارج المملكة، حتى اختاره الله تعالى فتوفاه.

ولقد رأيت دعاة يعملون في مراكز الدعوة المنتشرة في العالم، رواتبهم من مال الشيخ، رحمه الله وأكرمه.

ومن مكارمه رحمه الله أنه كان حفيًّا بطلاب العلم، حريصًا عليهم، لا يتأخر عن حاجاتهم..

حكى لي الدكتور عمر شاهين أنه في مطلع طلبه للعلم كتب للجامعة الإسلامية ثلاث سنين ليقبلوه بها، فردوه رغم أنه كان طالبًا متميزًا، ثم ذهب إلى المدينة ليشاء الله تعالى أن يرى ابن باز في سيارته منطلقًا إلى الفندق حيث يقيم، فطرق نافذة السيارة، ليأمر الشيخ السائق بالتوقف، وفتح النافذة، فقال له د. عمر:

- يا شيخ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هل يكفي هذا يا شيخ لتشهد أني مسلم؟
- يا بنيّ أنت بالمدينة، ولا يدخلها إلا مسلم، ماذا وراءك؟
- إذا شهدتَ فضيلتك لي، فلماذا أتقدم للجامعة الإسلامية ثلاث مرارٍ ويردونني؟
- لعل معدلك ضعيف يا بني؟
- بل أنا متفوق، وأدرس الهندسة الزراعية، لتفوقي!
- لعلك أوراقك غير مستوفاة/ لعل..../ لعل..../ والأخ عمر يرد.
- إذن فتعال الليلة عشاء لفندق كذا.

وذهب في الموعد، ليجده قد كتب رسالة، وأوصاه ألا يفتحها، وألا يسلمها لأي أحد غيرِ مدير الجامعة نفسه، لا لمدير مكتبه، ولا لأي أحد آخر.

وصباح اليوم التالي كان أ. عمر هناك، وسلمها لمدير الجامعة نفسه، فلما فتحها نادى شيخي محمد بن حمود الوائلي عميد كلية الشريعة ليأتيه لمكتبه، وقال: هذه رسالة من الشيخ، لا يبرحن هذا الأخ حتى يسجل بالكلية، وتنهى معاملاته كلها كاملة دون أي تأخير! وخلال أربعين دقيقة رجع الشيخ الوائلي، وقد أنهى كل شيء، وأضحى عمر شاهين مسجلا بالكلية، ومعه خطاب للسفارة السعودية بالأردن للتأشيرة، ورسالة للخطوط السعودية للتذكرة، وصار ربما أسرع من سُجل طالبًا بالجامعة في تاريخها!

ومن مكارمه في زمن احتجاب العلماء عن الشباب، وصعوبة الوصول إليهم؛ خصوصًا إذا كانوا مشاهير أو "منافيخ" أن باب ابن باز مفتوح دائمًا، ولا يأكل في بيته إلا مع الناس. وهو في أثناء ذلك يأكل، ويجامل، ويسمع للذي يقرأ عليه، ويجيب عن الأسئلة، ويقضي الحوائج.

قال عنه الشيخ المجذوب (المشكاة/3) إن الناس ليتكبكبون حوله أينما وجد: في المسجد، في المنزل، في الجامعة. وإنه ليصغي لكل منهم في إقبال يخيِّل إليه أنه المختص برعايته، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو.

ومراجعوه من مختلف الطبقات، ومن مختلف الأرجاء ولكل حاجته: هذا يقصد إليه من أطراف المملكة يسأله الفتيا في أمر ضاق به العلماء..

وذلك يفضي إليه بحاجة لا يغني فيها سوى الحلماء الكرماء..

وربما كان بين هذا وذاك من لا يستحق اهتمامًا ولا إصغاء، ولكنه لا يعدم منه الرعاية التي تجبر قلبه.

وقد يكون بين المراجعين من يغلب عليه الحمق، فيسخط ويغلو لغير ضرورة، فلا يغير ذلك من حلم الشيخ، ولا يزيد على الدعاء له بالهداية، ودعوته إلى الأناة.

ولم يكن بالنادر أن يزدحم عليه هؤلاء؛ حتى إنهم لا يدعون له متسعًا لراحة، ومع ذلك لا يحاول التخلص من مقامه المعنِت، بل تراه يصغي لحاجة كل منهم بهدوئه المعهود، ويجيب كلًا بما يرى أنه الحق.

والشيخ رحمه الله واسع الصدر، حليم إذا جُبه وأوذي، كما مر:

دخل عليه أحدهم فأساء، وسب، وقال: أنتم لا تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا آل بيته، وأنتم.. وأنتم.. فبكى الشيخ بكاء شديدًا لهذا القول العظيم المفظع، ثم سكّن الرجل، وهدأه، وانطلق يتحدث عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، وآل بيته الكرام، وأفاض، وأثنى، وعظم، وتوسع كما ما ينبغي الحديث عن سيد الأولين والآخرين، وآل بيته، عليهم الصلاة والسلام من مثل ابن بازي الرباني؛ ولا أزكي على الله تعالى أحدًا.

ومن أهم مزاياه تركه للعصبية، وحبه للعلماء، وثناؤه عليهم مهما كانوا مخالفين في الرأي، ما لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة، وحفظه لأقدارهم ومنازلهم، وحرصه على الإصلاح وجمع الكلمة..

وكذا جرأته في الحق، وجهره به لا يخشى لومة لائم: بلغني عن أحد طلاب العلم في الجامعة آنذاك (الشيخ المصري متولي صالح) أن الشيخ أيام فتنة جهيمان الغبية، التي ثارت بالحرم المكي سنة 1979–1399 هـ. كان حريصًا على أن يناقش هؤلاء الشباب، ويبين لهم خطأ ما هم عليه، حتى إن هذا الأخ اصطحب الشيخ على جلالته، وضعف جسمه وصحته، وذهاب بصره في سيارة نصف نقل، وسار به مسافة تقارب المائة كيلو متر، في طريق صحراوية شاقة، ليصل إلى هؤلاء الشباب ويناقشهم، عسى أن يراجعوا ما هم عليه من معتقد.

وحين صدر الحكم بإعدام المفكر العظيم الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى غضب الشيخ لذلك، وأرسل برقية شديدة اللهجة، ينكر فيها إعدام (السيد) وختمها بقول الله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء:93).

النص الكامل للبرقية التي أرسلها

الشيخ عبد العزيز بن باز

إلى رئيس النظام السوري

حافظ الأسد

الشيخ عبد العزيز بن باز

فخامة رئيس الجمهورية العربية السورية/حافظ الأسد :

لقد حال المجلس الاعلى للجامعة الاسلامية المنعقد بالمدينة المنورة والذى يحضره ممثلون من علماء المسلمين وقادة الفكر فى العالم الاسلامى ما جرى ويجرى فى سورية الشقيقة .. من اعدام وتعذيب وتنكيل بالمسلمين الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله فى المجتمع .. وذلك تحت ستار حادثة حلب ، التى نقلت وكالات الانباء والصحف العربية والعالمية انها نمت بين اجنحة الحزب الداخلية ، بسبب ما تشعر به اكثرية المواطنين من غبن وارهاق ، واهدار للقيم فى كل الميادين.. على صعيد الممارسات اليومية ، ونتيجة الاختلاف فى نوع الانتماء والولاء الطائفى.

والمفروض ان يقضى على الاسباب الجذرية للفتنة .. لا ان يسار فى تعميق تلك الاسباب .. كما ان الواجب ان يشجع الشباب المخلصون لدينهم ولأمتهم، ويوقف ما يتخذ ضدهم وضد اسرهم من اجراءات منكرة .. تفويتا لفرصة الكيد اليهودى ، وضمانا لوحدة الصف ، والافادة من كل الطاقات الخيرة فى معركة المصير مع العدو الشرس ، وحرصا على ان تؤدى سورية المسلمة المعروفة باصالتها دورها كاملا غير منقوص فى جهاد اعداء الاسلام .. وقد بات هذا الامر اكد واوكد بعد ما ارتكبته العصابات اليهودية الحاقدة واعوانها صباح مساء فى جنوب لبنان ، لاغراض معروفة .

ان المجلس الاعلى للجامعة الاسلامية يأسف اشد الاسف لما يجرى فى هذا البلد الغالى من سفك دماء الذين ينشدون ما هو واجب على كل حكومة تؤمن بالله ورسوله ، من تحكيم شرعة الله تعالى ، والعودة الى ما كانت به عزيزة قوية مرهوبة الجانب .. حين تبنت للدنيا اسمى حضارة عرفها الانسان .. ويستغرب المجلس الاعلى اشد الاستغراب ان تكون هذه الدعوة فى بلد اسلامى عريق جريما يستوجب اهله الاعتقال والايذاء والقتل .. دون ان يسمح للمتهم بادنى قدر من الحرية لجلاء الحقيقة .

واننا لنهيب بكم .. وبكل المسئولين فى كل البلاد العربية والاسلامية .. ان يجمعوا الصفوف على كلمة الله ، وتطبيق شريعته ، ويعدوا العدة ، ويوحدوا القوى .. فى ظلال العقيدة الاسلامية ، وحب الجهاد والاستشهاد .. فذلك هو طريق النصر والفلاح .

« والله غالب على امره .. ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

وفقنا الله جميعا لطاعته .. ولما فيه خير البلاد والعباد .

مجلة الاعتصام المصرية يناير 1980

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس المجلس الاعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

منتديات بحريني
www.bahraini.ws

كما أرسل رسائل لعدد من الزعماء ينكر عليهم عدم تحكيمهم لشرع الله تعالى، وينكر تهجم بعضهم على السنة المشرفة، مثل بورقيبة والقذافي والأسد، وعبد الناصر.

وحضرت من ذلك موقفًا بنفسي في ختام المؤتمر العالمي للدعوة والدعاة سنة 1977م وكان الشيخ رئيس المؤتمر إذ ذاك، فصاغ مع المؤتمرين برقيات أرسلت إلى عدد من الدول قرئت على الحاضرين جميعًا يومذاك.

ومن المواقف التي تُذكر هنا ما سمعت من الدكتور القرضاوي من الثناء على الشيخ

وذكر فضله، والإشادة بموقف له حصل ذات يوم، حين مُنع كتاب القرضاوي (الحلال والحرام في الإسلام) ورفض ما فيه بعضُ العلماء في المملكة، فحصلت مراسلة أو لقاء – لست متأكدًا – بين الشيخين، أوضح فيها القرضاوي أنه يصر على آرائه، لأنه مقتنع بها، وأنه سيُسأل أمام الله تعالى عن رأي نفسه لا عن رأي غيره، فما كان من الشيخ ابن باز إلا أن أصدر أمرًا بالسماح بدخول الكتاب للمملكة.

وإذا كان من أحد يُجمع الإسلاميون على فضله، وعلمه، وورعه، فهو العلامة أبو عبد الله عبد العزيز بن باز رحمه الله، الذي عاش حياة حافلة تقارب التسعين؛ ملؤها التعلم، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة، وأعمال البر، والتواضع الشديد، مع مكانته في المملكة والعالم الإسلامي، ومع توليه رئاسة ما لا يقل عن عشرة من المواقع العلمية والدعوية المحلية والعالمية.

فهل يتعلم المستكبرون (والمنافيخ) والمرجفون بين المسلمين، وطوال الألسنة الواقعون في أعراض العلماء؟

الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى

وممن علمونا أكثر من سنة: الشيخ المبارك أبو بكر الجزائري، وهو أول شيخ أسمعه يقول تواضعًا: أنا لا أصلح لتدريس الطحاوية، فهذا ليس اختصاصي..

كان عالي الصوت، ألثغ الراء، دائم التسهيل للهمز على طريقة من يقرؤون بورش (المومن/ المومنون) رغم طول مقامه بالسعودية، يعرف الفرنسية، ويعنى بالتفسير عناية واضحة؛ مقارنة بغيره من العلوم!

ولد جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري في قرية ليوا جنوبي الجزائر عام 1921م، وفي بلدته نشأ وتلقى علومه الأولية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون في اللغة والفقه المالكي، ثم انتقل إلى مدينة بسكرة، ودرس على مشايخها جملة من العلوم النقلية والعقلية التي أهلته للتدريس في إحدى المدارس الأهلية، ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، وفي المسجد النبوي الشريف استأنف طريقه العلمي بالجلوس إلى حلقات العلماء والمشايخ، حيث حصل بعدها على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي 1373 فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف، وغير ذلك، وطال ذلك بضعًا وأربعين سنة حتى توفاه الله تبارك وتعالى. كما عمل مدرسًا في بعض مدارس وزارة المعارف، وفي دار الحديث في المدينة المنورة، وعندما فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها عام 1380هـ كان من أوائل أساتذتها، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام 1406هـ.

كان رحمه الله تعالى من العلماء النشطين الذين لهم جهودهم الدعوية في الكثير من البلاد التي زارها (الترجمة من موقع الشيخ على الإنترنت).

من مؤلفاته رحمه الله: رسائل الجزائري وهي (23) رسالة تبحث في الإسلام والدعوة/ منهاج المسلم/ عقيدة المؤمن/ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: 4 مجلدات/ عظات وعبر من أحاديث سيد البشر صلى الله عليه وسلم/ المرأة المسلمة/ الدولة الإسلامية/ الضروريات الفقهية/ هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب/ كمال الأمة في صلاح عقيدتها/ هؤلاء هم اليهود/ التصوف يا عباد الله/ نداءات الرحمن لأهل الإيمان.. وله في الجملة ما يزيد عن مائة رسالة جمعت في مجلدات عدة.

قال في حوار أجراه معه موقع شبكة السنة النبوية وعلومها 1429/11/15هـ، إنه هو الذي دعا إلى فتح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وإنشاء رابطة للعالم الإسلامي، وإيجاد إذاعة للقرآن الكريم.

انتقل إلى رحمة الله تعالى أوائل رمضان 1435/ أغسطس عام 2014 عن ثلاث وتسعين سنة ميلاية. وقد نعاه العلامة القرضاوي في بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ببيان جاء فيه:

فقد تلقينا بقلوب مفعمة بالرضا بقدر الله نبأ وفاة أخينا العلامة والداعية الشيخ أبو بكر الجزائري، رحمه الله، الذي توفي يوم أمس الاثنين في العشر الأوائل من شهر رمضان رمضان الكريم..... لقد فقدت الأمة الإسلامية واحدًا من علمائها الربانيين، ومفكريها الذين عرف عنهم الورع والتقوى والعلم، ولم يفارق المسجد النبوي يعلم الناس لأكثر من 40 عامًا.....رحمه الله وتقبل منا ومنه.

الشيخ الدكتور محمود ميرة شفاه الله

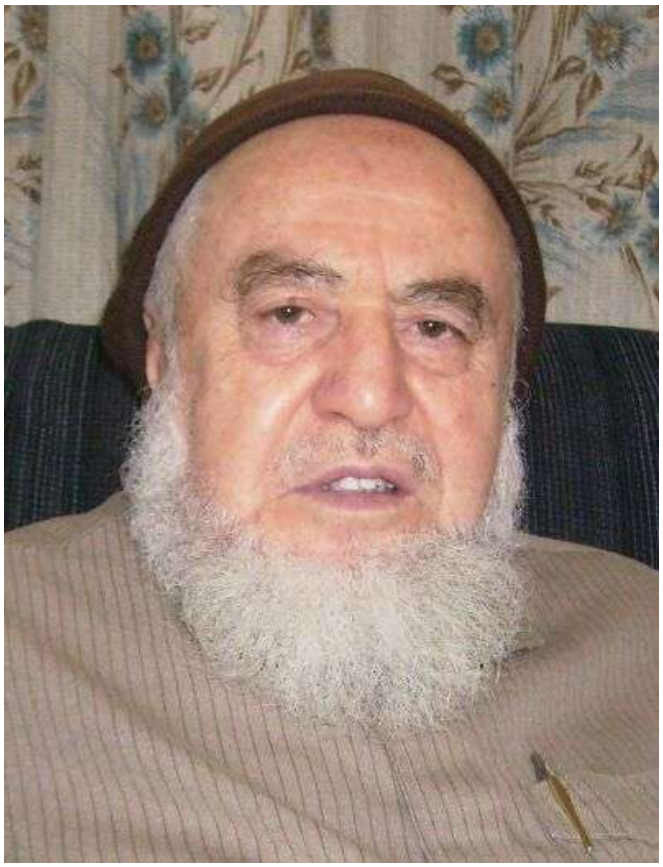

العالم اللطيف الرفيق البسام، معلمنا الأسانيدَ وأصول التخريج، من كتابي الشيخ عبد المحسن العباد، والذي ربطنا بالإمام ابن حجر العسقلاني وكتابه تهذيب التهذيب، وقرب إلينا علم الرجال، والطبقات والمراتب، وكان عِلمًا لم أسمع به أثناء دراستي في كلية الشريعة والقانون بالأزهر!

الرجل حسن التأتي، الذي أذكر – كما مر قبل – من لطائفه ودعاباته شيئًا حسنًا، والذي درس في كلية الشريعة بالجامعة إحدى وعشرين سنة، بين عامي 1965 و1986، ثم انتقل بعدها أستاذًا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

نشأ في أسرة فقيرة مكافحة، وعافس الحياة مع والده سنين طويلة – ما أخره عن لداته في الطلب – لكنه كان ذا تميز وإصرار ولماحية مكنته بعد من أن يصير إلى ما صار إليه. وكان يعاون أباه معلم البناء والذي كان خبيرًا بفنونه؛ حتى اختارته مديرية الآثار بحلب لترميم الآثار القديمة وإحيائها، ولا تزال بعض الآثار التي رممها شاهدة على دقته وخبرته.

ولد في حلب عام 1929 م. الموافقة سنة 1348! ووجهه أبوه لحفظ القرآن الكريم وهو بين السادسة والسابعة، لذا أدخلوه المدرسة الابتدائية في الصف الثالث مباشرة، وذلك سنة 1939 لينتهي منها عام 1942 ويحمل البريفيه أو السرتفيكا، وكان يدرس اللغة

الفرنسية أيامها، يجيد مبادئها. وكانت لهذه الشهادة آنذاك قيمة عالية؛ حتى إن الحاصل يجد بها وظيفة!

جمع الشيخ بين الطلب والعمل، فكان يدرس نصف اليوم، ثم يعمل بقيته؛ فأكسبه هذا – بفضل الله – علمًا وصحة وقوة، وطول بال.

بعدها التحق بالدراسة في الشعبانية (معهد العلوم الشرعية) عام **1949** م. ومما يرويه عن هذه الحقبة، قال:

حدثت لي حادثة أفادتني طيلة عمري، فأثناء قراءة الشيخ لنا في كتاب شرح صحيح مسلم للنووي في كتاب الإيمان/ باب الردة، وكان من عادته أن يكلفنا أثناء القراءة بمراجعة بعض ما يمر بنا: لفظة لغوية، أو حكم فقهي، أو قضية تاريخية؛ فيكلف كل واحد منا بمسألة، ثم في اليوم التالي يسأله عما كلف به!

وقد كلفني في يوم من الأيام أن أراجع قصة أهل البحرين لما ارتدوا وتحديد مسجد جواسى، وكانت كتبي تحت (الكرويت) والغرفة التي كنت أسكنها مع زوجتي وأولادي كانت مساحتها كلها ثلاثة أمتار بمترين ونصف، وعدت والجميع نائمون، فكيف أراجع، والدرس ينتهي بعد العشاء، وأنا أنام مبكرًا!

استيقظت لأصلي الفجر، ثم ذهبت إلى المدرسة، وبعد انتهاء الدوام في المعهد ذهبت كالعادة لأعمل مع والدي في (البناء) وبعد انتهائي من عملي ذهبت لحضور الدرس، فقال لي الشيخ: هات ما عندك يا محمود، قلت: والله ما تمكَّنت، وشرحت له الأسباب، فقال لي:

إذا كنت ستنتظر حتى يصبح الكرسي دوَّارًا، وضوء الكهرباء يضاء مسلطًا على الطاولة، والمروحة تلطف الجو؛ فهذا يعني أن يذهب العلم، ولا يُستفاد من الوقت، إذا لم تَجِدُّوا من الآن وتتغلَّبوا على المستحيل فليس هناك فائدة، أريدك ألا تتعلل بمثل هذا في المرة الآتية! وإذا كلّفتك بشيءٍ فلا بد من أن تُحَضِّره!

وفعلًا بعدها ما تخلَّفتُ عن شيءٍ طلبه مني الشيخ رحمه الله أبدًا!

ومما ذكره أيضًا من لطائفه أيام الطلب، قال: أذكر مرة أن الشيخ أسعد العبه جي مفتي الشافعية رحمه الله كان يدرسنا الأصول، والوقت شتاء، وغرف الصفوف ضيقة والمواقد مشتعلة، فجاء الشيخ في يوم ماطر شديد البرودة، فدخل والصف دافئ، فخلع الحذاء الذي فوق الخف، وجلس، فلما انتهى من درسه خرج، ونسي الحذاء الذي يلبس فوق الخف، وجعل يمشي في الماء، فلما رآه الشيخ أبو الخير يمشي هكذا قال: ما هذا؟ فأجابه: أصلح الله الطلاب لم ينبهوني، وأنا نسيت لبسهما، فذهب الشيخ أبو الخير، وأحضر الحذاء، وألبسه إياه لشدة احترامه للعلماء!

المهم أنه أثناء ذلك كان يدرَّس في مدرسة الغزالي بحلب، كما انتدب بعد إلى كلية الشريعة بدمشق. وممن درس عليهم في كلية الشريعة: الشيخ مصطفى الخن، والدكتور صالح الأشتر، والدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور منير العجلاني، والدكتور أحمد الدهمان، والدكتور أحمد السمان، والدكتور فاخر العاقل، والدكتور مصطفى زيد، والدكتور أبو اليسر عابدين، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ سعيد الأفغاني، والشيخ عمر الحكيم، والدكتور أمين المصري، والدكتور يوسف العش، والشيخ فوزي فيض الله، والدكتور مصطفى السباعي..

ثم بعد انتهائه من كلية الشريعة تابع الدراسة في كلية التربية، ونال شهادة دبلوم التربية.. بعدها اختارته إدارة التعليم في إدلب مديرًا لعدة ثانويات!

وقد حصل على الماجستير سنة 1967، فالدكتوراه، وكان من مدرسيه في تلك السنين من المشايخ الكبار: مصطفى التازي، وطه الساكت، ومحمد السماحي، وعبد الوهاب عبد اللطيف، وسيد صقر، وسيد الحكيم، وغيرهم، رحمهم الله أجمعين.

وفي مطلع عام 1966/1965م الدراسي تعاقد مع السعودية مدرسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ليستقبله زميل دراسته الشيخ الدكتور محمود الطحان، وكان قد جاء إلى المملكة قبله بسنة هو، والشيخ الدكتور نور الدين عتر.

(ملخصة عن حوار أجراه معه الأخ الحبيب الشيخ مجد أحمد مكي في موقع رابطة علماء سوريا)

الشيخ عبد الرؤوف اللبدي التربوي الموفق

درسنا النحو على ما أذكر الشيخ محمد أبو طالب، والعلامة الدكتور عبد العظيم الشناوي، ومن المشايخ اللافتين الذين درسونا: الشيخ الفلسطيني عبد الرؤوف اللبدي – واسمه الكامل: عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي – الذي فصّل لنا ابن عقيل بشرح محيي الدين عبد الحميد، بكثير من التفنن والاقتدار.

وأذكر مرة أنني وقفت أسأله سؤالًا في النحو، فقال لي: لا أعرف يا أخ عبد السلام، الإجابة عندك.. انت عارف!

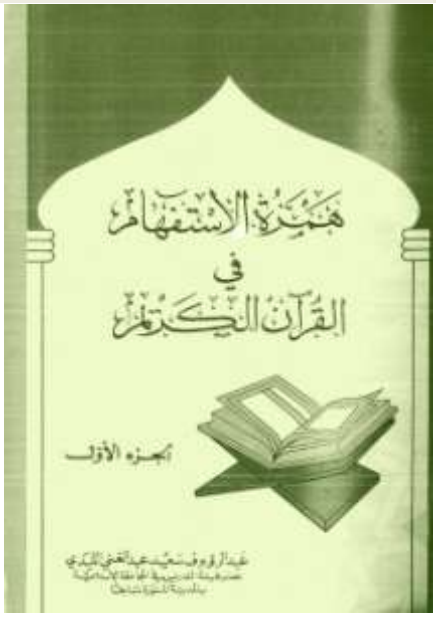

قلت يا شيخ: لا أعرف؛ لذا أسألك!

قال: بل تعرف، ففكر وأجب أنت على نفسك!

يا شيخ لعل توجيهها كذا؟/ كلا، وإلا كان كذا!

لعل توجيهها كذا؟/ كلا، بسبب كذا وكذا!

لعل كذا؟/ صح.. أصبت.. هي هذه..

أرأيت؟ كنت تعرف الإجابة!

من مؤلفاته التي أعرفها: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ورسائل لم يحملها البريد!

ورسائله هذه كانت تنشر في مجلة الجامعة، ثم جمعها، وكان يوجهها ليوصل أفكاره بشكل تربوي إبداعي – بحسب المتاح آنذاك – ومما كتبه على لسان الأرض للقمر (وكان كثيرون يكذبون وصول البشر للقمر آنذاك):

وهكذا جاءت الأنباء تقول: لقد عاد أول القادمين إليك من أبنائي سالمين، فقد

أشفقت عليه النوائب، وأمهله الموت! لقد هزت هذه العودة أبنائي المبثوثين على ظهري هزًّا عنيفًا، ورجتهم رجًّا، وتركتهم في أمر مريج، فمصدق ومكذب، وحائر تجحظ عيناه، ولا تنبس شفتاه! تركت أبنائي وشأنهم، يتحاورون ويعجبون، ورحت أرقص فرحًا، واهتز مرحًا، وأملأ الفضاء حبورًا! ولم لا أفعل هذا يا شقيقي القمر؛ وأنا التي تكابد الشوق إليك منذ آماد بعيدة، وتعاني حرقة الصبابة من حبك كر الغداة ومر العشي، وتخشى أن يصيبك السوء على تطاول العصور والأحقاب! لقد كتب الله لي النجاح، وبلغني ما كنت أؤمل، وجاءتني البشرى بما تتمتع به من حياة طيبة، ومنعة، وشباب، كعهدي بك أيام الطفولة، أفلا يحق لي أن أفرح وأمرح، وأتيه تيه الفائزين، وأزهو زهو الظافرين!؟

الله يعلم كم بذلت في سبيل لقياك من جهد ومال ورجال، وكم تحملت من سهر ودأب ونصب، فحري بي اليوم أن أطيب نفسًا، وأن أقر عينًا، وأن تبتل جوانحي، وأن يسكت عني القلق والخوف! ولكن.... ولكن أخشى ما أخشاه – الأخ الكريم -أن تكون قد أصابتك حمى الحسد والغيرة، حين هبط على سطحك أول رائد؛ فأخذت تقول لنفسك: وأنى لهذه الأخت أبناء يجبون الفضاء، ويطيرون من كوكب إلى كوكب، وقد عهدتها جرداء بلقاء، لا تعرف الأنس ولا الجان، ولا النبات ولا الحيوان؟

شيء مؤسف – أيها الأخ الكريم – أن يطوف بي طائف من هذه الظنون، وأن أفصح عنه في أول رسالة أبعث بها إليك، ولكني خشيت أن يتصيدك الشيطان فيمن تصيد، وأن يوقع بيننا العداوة والبغضاء؛ فقد علمتني تجارب أبنائي ما لا تعلمه أنت، فكم من صديقين حميمين، أو أخوين شقيقين، غني أحدهما ولم يغن الآخر، أو طار أحدهما في الآفاق، وبقي الآخر فوق ثراي، فأغرى بينهما الشيطان؛ فإذا هما عدوان لدودان! لهذا أحببت أن أصارحك بدأة ذي بدء، إبقاء على ما بيننا من ود، وصلة أرحام بيننا ونسب.....إلخ الرسالة الطويلة، عن حال الناس على الأرض، وتهارجهم، وغلوائهم، وتقاتلهم وتباغضهم، ولزوم إحلال الخير والعدل محل البغضاء والشحناء!

الشيخ عبد الغفار حسن عليه الرحمات

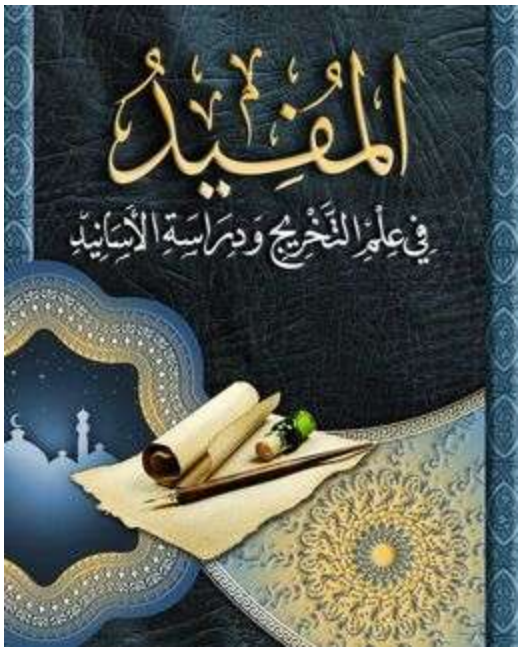

وممن علمونا الشيخ المحدث عبد الغفار حسن رحمه الله، شرح لنا مذكرتيه في التخريج والأسانيد، كما شرح لنا من سبل السلام، وكان هادئًا باسمًا، يتحدث العربية بلكنة هندية لا تخفى، ومما أذكره عنه رحمه الله أنه شرفنا بأن أجازنا جميعًا رواية حديث الترمذي مرفوعًا غريبًا؛ بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر) وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة.

ومن اللطائف أن بعض الطلاب أراده أن يخفف من الجزء المقرر قبل الامتحان من سبل السلام، فقال له: حاضر، انظر في الكتاب، وستجد أوله بسم الله الرحمن الرحيم، وستجد في آخره: تم بحمد الله.. هذا هو المقرر، والباقي كله محذوف!

وقد كتب ابنه سهيل ترجمة له أختصرها هنا:

هو الشيخ العلامة المحدث عبد الغفار حسن بن الشيخ عبد الستار حسن بن الشيخ عبد الجبار بن الشيخ منشى بدر الدين العمرفوري رحمه الله تعالى، المولود في 15 شعبان 1331هـ الموافق 1913/7/20 م ببلدة رهتك من بنجاب الشرقية، وكانت عائلته مستقرة بالقرب من دهلي العاصمة في الهند.

وانتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس 1428/3/3هـ الموافق 2007/3/22م ودفن يوم الجمعة 1428/3/4هـ الموافق 2007/3/23م وصلى عليه جمع غفير من أهل العلم وكبار القوم وعامة الناس ووري جثمانه في مقبرة إسلام آباد!

تلقي الشيخ تعليمه في دار الحديث الرحمانية بدلهي (الهند) وتخرج فيها عام 1352 ثم دخل امتحان فاضل أدب عربي من جامعة لكناؤ (الهند) عام 1354 هـ وامتحان مولوي فاضل (عربي) من جامعة بنجاب عام 1359هـ كما تلقى دراسات الطب العربي كما كان سائدًا آنذاك عند أهل العلم حتى لا يتخذوا العلم الشرعي مهنة لهم.

ودرس ست سنين بالمدرسة الرحمانية ببنارس، وست سنين بمدرسة كوثر العلوم بمالير كوتله البنجاب الشرقية، الهند.

واشتغل سبع عشرة سنة بالدعوة والتدريس فى مدن مختلفة، ثم انتقل للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة سبع عشرة سنة أخرى، بين عام 1384هـ وعام 1401هـ، بعدها انتقل لجامعة تعليمات إسلامية بفيصل آباد، أربع سنين مديرًا للتعليم بها، وعضو مجلس الفكر الإسلامى للحكومة الباكستانية بطلب من الرئيس الباكستانى الراحل محمد ضياء الحق يرحمه الله تعالى مدة تسع سنوات تقريبًا..

وقد تتلمذ على يديه خلق كثير درسوا عليه في الجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة وفي غيرها من الجامعات والمعاهد الإسلامية في الهند وباكستان والسعودية من أبناء العالم الإسلامي.

ومن مؤلفاته رحمه الله: انتخاب حديث/ عظمت حديث/ مذكرات دراسة الأسانيد وهي التي درسناها في الجامعة (وكان هذا العلم جديدًا كمادة جامعية)/ الجماعات الإسلامية والسياسة/ المرأة المسلمة في ضوء السنة/ .الغلو فى الدين/ أصول ومبادىء لفهم القرآن الكريم/ تصور العدالة الاجتماعية في الإسلام/ مكانة المرأة في الإسلام وغيرها، كما أن له مقالات منشورة فى عدد من المجلات الإسلامية باللغتين الأردية والعربية!

الشيخ عبد القادر شيبة الحمد

وممن درسونا الشيخ المصري المتسعود – أكثر من السعوديين أنفسهم – عبد القادر شيبة الحمد، الذي ولد في مصر في 1921/2/28 ودرس بالأزهر، والتحق بكلية الشريعة، وأثناء دراسته فيها فتح اختبار الشهادة العالية القديمة، وكانت الشروط متوفرة في الشيخ، فدخل فيها مع ثلاثمائة طالب، لم ينجح منهم إلا ثلاثة كان هو أحدهم، بعد ذلك أخذ الشيخ الشهادة العالية عام(1374هـ/1954 م.)،في نحو الخامسة والثلاثين من عمرن، حصل على العالمية (الدكتوراه) منه عام 1374هـ. ثم جاء للمملكة، ودرَّس في معهد بريدة العلمي ابتداءً من 01/01/ 1376هـ. وأعطي الجنسية السعودية بأمر من الملك فيصل، ولما أصدر جلالته رحمه الله أمرًا بتعيين هيئة للإشراف على المسجد النبوي قبل إنشاء شؤون الحرمين مكونة من 15 عضوًا برئاسة الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله،كان الشيخ له عضوًا فيها.

وقد حرصت إذاعة نداء الإسلام بمكة المكرمة على إذاعة أحاديث للشيخ مدة طويلة، كما شارك في التلفزيون في برنامج مشترك مع الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس

المحكمة الكبرى بالمدينة وإمام المسجد النبوي وخطيبه، والشيخ عبد المجيد حسن مساعد رئيس المحكمة بالمدينة، كما طلب أمير المدينة آنذاك الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز من الشيخ أن يقدم برنامجًا يوميًّا على مائدة الإفطار باسم: من وحي السماء.

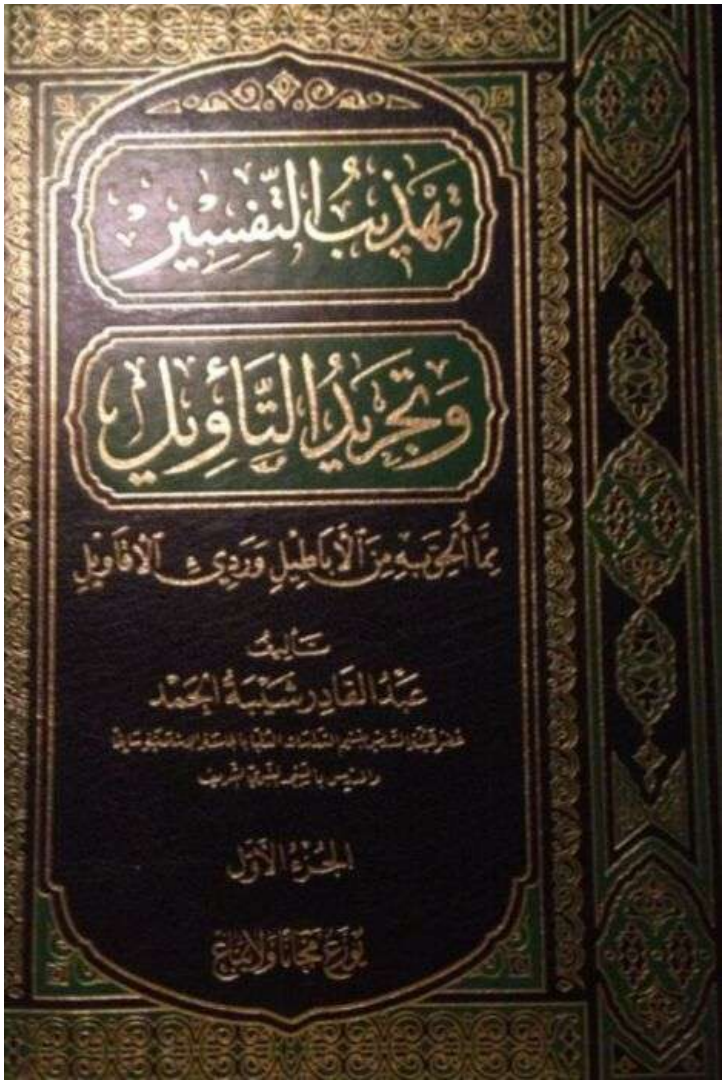

عين مدرسًا بالقسم العالي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في 1381/05/01هـ ودرّس في كليات الشريعة، والدعوة وأصول الدين، والقرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما انتدب للتدريس بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، وعين مدرسًا بكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض مطلع العام الدراسي 1397هـ/ 1977م.

أحيل الشيخ للتقاعد، وظل مدرسًا بالمسجد النبوي بضعًا وأربعين سنة. ومن مؤلفاته المطبوعة – فقه الإسلام/ شرح بلوغ المرام (عشرة مجلدات)/ وإمتاع العقول بروضة الأصول في أصول الفقه/ كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة/ تهذيب التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة التوبة (ستة مجلدات)/ قصص الأنبياء عليهم السلام/ القصص التي في سيرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وغيرها.

الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله

الشيخ المصري المتسعود عطية محمد سالم، الذي اشتهر بعنايته بتراث العلامة الفذ محمد الأمين الشنقيطي، والذي أتم الجزء التاسع من تفسيره..

وقد لقيته في بيته يومًا حين وقع بعض الخلاف بين الطلاب المصريين في الجامعة، فجمعهم، وكلمهم، ونصحهم، وثرّب عليهم، بصوته العالي، ولهجته الخاصة..

وكان أخوه عبد الفتاح زميلًا لي بالجامعة، تقريبًا بنفس المجموعة – طوال الدراسة – وكان هادئًا، سمح النفس، لين الطيبعة، ومات قبل الشيخ عطية فيما سمعت، رحمهما الله، ورحمني ووالدي وأحبتي..

ولد الشيخ عطية بالمهدية/ محافظة لشرقية في مصر سنة 1346هـ/ 1926، وتلقى في كتّابها علومه الأولية، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم ومبادئ العلوم.

وفي عام 1364هـ ارتحل إلى المدينة المنورة، وتلقى العلم في حلقات المسجد النبوي الشريف، فدرس الموطأ ونيل الأوطار وسبل السلام وغيرها من كتب الحديث واللغة والفرائض على يد عدد من الشيوخ والعلماء منهم: عبد الرحمن الأفريقي، وحماد الأنصاري، ومحمد التركي، ومحمد الحركان وغيرهم.

ثم التحق بالمعهد العلمي في الرياض عام 1371هـ/ 1951 حيث أنهى الثانوية ثم التحق بالمعهد العالي بالرياض أيضًا، وحصل على شهادتين في الشريعة واللغة العربية، وكان من أساتذته الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الرزاق حمزة وآخرون.

وكان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي دور بارز في حياته؛ فقد تتلمذ عليه، ولازمه في حلّه وترحاله أكثر من عشرين عامًا، حافلة بالعطاء والعلم والمعرفة وحسن التصرف وآداب الصحبة والسلوك وغيرها.

درَّس الشيخ عطية – حتى وهو على مقاعد الدراسة الجامعية – بالمعهد العلمي بالأحساء، وفي كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض.

وفي عام 1381هـ/ 1961، وحين أُسست الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتقل إليها، وأسندت إليه إدارة التعليم فيها، كما تولى التدريس في بعض كلياتها، وفي قسم الدراسات العليا فيها، ثم في المعهد العالي للدعوة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع المدينة المنورة.

وفي عام 1384هـ، انتقل إلى سلك القضاء بتكليف من سماحة مفتي المملكة، وكان رئيسًا للقضاء والمحاكم، وعُيّن على مرتبة قاضٍ (أ) ثم على مرتبة قاضي تمييز إلى أن أحيل على التقاعد النظامي في 1414/5/1هـ.

وكان للشيخ حلقة في المسجد النبوي الشريف، يدرس فيها فنونًا مختلفة من العلوم الشرعية يجتمع إليه فيها طلبة العلم من شتى بقاع العالم.

وله رحمه الله عدد من المصنفات والمؤلفات والرسائل المطبوعة والمخطوطة في العلم والأدب والتاريخ وغيرها، ومنها: تتمة تفسير أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من سورة الحشر إلى آخر سورة الناس/ تسهيل الوصول إلى علم الأصول بالاشتراك/ الأدب في صدر الإسلام بالاشتراك/ أصل الخطابة وأصولها/ تعريف عام بعموميات الإسلام/ عمل أهل المدينة في موطأ الإمام مالك/ آيات الهداية والاستقامة/

التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي عليه السلام/ ترتيب التمهيد على أبواب الفقه. (12) مجلدًا

وقد تمتع الشيخ بحضور واسع وخاصة في مجال الإعلام ووسائله المختلفة من إذاعة وتلفزيون وصحافة، حيث قدم الكثير من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وأجريت معه المقابلات واللقاءات المختلفة، ونشر العديد من المقالات والرسائل في الصحف والمجلات، كما ألقى الكثير من المحاضرات في الجامعات والأندية والمؤسسات العلمية داخل المملكة وخارجها، وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات الداخلية والخارجية، وظل الشيخ يزاول عمله مدرسًا في المسجد النبوي الشريف حتى توفي رحمة الله عليه في المدينة يوم الاثنين 6 ربيع الثاني 1420هـ ودفن في البقيع

(عن موقع طريق الإسلام، بتصرف كثير)

الشيخ الدكتور محمد أمان بن علي جامي

وممن درسونا: الشيخ المثير للجدل محمد أمان بن علي جامي (1349– 1416) المولود بإقليم هرر الحبشي في قرية (طغا طاب) وقدم للسعودية أول مرة للحج عام 1369 واستقر بها.

لم يلفت الشيخ نظري بكثير علم، أو هدوء حديث، اللهم إلا بعجمته الظاهرة، فكان حاؤه دائمًا هاء جلية، وقافه دائمًا كافًا، وكان يدرسنا كتاب شرح العقيدة الطحاوية، ومع وجود الشنقيطي فقدت الاهتمام به لعجمته!

حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ثم انتسب بكلية الشريعة، وتخرج منها سنة 1380هـ، ثم نال معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب عام 1974م، ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة!

وكان قد درس بالطريقة القديمة التقليدية، فبعدما ختم المصحف شرع في دراسة كتب الفقه الشافعي، ودرس العربية على الشيخ محمد أمين الهرري، ثم لقي الشيخ موسى، ودرس عليه نظم الزبد لابن رسلان، ثم درس متن المنهاج على الشيخ أبادر وتعلم عدة فنون، ثم اشتاق إلى السفر لمكة المكرمة للتعلم وأداء فريضة الحج، فخرج إلى الصومال وركب البحر إلى عدن، ثم إلى الحُدَيدة سيرًا على الأقدام، ثم غادر إلى السعودية وسار على قدميه حتى حصل على إذن الدخول إلى مكة.

بعد أدائه فريضة الحج عام 1369هـ بدأ الطلب بالمسجد الحرام واستفاد من الشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد الحق الهاشمي. وفي مكة تعرَّف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وصَحِبهُ في سفره إلى الرياض لما افتُتح المعهد العلمي أوائل السبعينيات الهجرية. وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العبَّاد، وفضيلة الشيخ علي ابن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية

الجامي، محمد أمان على

تاريخ الميلاد: ١٣٤٩هـ.

جهة العمل: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الوظيفة: أستاذ مشارك بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية.

دولة التخرج: باكستان.

جامعة التخرج: جامعة البنجاب.

سنة التخرج: ١٣٩٢هـ.

مجال الدراسة: علوم انسانية.

التخصص العام: علوم الشريعة.

التخصص الدقيق: جانبى العقيدة.

عنوان الرسالة: الإسلام في افريقيا دفاع عن العقيدة وبيان ما يتعارض معها وتاريخ دخول الإسلام الحبشة.

٢١٥

الكبرى بالمدينة سابقًا، كما لازم حِلَق العلم المنتشرة في الرياض؛ فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلاَّمة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فنهل من علمهِ الجم وخُلُقهِ الكريم، وأخذ العلم بالرياض على فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وفضيلة الشيخ العلاَّمة المحدِّث حماد الأنصاري، وتأثر بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتى في أسلوب تدريسه. وبفضيلة الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حيث كانت بينهما مراسلات، كما تعلم على فضيلة الشيخ العلاَّمة محمد خليل هراس، وكان متأثرًا به أيضًا، كما استفاد من فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي. (عن موقع الشيخ نفسه).

مؤرخ المدينة الدكتور محمد الوكيل رحمه الله تعالى:

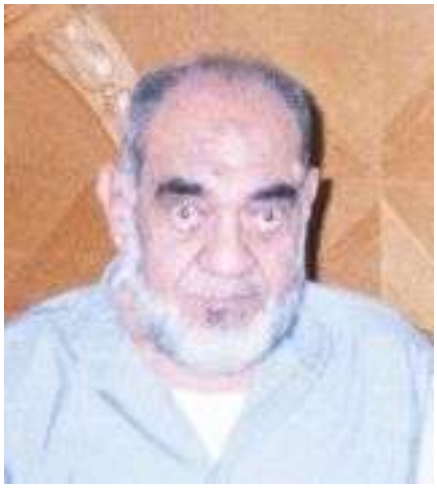

هو بلديي، وبيت عائلته، وبيته الشخصي قريبان من بيتنا، وقابلته غير مرة في طيبة الطيبة هناك، ثم في بلدي زفتى، وحاورته للتلفزيون القطري، وكان يدرس بكلية الدعوة!

كان – قبل أن يتسعْوَد – من سكان شارع فتوح قريبًا من مقام الحصري، ومدرسة قشطي، وبيت الحاج عبد الرحمن بلوزة رحمه الله تعالى، وقد تعرفت عليه في المدينة حين كنت طالبًا بها، وأذكر أنني خططت له عناوين رسالته في الدكتوراه بالمدينة المنورة عام 1977، وزرته في بيته بجوار الإدارة التعليمية على النيل سنة 1990، وكان إذ ذاك مريضًا، وكان بيننا بعض المكاتبات والتواصل أواخر أيامه، وحملني سلامات للشيخين الديب والقرضاوي، صديقيه وقِرنيه.

ورد في موقع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عمن ألّفوا عن طيبة الطيبة على ساكنها الصلاة والسلام، اسم السيد الدكتور محمد الوكيل رحمه الله تعالى، وجاء في التعريف به رحمه الله: هو محمد بن السيد بن أحمد الوكيل، ولد في مدينة زفتى بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية عام 1925م، نشأ وتربى فيها، وتعلم في مدارسها وحفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره تحت إشراف والده.

دخل الأزهر الشريف عام 1937م، والتحق بالمعهد الأحمدي بطنطا، وأكمل فيه دراسته إلى نهاية المرحلة الثانوية، ثم التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة، وتخرج منها عام 1952م، والتحق بعد ذلك بكلية اللغة العربية، وحصل على تخصص التدريس.

تتلمذ خلال مراحل دراسته المختلفة على عدد من العلماء والأساتذة منهم: الشيخ فوزي خشبة، والشيخ البهنساوي، والدكتور محمد عبد الله دراز رحمهم الله.

وعمل بعد تخرجه مدرسًا في مدرسة الصياد ببلدة (ميت غمر)، واستمر فيها حتى عام

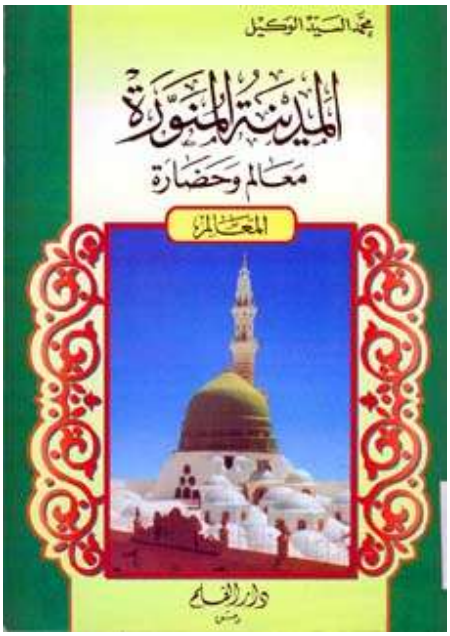

1956م، حيث خرج منها حاجًّا إلى الديار المقدسة. وهناك تعاقد مع وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية للتدريس في الكلية العسكرية بالرياض، ولم يلبث بها قليلًا حتى نقل إلى المدرسة العسكرية بالمدينة المنورة، واستمر فيها حتى عام 1382هـ/ 1962م، حيث تم نقله إلى معهد المعلمين بالمدينة، واستمر فيه لمدة عشر سنوات، ثم عين مديرًا للمدرسة الحديثة بالمدينة، ومنها تم انتدابه ليعمل مدرسًا في الجامعة الإسلامية.

تابع دراساته العليا بعد فترة انقطاع فحصل على الماجستير من كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة من جامعة الأزهر، وحصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها سنة 1399هـ/ 1979م وكان موضوع الرسالة (المدينة المنورة، عاصمة الإسلام ودولته الأولى).

بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، ترقى إلى درجة أستاذ مساعد في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية، ثم قدم بعد أربع سنوات بحثًا بعنوان (جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين) ورقي به إلى درجة أستاذ مشارك. كما حصل على الجنسية السعودية. وفي عام 1404هـ/ 1984م، ترك الجامعة وتفرغ للكتابة والتأليف. شارك خلال مراحل حياته العملية في عدد من اللجان والندوات وحضر عددًا من المؤتمرات والندوات، وله العديد من المؤلفات والبحوث المطبوعة، التي قسمها إلى قسمين:

أ – قسم خاص بالمدينة المنورة وسماها موسوعة المدينة المنورة التاريخية، ومنها: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين/ تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم/ يثرب قبل الإسلام/ المدينة المنورة عاصمة الإسلام ودولته الأولى/ الحركة العلمية في عهد

الرسول والخلفاء الراشدين/ المسجد النبوي عبر التاريخ/ المدينة المنورة: المعالم/ المدينة المنورة: الحضارة.

ب– الكتب العامة، ومنها: هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه/ أسس الدعوة وآداب الدعاة/ كبرى الحركات الإسلامية/ القيادة والجندية في الإسلام/ عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها/ الحج الميسر.

كما قام رحمه الله تعالى بتحقيق عدد من الكتب ومنها: الأوائل لأبي هلال العسكري/ تاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل ولفنسون، وله غير ذلك الكثير من البحوث والمقالات التي نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية وجريدة المدينة.

http://www.ems.org.eg/dranour.htm

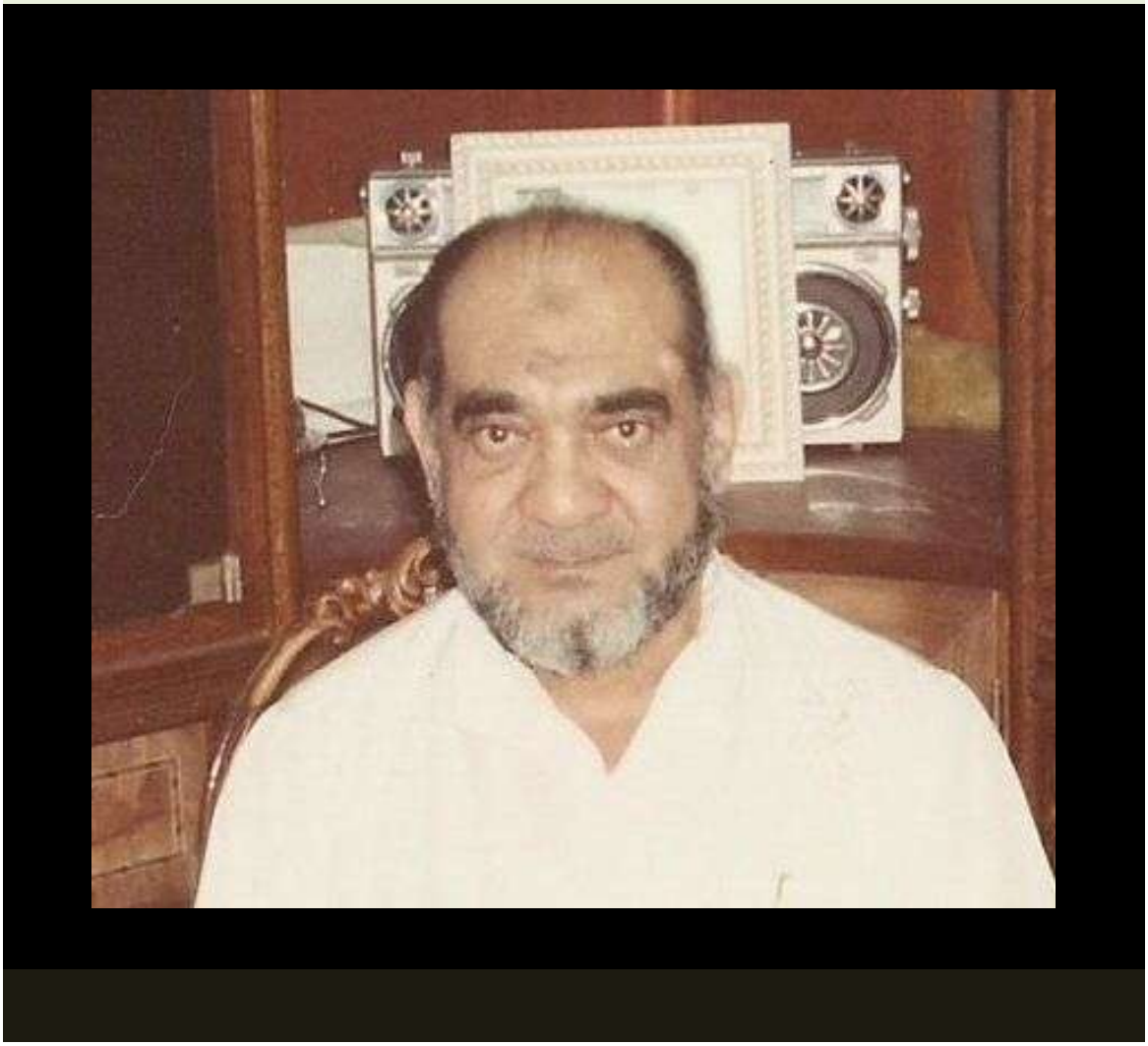

الشيخ الثائر محمود فايد رحمه الله تعالى (1921–1997):

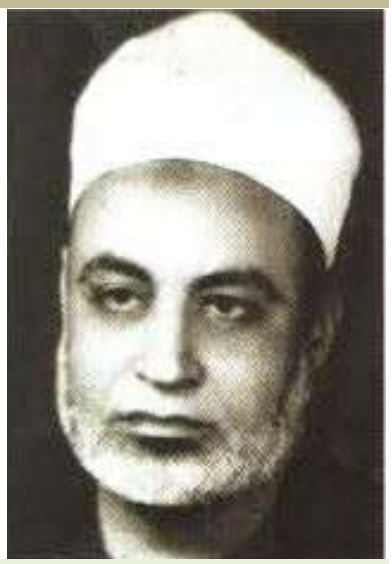

أول من استقبلني بالمدينة على الإطلاق، وكان رحمه الله تعالى أستاذًا في كلية اللغة العربية آنذاك. لا أذكر من أرسلني إليه، وأوصاه بي، وكان معنا زميل في المدينة الجامعية بمدينة نصر، قد أعطاني خطابًا لأبيه (الشيخ شعبان....) المدرس بالمعهد الثانوي الخاص بالجامعة الإسلامية، فذهبت إليه وإلى الشيخ فايد لأتحسس منهما أمور الجامعة، لكن لم يسعدني الله وأخالطه كثيرًا لأفيد منه وهو العالم الأزهري، الحر، الثائر، الرافض للظلم، الحرب على الظالمين الطغاة البغاة!

شخصية الشيخ رحمه الله تعالى:

تميز الشيخ محمود فايد باطلاعه الواسع على أحداث بلاده في زمانه، وفقهه واقعَ قومه، وقد جعله هذا يسارع إلى الرد على المخالفين والمفسدين، والضالين، من خلال مجلة الاعتصام بشكل خاص.

ولم يستثن الشيخ في رده أحدًا؛ فقد رد على عبد الناصر في أوج طغيانه، وعلى السادات، وعلى حسني مبارك، ورد على بعض الوزراء والكبراء، وعلى بعض المشايخ الضعاف، وعلى أصحاب المواقف المنحرفة أو المتخاذلة.

ولقد جُمعت هذه الردود والمناقشات في كتاب ضخم اسمه صيحة الحق، وبعض هذه الردود والمناقشات آتت أكلها وثمارها فحصل بها تغيير ولله الحمد، ومنها ردوده على الرئيس المصري أنور السادات في عدة مقالات، خصوصًا دعواه الشهيرة: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ومقال يدعو فيه لعدم ترخيص الحزب الشيوعي، وثالث فَنّد فيه معاهدة الصلح بين مصر ودولة الصهاينة، ورد على العلماء الذين أيدوها، وعدة

مقالات طالب فيها رؤساء مصر بتطبيق الشريعة الإسلامية، وعدم التلكؤ في هذا الأمر العظيم، ورد على بعض أعمالهم المنافية للإسلام، وكان يسمي ثورة يوليو بالثورة المشؤومة، وقد شن حملة هائلة على عبد الناصر، ووصف مخازيه وسيئاته على وجه مفصل، ورد على العلمانيين الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة، ومنهم أمينة السعيد ومحمد أحمد خلف الله وأمثالهما، كما ناقش بعض كبار العلماء فيما رأى أنهم قد أخطؤوا فيه، ومنهم المفتي محمد سيد طنطاوي فيما ذهب إليه من تحليل أنواع من الربا. ورد على د.محمد البهي الذي كان وزيرًا للأزهر، ولم يمنعه ذلك الرد القوي من الثناء عليه، وبيان محاسنه، وهذا من إنصافه، رحمه الله تعالى!

وقد عين الشيخ رحمه الله الرحيم وكيلًا عامًا للجمعية الشرعية، ثم رئيسًا لها بعد وفاة الشيخ عبد اللطيف المشتهري، وظل في رئاستها حتى مات عام **1997**. وكان كل من يلي رئاسة الجمعية يلقب بإمام أهل السنة، ولعل ذلك الوصف كان منطبقًا على الشيخ محمود فايد بدرجة كبيرة، فإن من أعظم خصائص أئمة السنة في كل زمان ومكان هو قول الحق وعدم خشية أحد فيه، وقد كان من أولئكم، أحسبه والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

وكان رائدًا دينيًا لمدينة البعوث في الأزهر، وكان مؤثرًا على الطلبة الوافدين إلى الأزهر لكن عُزل عنها، إذ لم يحتمل الطغاة له ذلك.

عين أستاذًا في التفسير في كلية الدعوة وأصول الدين، وكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة النبوية، وكان عضو لجنة السنة بمجمع البحوث!

وللشيخ رحمه الله العديد من المصنفات منها: كتاب المنطق الواضح في علم المنطق، والتربية في كتاب الله تعالى، والإسلام والصحة، والإسلام وأثره في نهضة الشعوب، والرسالة المحمدية وشواهدها، وصيحة الحق، كما حقق مجموعة من كتب التراث، وله أشعار مبثوثة في بعض الكتب والمقالات، عليه رحمات الله ورضوانه.

الطالب الثائر:

كان الشيخ محمود شابًّا شامخًّا، ذا شخصية تغييرية إصلاحية من بداياته، ومن مواقفه ما حدث له أثناء الدراسة في معهد طنطا الثانوي، فقد اعترض الطلاب على كتاب يدرس في كلية الآداب، فيه مساس برسول الله صلى الله عليه وسلم، فثاروا، وأضربوا عن الحضور إلى المعهد، فبادر شيخ المعهد بفصل نفر منهم، فألقى الطالب محمود فايد قصيدة يعترض فيها على فصلهم، فعوقب بالفصل والسجن!

ولما تخرج في كلية أصول الدين في الأزهر سنة 1946، وكان الأول على زملائه، دعي على رأس الأوائل إلى حفلة يحضرها الملك فاروق، ويصافح فيها الخريجين، وأُمر الجميع بالانحناء عند المصافحة، لكنه أبى، وصافح الملك وهو منتصب القامة مرفوع الرأس، فكان أن صدر الأمر بتعيينه في سوهاج بالصعيد؛ خلاف ما جرى عليه العرف من تعيين الأوائل في القاهرة.

العالم الحر:

كان الشيخ محمود فايد من العلماء القلائل الذين استطاعوا الوقوف أمام الطغيان وقول كلمة الحق، في زمن الطغيان الناصري، والاستكبار العاتي، والجبروت الشديد.

فعقب الهزيمة المذلة سنة 1967 طالب بمحاكمة عبد الناصر، فعزله من مناصبه بقرار جمهوري، وحاول بعض العلماء التدخل لدى الرئيس، فأجابهم بشرط أن يكتب التماسًا بذلك، فذهب إليه الشيخ عبد الحليم محمود ليعرض عليه هذا الأمر، فرفض بإباء، وقال: طالبت بمحاكمته، ولم أطالب بإدانته، وفي المحكمة تنكشف الحقائق!

ثم قال: عندما أُخبرت بقرار الفصل بالهاتف صليت ركعتين لله، ثم قلت: اللهم فارزقني، وأنا من اليوم عبد خالص لك! وقد استجاب الله لي وأراحني من الذهاب والإياب، وأنا لدي مكتبة عامرة بالكتب ورثتها عن آبائي وأجدادي، واشتريت

المزيد، فأنا أعكف على المطالعة والتأليف، ويأتيني من الرزق أضعاف ما كنت أتقاضاه من الوظيفة، وأحمد الله على نعمه..

إنني أقول وقد وسّع الله علي، يا الله: لقد أرادوا أن يذلوني فأعززتني، لا أذل وأنا عبدك؛ عبد العزيز، وأرادوا أن يضعفوني فقويتني، لا أضعف وأنا عبدك؛ عبد القوي، وأرادوا أن يفقروني فأغنيتني، لا أفتقر وأنا عبدك؛ عبد الغني!

ومن المواقف المضيئة ما حدث حين أساء شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج إلى منصبه وإلى الأزهر؛ بممالأته للناصريين، وتقصيره في شأن الأزهر والأزهريين، فهاجمه سكوته، وكتب مقالًا شهيرًا عنونه بـ: بسم الله والله أكبر، فليستقل شيخ الأزهر!

ووجد المقال قبولًا كبيرًا ورضًا لدى جمهرة الأزهريين، فنقل الشيخ محمود نقلًا تأديبيًّا من معهد منوف إلى معهد قنا، ثم أوقف راتبه، وأحيل إلى مجلس تأديبي.

وقد شجعه والده في ذلك الموقف بقوله له لما استشاره: أنا لا يعنيني أن تُنقل إلى قنا أو تبقى هنا، إنما يعنيني فقط أن تلزم جانب الحق في كل ما تقول!

ومن مواقفه العظيمة أن عبد الناصر استهزأ مرة بالعلماء، وهون من شأنهم، واتهمهم ببيع الفتاوى بالفراخ، وأعلن ذلك في إحدى الخطب! فكتب الشيخ محمود فايد مقالًا في مجلة الاعتصام – عدد ربيع الأول سنة 1961 – في أوج الطغيان والخوف، قال فيه – بعد كلام غمز فيه من جانب الجيش، واتهمه بموالاة الملك السابق يوم كان الشيخ يحارب الفساد –: هل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم، وبجميع اللغات، ومن رئيس الجمهورية العربية نفسه مثل هذا الكلام ؟!

لقد فاتك أن تعقب بأن كثيرًا من ذوي العمائم كان لهم مواقف كريمة، وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف، وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل، ومن فضل الله أن شعبنا فاضل واع ذكي أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

وختامًا: يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم، ورفع قدرهم، وخلد ذكرهم فقال سبحانه: (يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات) ويكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر: (العلماء ورثة الأنبياء)!

ومن مواقفه المشرفة مقالان نشر أحدهما أيام فاروق، والآخر أيام عبد الناصر، قال في الأول يصف حال المسلمين:

ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم، همهم أن تَسْلم لهم: يسالمون عِداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين، وعرق الكادحين؛ لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم، طورًا ينثرونه على موائد القمار، ودور اللهو، وكؤوس الشراب، وحينًا يبذلونه في مخاصرة النساء، وسماع الغناء، وما تتطلبه الليالي الحمراء، والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم، أو يزجي النصح لهم؛ فجزاؤه السجن، وإن شئت فقل الإعدام!

وفي النص الآخر أيام عبد الناصر قال مخاطبًا له:

يا سيادة الرئيس: هذه الأموال الباهظة التي تنفق في غير موضعها، هذه المكافآت السخية التي تصرف من مال الدولة على الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، والمغنين والمغنيات: قلت يا سيادة الرئيس إنك تريد أن تطهر المجتمع من عوامل الحقد والأنانية والفساد والبغضاء، ومقتضى هذا المنطق أن تُقلم أظافر أولئك المترفين!

ومن مواقفه القوية أن فرقة راقصة من بلد شيوعي أرادت أن تقيم حفلًا في ميدان الحسين! في رمضان سنة 1387/ 1967، فانتهز الشيخ محمود فرصة إقامة الجمعية حفلًا في ذكرى غزوة بدر، فتكلم قائلا:

أخزى الله هؤلاء السفهاء، لقد بلغ بهم السخف أن يحيوا رمضان بالمنكرات، وفي أي مكان؟ في ميدان الحسين، بين مسجده، وبين إدارة الأزهر، ومشيخة الطرق الصوفية!

يا لها من إهانة متعمدة توجه لعمّار هذه المؤسسات الإسلامية!

يا لها من إهانة توجه إلى شهر القرآن!

وكان أحد المسؤولين حاضرًا، فأبلغ الخبر إلى حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية، فأصدر أمره بالغاء الحفل!

ومن مواقفه المشرفة رده على أحمد حسن الزيات عندما كتب مقالًا افتتاحيًا في مجلة الأزهر الذي كان يرأس تحريرها، فضل فيه الوحدة الناصرية على الوحدة المحمدية!

وثار الصالحون في العالم الإسلامي، ومنهم الأستاذ أبو الحسن الندوي، وثار الشيخ محمود فايد، وكتب مقالًا شديدًا رد فيه على الزيات!

رحمه الله تعالى وقبله عنده في المرضيين. (ويكيبيديا/ الاعتصام/ موقع التاريخ)

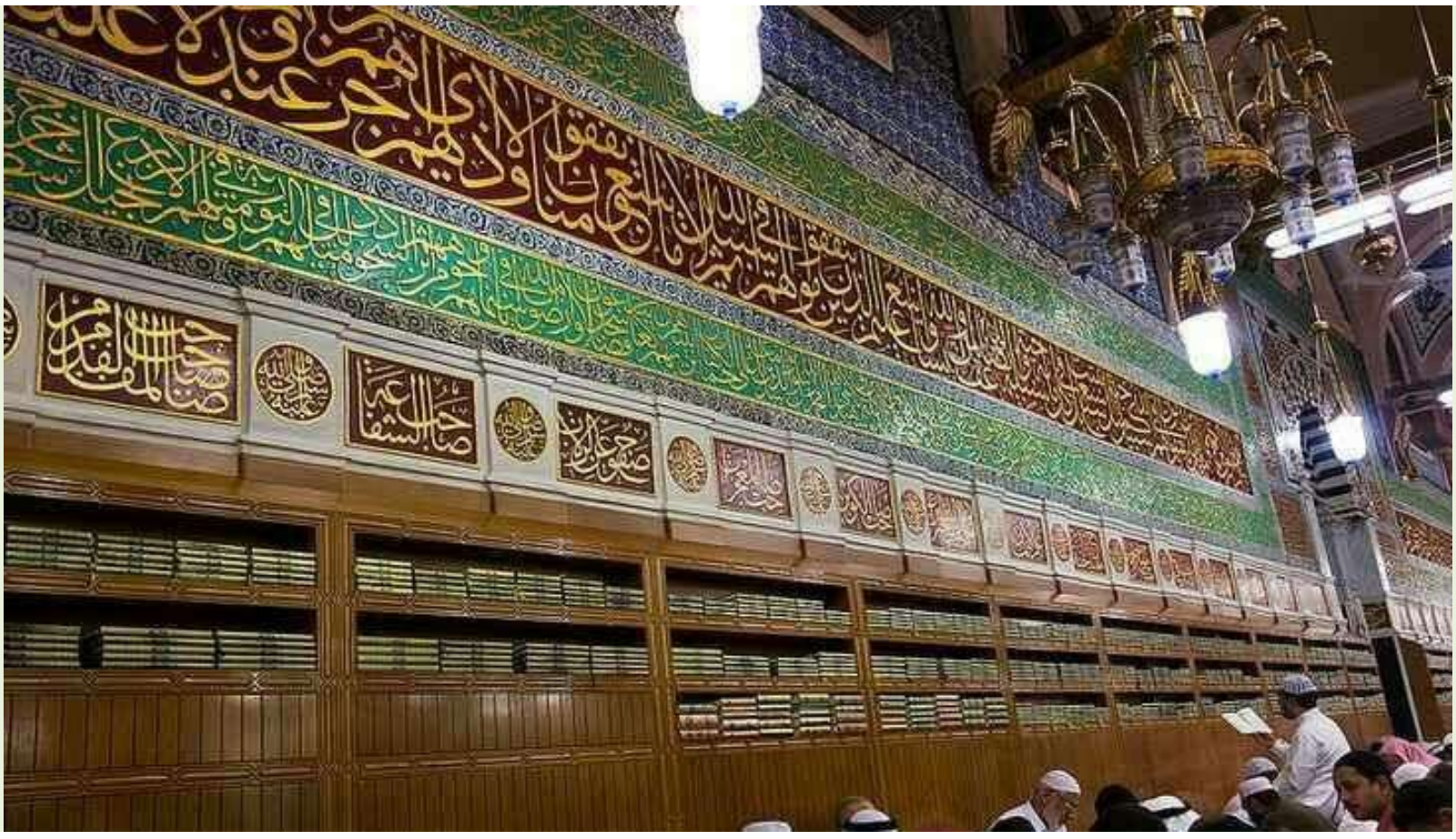

الشيخ علي مشرف:

من الشيوخ اللطفاء، والدعاة حسني التأتي الذين لقيتهم بالجامعة: الشيخ علي مشرف مدير إدارة الإشراف الاجتماعي بالجامعة، وكان رجلًا بسامًا ذكيًّا، يحسن كيف يتعامل مع الشباب.

كنت آنذاك عنيدًا يابس الرأس كما يقولون، وكان لنا زميل سعودي يسبقنا بعامين، ضئيل الحجم، تخرج وعمل بالجامعة في إدارة الإشراف، فكان يمر بنا، وينظر إلينا من أعلى لأسفل بكثير من التعالي، ويصدر أوامره بأصبعه، وكنا نندهش: أليس هذا فلانًا (اللي كان معنا أمس)؟ ماذا جرى له؟

وكنت أكره الكبر والإساءة، وكان هو إذا رآني غضب من شعري الطويل، وبنطلوني، ويأمرني: رح احلق شعرك.. رح.. فأقول: مش هاروح!

ويبدو أنه رفع أمري للشيخ علي – جزاه الله كل الخير – فاستدعاني، فذهبت لا أدري لم استدعاني، فجلست، ورحّب بي وأهّل وسهل، وسقاني الشاي، وأكرمني، ثم قال: شكرًا، تفضل، فخرجت متعجبًا: أطلبني ليدردش معي ويسقيني الشاي؟ بس!؟

وعلى الباب ناداني ثانية، وقال بابتسامة ذكية: يا شيخ عبد السلام.. شعرك يعني....

ضحكت، وقلت له، شكرًا على لطفك يا شيخي، و(على راسي) سأحلقه بأمرك، أما لأمر الآخر فلا.. وانصرفت، وحلقت (عالزيرو)!

الشيخ الظريف الدكتور عبد الله القادري:

وعلى ذكر الإشراف الاجتماعي، فإن إدارة الإشراف الاجتماعي نيطت بعد المصري أ.محمود صبري بالشيخ عبد الله القادري، وهو أستاذ نحيل، يمني اللهجة والسحنة، اكتشفت بعد تركي الجامعة، أن كان مميزًا، وأن فيه خصائص إيجابية لم ألحظها آنذاك؛ فلم أكن أتعامل معه بتوسع، وقد كان ممن تكلموا في الدعوة بشكل متوازن، مغاير نسبيًّا لطرح المشايخ آنذاك، وكانت جديته الظاهرة تخفي لينًا في الطبيعة..

وكنت دخلت عليه ذات مرة – بسبب تقصير في شيء ما – فكلمني بلطف، وقال: يا شيخ (هكذا) انطباعنا عنك جيد، ونعرف أنك مميز، فانتبه لنفسك..و.... وخرجت من بين يديه غير مصدق!

والشيخ الدكتور عبد الله أحمد قادري الأهدل من مواليد اليمن، سنة 1356هـ/ 1936م. تقريبًا. سافر إلى (سامطة) بالسعودية، ودرس في المدرسة السلفية، ثم في المعهد العلمي إلى أن تخرج من المرحلة الثانوية، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1962/ 1382هـ وتخرج في كلية الشريعة – وكان من طلاب الدفعة الثانية في الجامعة – سنة 1385هـ. وعين مدرسًا في المعهدين المتوسط (الإعدادي) والثانوي التابعين للجامعة. كلفه سماحة شيخه (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) القيام بأعمال الإشراف الاجتماعي في الجامعة، إضافة إلى قيامه بالتدريس، واستمر في هذا

العمل نحو عشر سنوات، وهو الذي أنشأ إدارة الإشراف (نواة عمادة شؤون الطلاب في الجامعة فيما بعد). وأثناء ذلك نال الماجستير من كلية الشريعة والقانون ثم الدكتوراه من كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

درَّس العقيدة في كلية القرآن الكريم عندما أنشئت، ثم كلف بعمادة كلية اللغة العربية (وكانت تسمى كلية اللغة العربية والآداب)، ثم عين عميدًا لها سبع سنوات، وكلف رئاسة شعبة الفقه في الدراسات العليا ما يقارب ست سنوات، ورئاسة شعبة الدعوة لمدة سنتين، ثم طلب إعفاءه من ذلك ليتفرغ للتدريس.

درّس في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وأشرف على عديد من رسائل دكتوراه.

تتلمذ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في المسجد النبوي، والشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي، صاحب أضواء البيان، والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

وهو شاعر باحث، له مؤلفات عدة جلها في الدعوة والتربية. ومنها: الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته (رسالة دكتوراه)/ الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية/ الشورى/ دور المسجد في التربية/ أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي/ الحدود والسلطان/ طل الربوة/ الدعوة إلى الإسلام في أوربا/ حوارات مع مسلمين أوربيين/ حوارات مع أوربيين غير مسلمين/ جوهرة الإسلام (في التربية، نظم 1300 أكثر من بيت)/ المسؤولية في الإسلام/ الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي/ الإسلام وضرورات الحياة/ حكم زواج المسلم بالكتابية/ هتاف العزة والجهاد (شعر)/ وقاية المجتمع من تعاطي المسكرات والمخدرات/ معارج الصعود إلى تفسير سورة هود/ تفسير سورة النور (والكتابان الأخيران عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى)!

وعلى غير ما يتوقع في الوهلة الأولى، فإن في الشيخ القادري دعابة وظرفًا، وهو كما يقول الخليجيون (راعي مقالب) منذ صغره، و(المقالب) والظرف دالةُ ذكاءٍ وثقة بالنفس ولا شك. قرأت لأحد محبيه جملة من مقالبه (اقترفها) الشيخ، منها:

يخرب بيتك!

اقترف الدكتور عبد الله قادري عددًا من مقالب (المزح الثقيل) مع الشيخ محمد المجذوب رحمه الله تعالى في رحلة دعوية طويلة شملت عددًا من البلاد، بتكليف من الجامعة الإسلامية، فلما أقلعت بهم الطائرة من (بومبي) متجهة نحو جدة تحدى الشيخ المجذوب الدكتور عبد الله، وقال له: لن تستطيع بعد الآن أن تعمل لي أي مقلب!

فقبل الدكتور عبد الله التحدي، ثم اتصل بعد وصوله من السفر بأهل الشيخ المجذوب وقال لها: عندنا هندية، لعل الشيخ يريدها خادمة!

فصاحت الزوجة: أو قد فعلها؟ إذ ظنت أنه تزوج بامرأة أخرى، دون علمها؛ لا سيما أن الشيخ فعلها من قبل، ووضعها عند أهل الدكتور عبد الله حتى استأجر لها سكنًا!

اتصلت زوجة الشيخ المجذوب بأبنائها وبناتها وأحفادها وحفيداتها، وحين رجع الشيخ المجذوب إلى منزله فوجئ أن باب المنزل مكتظ بالأحذية فتوجس خيفة، وظن أنه قد حدث مكروه؛ لأن أولاده وبناته وأولادهم قد حضروا جميعًا إلى المنزل، وبمجرد أن فتح الباب ودخل إذا بالجميع ينظرون إليه بغضب، وصبت المرأة عليه جام غضبها على فعلته التي فعلها، وكيف يقدم على الزواج، ولم يتعظ بما حصل له من قبل، وكان بناته وأولاده وأولادهم في صفها!

فما زاد الشيخ على إنكاره المؤكد، وحلف لهم فلم يصدقوه!

ثم تذكر الشيخ التحدي الذي وقع بينه وبين الدكتور عبد الله في الطائرة! وأدرك أن هذا مقلب من مقالب القادري!

فلما ذهب إلى عمله في اليوم التالي في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية – وكان الدكتور عبد الله عميدها – فتح الباب، وبدلا من أن يسلم وقف وقفة المغضب، ولم ينبس ببنت شفة!

ما لك يا شيخ؟ ألا تسلم؟

ألقى عليه نظرة المغضب، ثم قال بغضب: يخرب بيتك! ومضى.

أبوك وأبو (أبوك، وأبو أبو أبوك، وجدك، وجد جدك)!

ومن مقالبه وهو صغير يطلب العلم أنه أغرى صغيرًا في السابعة من عمره أن يتقدم لمدير المعهد، ويطلب منه أن يلتحق بالمعهد؛ مع أنه دون السن بكثير:

- **لماذا لا تدخل المعهد؟**
- **لن يقبلوني، ما أزال صغيرًا.**
- **اذهب إلى المدير وقل له ذلك! فإذا قال لي ما الذي عندك من مؤهلات الدخول؟ فقل له أنا أعرف النحو.**
- **فإذا قال لي وما ذا تعرف من النحو ما ذا أقول له؟**
- **قل له أنا أعرف الأسماء الخمسة!**
- **فإذا قال لي ما هي الأسماء الخمسة، ما ذا أقول له؟**
- **قل له: أبوك، وأبو أبوك، وأبو أبو أبوك.**

ذهب الطفل إلى الشيخ المدير، وفعل ما لُقن، فقال له الشيخ من علمك هذا؟ قال: القادري! ورفع المدير عصاه ليهوي بها عليه، فهرب!

فوق رأسك شعر!

وطالما داعب الدكتور عبد الله الأطفال، ومما سمعته وهو يداعبهم به قوله للطفل (والكلام لتلميذ الشيخ): إن على رأسك شعرًا! فيرفع بعضهم يده يتحسس رأسه، فلا يجد شيئا غريبًا على رأسه، وإنما هو شعر رأسه الأصلي! جزاهم الله خيرًا أجمعين!

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله

الشيخ الغنيمان

الدكتور محمود الطحان

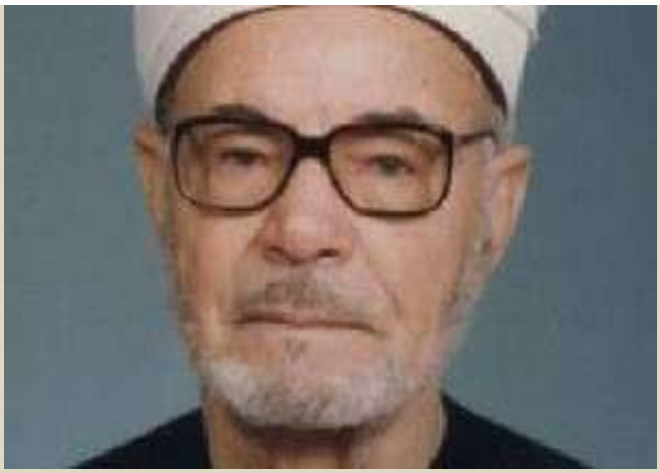

الدكتور محمد نايل

فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي

الشيخ الدكتور محمد سالم محيسن

د. علي جريشة رحمه الله

الشيخ الدكتور أكرم ضياء العمري

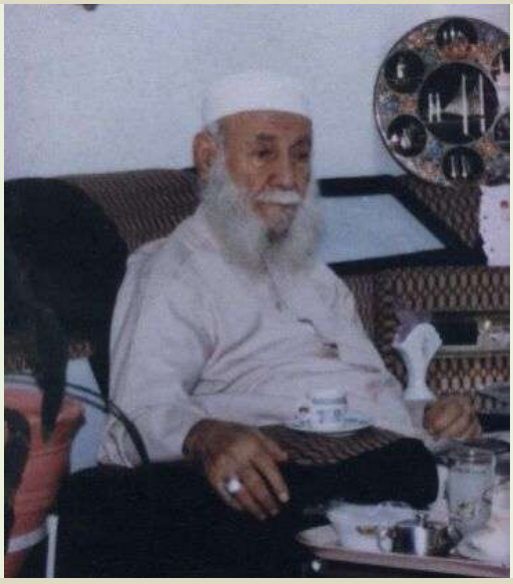

الشيخ محمد المجذوب

الشيخ عمر فلاتة

الدكتور محمود شيخون

الدكتور محمود العكازي

زملاء لم أعرف منهم غير عبد الفتاح عمار وزهير وعبد الهادي الخطيب

الزملاء

عالمية الجامعة:

أمر لا أشك فيه لحظة، هي أن الجامعة في هذه الحقبة، كانت عالمية بامتياز، إسلامية بامتياز، محافظة بامتياز، مباركة بامتياز، فقد تركتها وبها طلاب من مائة جنسية لا تتجاوز نسبة السعوديين منهم الخمس (20%) بحسب قرار إنشائها الذي أصدره الملك فيصل رحمه الله عام 1371هـ الموافق لعام 1961 م لتوفير التعليم الإسلامي الصحيح لأبناء المسلمين من كل بقاع العالم، والرجوع إلى مصادر الإسلام الأولى، إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما خلفه علماء الأمة من التراث الإسلامي الصالح، والدعوة إلى الله تعالى بعد التشبع من ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة..

وقد كنا في اليوم الواحد نتعامل مع أناس من القارات كلها، من جزائر فيجي في أقصي الشرق، إلى بيونس آيرس أقصى الغرب، ومن شمالي أوربا إلى كيب تاون جنوبي العالم: نؤاكلهم، ونشاركهم، ونعاملهم، ونصادقهم؛ لنعيش حياة عالمية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى!

ولم تكن أعمار طلاب الجامعة طبيعية، بسبب وفود طلاب غير عرب ليتعلموا الإسلام، وربما كان أحدهم يحمل الماجستير أو الدكتوراه من بلاده، فعاد طالبًا يتلقى العلم من مصادره هنا، لذا فقد كان في هؤلاء الطلاب خصيصة غريبة، لا تتوفر في الجامعات العادية، إذ كانوا حريصين جدًّا على المذاكرة، وحضور دروس المشايخ، والاستفادة قدر الإمكان، ولذا حصل ثلث زملائي في الدفعة على تقدير الامتياز، بسبب التنافس الكبير، بجانب أسباب أخرى، منها:

غياب الملهيات في المدينة آنذاك، فلا سينما ولا تلفزيون ولا كرة قدم، كما أن مبني الجامعة كان خارج المدينة نفسها على حدود الحرم، وبعضهم أتى من بلاد يقل فيها المسلمون، أو يواجهون فيها تحديات صعبة، وبعضهم كان يريد أن يطفو على السطح في مجتمعه إذا هو عاد؛ فلم يكن ثم بديل عن المذاكرة، وإثبات الذات..

كان طلاب الجامعة يعيشون (شللًا) بحسب الجنسية غالبًا، فترى المصريين معًا، أو الفلسطينين، أو اللبنانيين، أو المغاربة، أو الأوغنديين، أو الغانيين، وهكذا، وربما صادق بعضُنا من يشاكلونه في هواية، أو خلق.

وكانت صحبتي آنذاك مع الزميلين الصديقين: خير عبد الراضي – من صعيد مصر – و فؤاد السايس، من كفر الشيخ في مصر، وكانت له دالة قرابة بالشيخ الذهبي، رحمهما الله تعالى! عشنا السنين الأربع يومًا بيوم معًا، حلوها ومرها، وحرها وقرها، ويسرها وعسرها، بجانب مجموعة من الأصدقاء – غير المصريين – الذي أحببتهم لأسباب شتى: اللبناني زهير كبي (الشيخ زهير كبي مدير صندوق الزكاة في لبنان) والآخرين: عبد الفتاح عمار، وغسان بارودي، والفلسطينيين الكريمين قاسم عبد الحليم رحمه الله، وناصف ناصر، والأردنيين وليد مساعدة (الدكتور وليد مساعدة الأستاذ بجامعة اليرموك) ومحمد الصبح الله يرحمه، وآخرين يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى!

وقد خرَّجت الجامعة قليلًا من المتزمتين ضيقي الأفق، الذي أضروا، وأثاروا طوامّ، كما خرجت كمًّا كبيرًا من المتميزين المتألقين، الذين نفع الله بهم دينهم، وأممهم، أزعم أن ذلك ببركة المكان، وصدق اللهجة عند المشايخ، والعكوف على الطلب، وطبيعة الزمان والحال!

تخرج فيها مقبل الوادعي، وربيع بن هادي، ومشايخ أثاروا جدلًا بشكل ما!

كما تخرج فيها من تُلقوا بالقبول، وطيب الله ذكرهم؛ فلقد انتهى منها قبلنا بعامين إمامان من أئمة الحرم النبوي الشريف: الشيخ الدكتور علي باجابر، والشيخ الدكتور محمد أيوب الذي كان عادة ما يؤمنا في مسجد الجامعة أثناء دراستنا الجامعية، إلا في صلاة الظهر حين كان يؤمنا غالبًا الشيخ أبو بكر الجزائري، أو ضيف كبير يزور الجامعة كالشيخ ابن باز رحمه الله تعالى. كما تخرج قبلنا بعام العالم المبارك د. سفر الحوالي شفاه الله وعافاه والدكتور علي عثمان التوم. وتخرج منها بعدنا الشيخان الليبيان علي الصلابي، والوزيرسالم الشيخي، والأردني الدكتور عمر شاهين، وغيرهم!

الشيخ الدكتور محمد أيوب

الشيخ الدكتور علي باجابر

وتخرج فيها شخصيات سياسية عليا، مثل الشيخ عبد الغني حسن كاسوبا الذي فاز بحكم جزر الملوك الإندونيسية، الذي قال للسفير السعودي الذي حضر تنصيبه: إنه لشرف وفخر لي أن أقدم لسعادتكم الدعوة لحضور تنصيبي لأنك سفير بلاد الحرمين الشريفين التي فيها درست، وتعلمت، ومن جامعتها الإسلامية بالمدينة المنورة تخرجت!

وفيها تخرج السفير الإندونيسي بالقاهرة مزمل البسيوني (!) والسفير د. محمد شهيم علي سعيد، وزير الشؤون الإسلامية في المالديف، وزميلي الدكتور محمد أحمد كيسولي السفير فوق العادة المفوض لدولة أوغندا، والوزير ورئيس حزب العدالة عمران عبد الله، ووزير للشؤون الإسلامية في موريتانيا..

وتخرج فيها أناس ذوو مناصب دينية كبيرة في بلادهم مثل الدكتور عبد اللطيف دريان مفتي لبنان، والشيخ زهير شفيق الكبي مدير صندوق الزكاة بها، وصادق محمد عثمان الرئيس التنفيذي لجمعية

الوقف الإسلامي بالفلبين ومشرف الدعاة بمدينة مراوي ولاناوي الجنوبية والشمالية. ود. عبد الله حاج علي منيب رئيس المجلس التعليمي ومدير الندوات والدورات لجمعية الوقف الإسلامي بالفلبين، ود. إبراهيم عبد الكريم عبد الله رئيس المجلس الدعوي لجمعية الوقف الإسلامي بالفلبين، وجمال الدين شريف مرحوم، مدير معهد الوقف الإسلامي بالفلبين، والشيخ محمد أبو بكر صديق المدني، رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية بسريلانكا، ومدير معهد دار التوحيد السلفية بسريلانكا، والمشرف العام على المعاهد التابعة للجمعية. والدكتور محمد أمجد رازق بن محمد رازق السلفي المدني، عضو مجلس الشورى بجمعية أنصار السنة المحمدية بسريلانكا، ورئيس جمعية مسلمي مالاوي، الشيخ إدريس محمد، وأمينها العام للجمعية الدكتور سالمين عمر، والشيخ عبد الحميد ابن عبد الجبار الرحماني، رئيس مركز أبي الكلام آزاد للتوعية الإسلامية بدلهي.

وخرج منها – غير الدكاترة السعوديين – مئات الأساتذة الأكاديميين الحاصلين على الدكتوراه في مختلف علوم الشريعة، مثل عبد المنان بينيتو أميرول نائب الرئيس التنفيذي وعميد كلية الدعوة والدراسات الإسلامية لجمعية الوقف الإسلامي بالفلبين، وسلام الدين سراج فساندالان كلية الدعوة والدراسات الإسلامية لجمعية الوقف الإسلامي، والداعية الشهير الدكتور بلال فيليبس، والدكتور عبد الحكيم كويك، وعدد كبير ممن تخرجوا معي في دفعتي، سيأتي خبرهم في أثناء حديثي.

خريجو عام 1978

نجح من زملائي في هذه الدفعة مائة وعشرون دارسًا من أكثر من بضع وعشرين بلدًا، من أفريقيا وآسيا، كما سترى في الوثيقة المرافقة، وتخرج منهم عدد من المميزين، وكان أول الدفعة عند التخرج السعودي حمد بن حمدي الصاعدي، الأستاذ المشارك بقسم الفقه والأصول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حاليًّا، ثم الهندي محمد مفضل مصلح الدين، ثم السعودي أحمد عبد الله يحيى الزهراني، فالفلسطيني أحمد يوسف أبو حلبية (الأول تراكميًّا) فالفلسطيني موسى إسماعيل البسيط، وتمضي القائمة، بلا محاباة، ولا مجاملة، ولا امتحانات مسربة، ولا شراء أسئلة، ولا أساتذة بذمة (أستك) كما يقال!

وإنك لتجد من الحاصلين على تقدير الامتياز سعوديين وفلسطينيين وأردنيين ومصريين وهنودًا وباكستانيين وتايلانديين ويمنيين وإثيوبيين وعراقيين وموريتانيين ونيباليين!

كما تجد في آخر القائمة أبناء مشايخ مشهورين داخل الجامعة وفي المملكة كلها، كما ترى في القائمة أدناه!

كان معنا – دون ترتيب في الإيراد – الباحث الهندي الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، وقد زارني مرتين في عملي بالدوحة، وهو جلد في بحوثه في السنة المشرفة..

وكان معنا اللبناني نهاد عبد الحليم عبيد الذي عمل زمنًا أستاذًا في جامعة الكويت، مهتمًّا ومتخصصًا بالسنة وعلومها..

وكذا السعودي صالح عياد عائد الغامدي، ولقيته أثناء امتحانات الماجستير في جامعة الأزهر، ثم انقطعت عني أخباره..

وكذا النيبالي كثير الابتسام دافئ المشاعر، الدكتور الداعية عبد الله جولم بتشا، وقد تسقطت بعض أخباره من بعض الدعاة النيباليين معي في العمل، نفع الله به..

واللبناني الظريف الشيخ عبد الهادي واصف الخطيب، الذي طالما أسعدنا بلطفه..

والتنزاني الدكتور جمعة مقداد عمر، أستاذ الاستشراق، الذي ثار ثورة مضحكة ذات مرة على الشيخ العلامة الشنقيطي، لتواضعه، حين قال ذات محاضرة: (صرنا علماء لما مات العلماء) فانفعل، وقال له بلكنة أفريقية ثائرة هي أقرب للهجوم، جعلتني أستلقي ضحكًا: إيش تقول يا شيخ؟ أنت لست عالمًا؟ والعلماء، والدكاترة يأتون إليك ليسألوك في كل شيء؟ إيش تقول يا شيخ، اللاااهو يهديكا بس!؟

وكان معنا أيضًا المصري الوديع الهادئ طيب القلب عبد الفتاح محمد سالم شقيق الشيخ عطية سالم رحمهما الله، وكان أسنّ منا كثيرًا، ربما بعشرين سنة!

وكذا السعودي سعود بن صالح العطيشان أستاذ الفقه والثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود.

والسعودي عبد الله بن محمد المختار الشنقيطي، ابن أستاذي وصاحب الفضل علي بعد الله تعالى، وكان الشيخ عبد الله هذا شديد الهدوء، لا تحس به في القاعة مطلقًا، وحضوره كان حسب دوام أبيه، يأتي به، ويحضر محاضرتيه، ثم يحمله عائدًا، وفقط، وأعتقد أنه الآن أستاذ للتفسير في كلية الدعوة؛ ما لم أهم!

وكان معنا الأردني بشير عايد عواد المرموري، وكان نحيلًا كثير الابتسام، وقد فصل هذا الزميل، لاعتراضه على شيء لا أذكره – ربما على الشيخ السبَّاب الذي كان يشتم المخالف بـ: الكلب ابن الكلب الخنزير ابن الخنزير – ثم بقي في السنة الرابعة مستمعًا، ودخل الامتحانات معنا، واجتازها.

وكان معنا الأردني باسم فيصل الجوابرة، وكان سلفيًّا أكثر من السلفيين أنفسهم – وهذا لفت نظري في كثير من الأردنيين الذين كانوا آنذاك يغالون في مجاراة الجو العام؛ بغض النظر عن قناعاتهم – وهو الآن أستاذ جامعي له رؤيته واتجاهه الخاص..

وكان معنا السوداني سيف الإسلام سعد عمر، الشاب السوداني أرستقراطي الهيئة والسمت، وقد سمعت أنه صار رئيسًا لجامعة أفريقيا العالمية يومًا ما، ثم قرأت نعيًا لاسمه على المواقع السودانية عام 2013 فإن كان هو فعليه رحمات الله ورضوانه!

وكذا السعودي عوض بن رجا بن فريج العوفي وهو أستاذ في كلية الشريعة بالمدينة، وكان من المتقدمين في الدفعة دراسيًّا كل سنوات الدراسة.

وكان معنا الفلسطيني حسام الدين موسى عفانة أستاذ الفقه والأصول في جامعة القدس، وصاحب سلسلة يسألونك الفقهية..

والفلسطيني موسى إسماعيل البسيط (وكان أخوه أحمد أيضًا معنا، وأسبق منا دراسيًّا) وهو أيضًا أستاذ جامعي، عمل محاضرًا بجامعة الملك سعود ثم عاد إلى بلاده أستاذًا، وعميدًا لكلية الدعوة والعلوم الإسلامية بأم الفحم..

والأوغندي محمد أحمد كيسولي، وهو دبلوماسي يحمل الدكتوراه في أصول الفقه، وهو الذي الذي مازحه الشيخ عبد المحسن وسأله: ليش أبوك سماك كسولي وانت بهذا التفوق!؟

والفلسطيني الباسم إبراهيم خليل أحمد ريان، واللبناني عبد الناصر الخطيب، والنيجيري عبد الرفيع (رافي) أوماتوشو، مساكني في الغرفة، الوديع الهادئ لحد الإدهاش، رغم ضخامة جسمه..

ولا أنسى هنا رفيقي الرحلة اللذين لزمتهما ولزماني من مبتدئها لمنتهاها خير عبد الراضي خليل الذي بمركز الدعوة السعودي في دبي ثم عمل أستاذًا بجامعات الإمارات، وفؤاد السايس رحمه الله تعالى. أسعد الله الجميع دنيا وأخرى كما أسعدوني بصحبتهم، وجمعني بهم في فردوسه الأعلى؛ إنه على ما يشاء قدير، وهو الغفور الودود سبحانه!

الإمام ظافر النجار جنوب أفريقيا مفتي لبنان الشيخ عبد اللطيف دريان

غسان بارودي وعبد الناصر الخطيب

غسان بارودي ثم عبد الهادي الخطيب ثم.... فزهير كبي، وعبد الفتاح عمار مستلقيًا

عبد اللطيف الريسوني بهيج غزاوي – لبنان

د. موسى إسماعيل البسيط د. حسام الدين عفانة

د. عبد الله شاكر الجنيدي من كلية الدعوة أ. عبد الكريم المطبقاني من الإشراف

دكتور سعود صالح العطيشان د .محمد المختار بن محمد الأمين

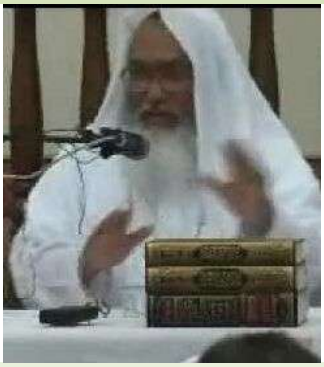

د .عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي د .باسم فيصل الجوابرة

فؤاد وعبد الفتاح

وعبد السلام

وسأترجم لعدد من أصدقاء وزملاء الدفعة إن شاء الله تبارك وتعالى فيما يلي من صفحات، بحسب الترتيب الأبجدي:

أحمد أبو حلبية:

النائب الغزاوي، والأستاذ الجامعي، والداعية الخطيب، أ.د. أحمد يوسف أبو حلبية، أول دفعتنا طوال سني الدراسة، وإن تأخر في السنة الرابعة للرابع، لكنه بالمجموع كان الأول.. هادئ في طبيعته، وتكوينه، غير صاخب، ولا ظاهر – لي أنا على الأقل – يكمن ثم تراه أول الدفعة؛ حتى إنك لتتعجب: أين كان!؟ ولا أذكر أنني رأيته إلا وهو يذاكر..

كنت بعد التخرج أتسقط أخباره، وأخبار الزملاء القدامى، وأتعرف على حيواتهم، ورأيته ما شاء الله في صعود وزيادة، ثم شاء الله أن ألقاه، أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

حصل لي معه موقف طريف قبل ثلاثة أعوام، حين اتصل بي أستاذ من جامعة قطر يعرفني، وقال: أريد أن أراك، بصحبة ضيف قادم من فلسطين!

أهلًا وسهلا بكما.. من هو؟

لا تعرفه، هو ضيفي!

أهلا بك وبضيوفك أجمعين!

وبعد قليل دخل شخصان، ولما نظرت للثاني منهما هتفت: أحمد أبو حلبية؟ أهلا وسهلًا، ياه، والله زمان!

اندهش الرجلان كلاهما، إذ لم يتعرف هو علي (بسبب عوامل التعرية والنحت والإضافة والغزو التتري للبياض والتجاعيد) فذكرته نفسي فذكر، وجلسنا جلسة طيبة أثارت الشجون.

وحصلت بعدُ بيننا مكاتبات، حتى شاء الله تعالى أن أزور غزة في وفد اتحاد علماء المسلمين عام 2012، ليستقلبني ومن معي في المجلس التشريعي الفلسطيني، وأسعد بلقيا رجل جميل من الزمن الجميل!

وأبو يوسف نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، حصل على الدكتوراه، من قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية عام 1409هـ 1989م، بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وتدرج في جميع درجات التدرج الوظيفي الأكاديمي في تخصصه بالجامعة الإسلامية بغزة على النحو التالي، وأشرف على طلاب الماجستير والدكتوراه في تخصص الحديث الشريف وعلومه بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، وبقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأقصى بغزة، كما عمل مساعدًا لعميد شؤون الطلاب، ومساعدًا لعميد كلية أصول الدين، ورئيسًا للمجلس الرئاسي المؤقت، وقائمًا بأعمال رئيس الجامعة الإسلامية، وقائمًا بأعمال عميد كلية أصول الدين، وعميدًا للدراسات العليا!

وفي المجال السياسي كان أبو يوسف – ولا يزال – عضوًا في المجلس التشريعي الفلسطيني، ومقررًا للجنة القدس في المجلس التشريعي الفلسطيني، ورئيسًا لهيئة العلاقات الخارجية بكتلة التغير والإصلاح بالمجلس التشريعي الفلسطيني.

كما رأس فرع مؤسسة القدس الدولية في غزة، ورأس مجلس أمناء كلية الدعوة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ورأس جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية..

وعلميًّا كان نائب رئيس رابطة علماء فلسطين بمحافظات غزة، وعضو المجلس الأعلى للإفتاء بالقدس والديار الفلسطينية، وعضو لجنة إعداد قانون الأحوال الشخصية الفلسطيني بمحافظات فلسطين، وعضو لجنة إعداد الدستور الفلسطيني، وعضو مجلس إدارة الجمعية الفلسطينية لتأهيل المعوقين بقطاع غزة، ومستشارًا دينيًّا لجمعية مبرة الرحمة الخيرية بقطاع غزة، ومستشار الجمعية الفلسطينية للعلوم القانونية بقطاع غزة، وخطيبًا غير متفرغ في مساجد الأوقاف.

وللدكتور أبو حلبية العديد من الأبحاث العلمية المنشورة، منها: تواتر حديث (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) وإثبات تواتر حديث (ستكون فتن كقطع الليل المظلم؛ يصبح فيها الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا) وإثبات تواتر أحاديث الحث على سكني الشام، وأصول الحديث عند الإمام أبي حنيفة، وأصول الحديث عند الإمام مالك بن أنس الأصبحي، وأصول الحديث عند الإمام أحمد بن حنبل، والأحاديث المرسلة في صحيح مسلم، وأحاديث فضائل القدس والأقصى، وكلها نشرت في مجلات علمية محكمة.

ومن كتبه: المنهاج الحديث في بيان علوم الحديث/ الميسّر في علوم الحديث/ الكشاف المبين عن مناهج المحدثين/ فضائل القدس والمسجد الأقصى/ أضواء على الحج والعمرة؛ مشترك مع مؤلف آخر/ أحكام الصيام من منشورات الجامعة الإسلامية بغزة/ دراسات في الحديث الشريف. كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والملتقيات والندوات الاجتماعية.. أسأل الله تبارك وتعالى أن يستخدمنا وإياه في طاعته. وأن يكرمنا بكرامات أهل التوحيد والإيمان.. اللهم آمين يا رب العالمين.

أحمد الدبوس

ومن الزملاء الذين كانوا في دفعتنا أيضًا الشيخ أحمد حمود عبد اللطيف الدبوس أحد رواد العمل الخيري الإسلامي في دولة الكويت، والإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، و مدير مشروع الشفيع لخدمة القرآن الكريم، ورئيس جمعية الشيخ أحمد الدبوس الخيرية بدولة الكويت.

وقد لقيته غير مرة بالدوحة، واستضفته مرات في برامجي بتلفزيون قطر – وآخرها برنامجي: هدى للناس، الذي عرض في رمضان القريب هذا – وهو داعية تلقائي درويش، ذو لغة بسيطة، وعفوية في الخطاب، وله طريقة شعبية في جذب المشاهدين، تجعله محببًا لأهل الخليج، مع سماحة نفس، وابتسامة عريضة، فاللهم انفع به دينك وعباده، وانفعه بما يقول ويعمل.

خير عبد الراضي

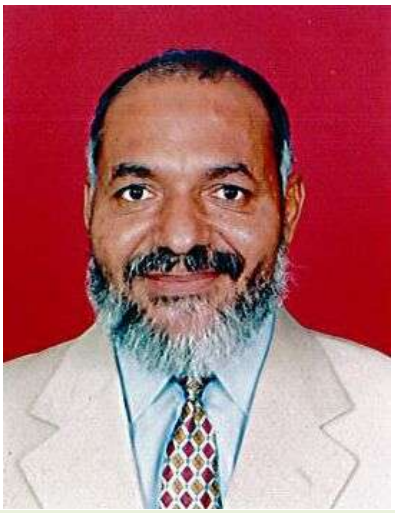

زميل الرحلة، وصديق المعاناة، وشريك الهم، الدكتور خير عبد الراضي خليل أبو مطيرة، صعيدي من المخزن/ قنا، داعية وأستاذ جامعي، وزميل بعثة مجمع البحوث الإسلامية للمدينة المنورة، اختارني وإياه الشيخ الذهبي رحمه الله – مع فؤاد السايس – لندرس في الجامعة الإسلامية؛ بناء على تفوقنا الدراسي في الشهادة الثانوية على مستوى الدولة، وقد لقيته أول ما لقيته بالقاهرة غير مرة لنبحث عن حلول لإتمام المعاملات البطيئة بين المجمع بالقاهرة والجامعة بالمدينة، ثم وصلت قبله لطيبة الطيبة ربما بنحو أسبوعين، عشتها وحدي غريبًا بالمكان، أكابد آلام غربة صعبة، في مكان حار، جاف، لا ترويح فيه، ولا وجوه آلفُها، فلما جاء كان فرجًا وتخفيفًا كبيرًا.

وكانت طبيعتي وطبيعة خير مختلفتين شيئًا ما، هو هادئ وأنا عفريت، كتوم وأنا حر التعبير، متثبتٌ وأنا مبادر مجازف، منشغل بالدراسة وأنا صاحب هوايات، وكنت أعتبرني وإياه نعيش نوعًا من الاختلاف المتكامل غير المتناقض، يدعم بعضنا بعضًا، فهو يحتاج تهوري، وأنا أحتاج هدوءه، لكن المزاج ولا شك كان مختلفًا، حتى إنني سألته لما أنجب أول أبنائه المباركين، سألته: ماذا سميت ابنك؟ فقال: أسميته مصعبًا!

فقلت مندهشًا: سبحانك ربي! حتى في هذه اختلف اختيارنا!؟ سميتَه مصعبًا وسميت ابني سهيلًا!؟

كان خير مستقيمًا – ولا أزكيه على الله تعالى – محبًّا للنبي صلى الله عليه وسلم، في دروشة زائدة، وذا تحفظ شديد، وكنا متلازمين بكل ما تعنيه الكلمة – مع فؤاد رحمه الله

– نأكل جميعًا، نخرج جميعًا، نعود جميعًا، نفلس جميعًا، ننتعش جميعًا، ثم فرقتنا الأيام زمنًا، وسبق هو للعمل في دبي، لكن لم ينقطع تواصلنا على شيء من التباعد، وزرته في دبي مرتين أو ثلاثًا.

حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية ثم التحق بالمعهد الديني بقوص فحصل منه على الإعدادية، فالثانوية من معهد القاهرة، وكان الثامن على مصر في الثانوية الأزهرية عام 1973، ثم التحق بكلية التجارة في جامعة الأزهر، ليرشحه مجمع البحوث الإسلامية لشغل منحة دراسية مقدمة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفيها تخرج بامتياز، ليلتحق بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة، ويحصل على الماجستير في الفقه والأصول ثم ليتعاقد مع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فسافر إلى دبي، وفيها عمل مشرفًا على الدعاة، وعضو لجنة مراجعة البحوث، وعضو لجنة الإفتاء.

انتدب خير للتدريس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ثم حصل علي الدكتوراه في الشريعة والقانون ليقوم بعدُ بالتدريس في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا خمس سنوات، كما طلب لتدريس فقه المعاملات المالية في المعهد العالي للدراسات المصرفية والمالية بالشارقة، وعمل دورات تدريبية مكثفة لموظفي البنوك في المعاملات المالية، وأشرف على تأسيس كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية في جامعة الجميرا بدبي، ووضع المنهج الدراسي لها، وتولى عمادتها حتى قامت على قدميها.

له العديد من المؤلفات، منها: عقود التمويل الإسلامي كما تجريها المصارف والشركات الإسلامية، وشرح أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك مقرونًا بالأدلة، والقول السديد في حكم صلاة الجمعة يوم العيد، وفقه المعاملات من كتاب أضواء البيان للشيخ الشنقيطي: دراسة مقارنة، وله مختصر في فقه المعاملات يدرس في المعهد العالي للدراسات الصرفية والمالية في الشارقة وأبو ظبي، كما أشرف على عدة بحوث جامعية، وعلى امتحانات الجامعة الأمريكية المفتوحة بالشارقة عدة سنوات!

زهير الكبي

الأخ الصديق طيب الفطرة، الذي أحببت طبيعته وخلقه – حتى إنني سميت ابني الثاني باسمه – الإنسان اللطيف، والرياضي الرشيق، والطباخ الشيف، بسيط القلب والروح، الشيخ زهير شفيق الكبي (مدير صندوق الزكاة في لبنان) والباحث المكثر، والكائن النشط، وزميل الغرفة، وشريك بعض الأنشطة، وبعض الهموم..

على بدانته التي لم تفارقه كان خفيفًا، رشيق الحركة، رياضيًّا، وكان حارس مرمى فريق الجامعة، بل أذكر أنه كان في مبتدئه يلعب مع نادي النجمة الرياضي إن لم تخني الذاكرة.

لا أنسي اقترابنا أكثر في السنة الرابعة، وكعادتي الرديئة ذاكرت آخر العام الدراسي – لكن بجدية وتركيز – وكان هو إذا كلَّ من المذاكرة، وملّها، جاء وقال لي: عبد السلام:

مش انت تعبان من المذاكرة، وعايز تنزل للحرم، وتلف شوية بالمدينة؟

صحيح يا أخي كيف عرفت؟ وأنزل معه..

وإذا كللت أنا قلت له: زهير مش.../ صحيح.. أنا زهقت خالص../ وينزل معي..

بجانب كونه رياضيًّا، كان يعشق الطبهخ ويتفنن فيه، ولا أنسى صبره حين اتفقنا أن يطبخ هو بالغرفة، وأغسل أنا المواعين، ثم كان كل مرة يغسلها هو بنفس راضية وقلب طيب– لأني نسيت، أو تهاونت – وهو الذي حبب إلي الحمص الشامي، الذي لم أكن رأيته من قبل، ودخل حياتي من أوسع الأبواب!

طال انقطاعنا، ودامت محاولات التواصل، حتى رآني ذات يوم في برنامج بالجزيرة، فاتصل بالقناة، وطلب رقمي، لأفاجأ بمتصل يقول: سلام عليكم! فرددت مباشرة: زهير؟

كان هذا بعد انقطاع عن صوته دام نحو سبع وعشرين سنة؛ غير أني لم أنس نبراته على طول المدة، فسبحان الله..

أراد الله تعالى أن نلتقي بالدوحة، في زيارة له، وسعدت بلقياه كثيرًا، وقد بقي هو هو: زهيرًا الودود الطيب الطبيعي..

وهو لبناني بيروتي، زميل سكن ودراسة، يحمل الماجستير في الشريعة (عن الإجماع) ويعمل مديرا عامًّا لصندوق الزكاة بلبنان، وأستاذًا في كلية الشريعة التابعة لدار الفتوى في بيروت، ورئيس ائتلاف الخير في لبنان (سابقًا) ورئيس صندوق الخير لإغاثة الشعب الفلسطيني، وعضوًا في مجلس إدارة المديرية العامة للأوقاف الإسلامية.

والشيخ زهير مهتم كثيرًا بالتحقيق والتأليف، ومن كتب التي حققها أو هذبها: فضائل القرآن الكريم لابن كثير، وفقه الجهاد لابن تيمية، والرسالة للشافعي، والتبيان للنووي، وفقه التصوف، وفقه المعاملات، والمنتقى من أخبار النساء، وتفسير سورة النور لابن تيمية، والجزء الثالث من الإحياء، وغيرها..

الشيخ زهير في حضور الرئيس اللبناني

زهير – وليد – البسيوني

فاجأني زهير كبي بصورة زيتية رسمتها أنا له، وهو بلبس الكشافة، من ضمن مقتنياته، وعليها توقيعي

عبد الستار البقار

زميل الدراسة السوري (الطرابلسي أيضًا) الشيخ عبد الستار محمود البقار ذو السمت الجاد، والانضباط الذي هو أشبه بالطبيعة العسكرية، وقلما رأيته مبتسمًا.

لم أجد عنه شيئًا أثناء تنقيبي، ثم قرأت خبرًا على الموقع الإلكتروني لوكالة Syria News أن بثينة شعبان وزيرة المغتربين اجتمعت في مقر النادي السوري الكندي في مدينة مونتريال بالمغتربين السوريين، يوم 21 سبتمبر 2005 ووجهت لها جملة أسئلة، كان من أهمها سؤال شاب عن أخيه الموقوف في سوريا من عام 1981 حتى حينه (2005) واسمه عبد الستار محمود البقار بتهمة الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين – وهي التهمة النمطية التي تستخدم ضد كل إنسان حر وشريف، يراد النكاية به في بلادنا السعيدة – ولا يعرف عنه أهله شيء حتى إن كان حيًّا أم لا، ووعدت الوزيرة بالتقصي عنه ومعرفة كل المعلومات والاتصال بذويه كمبادرة شخصية!

ومعنى هذا أن الشيخ عبد الستار قضى حياته كلها بعد تخرجه – إن كان حيًّا لا يزال – في أسر الطائفية العلوية الرافضية الكنود، فاللهم فك كربته إن كان حيًّا، أو اقبله عندك شهيدًا إن كان قد قبضته إليك، إنك أرحم الراحمين.

له أخ داعية اسمه محمود، هو الذي سأل بثينة شعبان، ويعمل خطيبًا ومدرسًا في العديد من مساجد مدينة مونتريال في كندا, وذكر في حوار معه، أن معلمه الأول – بعد أبيه الذي حفظه القرآن والتجويد – كان أخاه عبد الستار، الداعية المعروف في بلده آنذاك.

عبد الفتاح عمار

الصديق الطرابلسي المرح الظريف، الدكتور عبد الفتاح حسن عمار، الفصيح ذو الثقافة، الذواقة للشعر العربي، الذي كان رفيقًا دائمًا في طلعاتنا لمنطقة الحِل، خارج الجامعة، وجلساتنا في فضاء صحراء المدينة، وسمرنا، ومزاحنا، مع بقية الأصدقاء (العفاريت)!

انقطعت عني أخباره، **وأعياني البحث عنه**، وسألت كثيرين فلم يشفوا غليلي بشيء، حتى قابلت هذا الشهر (أغسطس 2015م أي بعد ثمان وثلاثين سنة من افتراقنا) شابًّا طرابلسيًّا لماحًا، ومذيعًا متميزًا في إذاعة قطر (مصابر الشهال) حدثته عنه، وعن بقية الطرابلسية، فذكر أنه يعرف أفرادًا من أسرته، وأنه سمع أطرافًا عنه، وبدأ – ونحن نتحدث – يبعث برسائل لبعض من يعرف في شمال لبنان، ثم إذا به يفاجئني بصور، وبريد إلكتروني، ما جعلني أطير فوق السحاب فرحًا. ثم بعدُ تواصلت مع أبي رامي، فتذكَّر كما تذكرت، وحن كما حننت..

غادر عبد الفتاح عمار الجامعة الإسلامية قبلي بسنة؛ متجهًا إلى مصر لمواصلة الدراسة في كلية التربية في جامعة عين شمس، ومنها حصل على الماجستير في التربية، ثم انتقل بعد ذلك إلى ألمانيا ليحصل عام 1990 على درجة الدكتوراه من جامعة كولونيا في مجال العلوم التربوية؛ متخصصًا في علم اللاهوت وعلم النفس كتخصصين فرعيين، وكان نظام الدراسات العليا في ألمانيا يفرض على الدارسين التخصص بثلاثة فروع.

بعد حصوله على درجة الدكتوراه طلب منه الأستاذ المشرف على أطروحته أن يعمل معه في مجال البحوث الاجتماعية، حيث عاونه عدة سنوات، ثم اقترح أحدهم اسمه لسفارة الكويت، التي كانت بحاجة إلى شخص يعمل لديها لإعداد تقارير ودراسات عن الوضع السياسي والاقتصادي في ألمانيا، ولا يزال يعمل بها منذ عام 1997.

ناصف ناصر مستغرقًا، وعبد الفتاح ضاحكًا من أعماقه

عبد الفتاح وعبد السلام وحبيب الرحمن رحمه الله تعالى

فؤاد السايس

أطيب ثلاثتنا قلبًا، وأفرهنا جسمًا، وأوسعنا ابتسامة، وأسلمنا نية – ولا أزكيه على الله تبارك وتعالى – انقطعت عني أخباره زمنًا طويلًا؛ رغم حرصي على الوصول إليه، ثم شاء الله تبارك وتعالى أن أتعرف على بلديِّه وشبيهه الأستاذ محمد المكي، الذي أعطاني هاتفه، فكان أن تواصلنا زمنًا، وتذاكرنا أيامنا وأفعالنا في طيبة الطيبة.

ودام التواصل، ثم حدث ذات جمعة – وكنت اعتدت أن أرسل رسالة هاتفية أسبوعية متفائلة للأحبة قبل الصلاة – أن عاد إليّ رد الرسالة من ابنته تقول: ادع لأبي؛ فقد توفاه الله تعالى أمس، ويا لها آنذاك من صدمة، ويا له من وجع! وكان ذلك يوم الجمعة السادس من يولية عام 2007!

وهو أخي الذي لا أزال أدعو له ليومي هذا – مع من أدعو لهم من موتاي – الشيخ فؤاد محمد فتح الله السايس رحمه الله تعالى (1949–2007) من مطوبس/ محافظة كفر الشيخ، وهي آخر مراكز وسط الدلتا على النيل، من جهة الغرب، والبحر المتوسط شمالًا. أتم مراحله الدراسية الإبتدائية والإعدادية والثانوية، ثم جاء معنا أنا وخير، ليتم دراسته الجامعية بالمدينة المنورة.

بعد أن رجع إلى مصر عمل مدرسًا بمعهد مطوبس الثانوي الأزهري، ثم أعير إلى اليمن مدرسًا أربع سنوات، ثم عاد إلى مسقط رأسه لمعهده، وبقي فيه حتى صار وكيلًا له، فمديرًا، حتى توفاه الله تعالى في 2007/7/5 ودفن بمقابر مدينة مطوبس بعد جنازة مهيبة، حضرها خلق كثيرون، كما فهمت من أخي الأستاذ محمد مكي..

كان رحمه الله شغوفًا بعمله، حريصًا على إنجازه على الوجه الأكمل، حتى إنه يوم وفاته نزل ليصلي العصر، فعلم أن نتائج الطلاب أمست جاهزة للاعتماد، فانطلق إلى المعهد الذي كان مديره – رغم انتهاء الدوام الرسمي – واعتمد النتيجة، ثم سقط على الأرض، فحمله الناس لبيته، حيث أراد الله تبارك وتعالى أن يفارق الحياة حين حضر الأطباء، عن ثمانٍ وخمسين سنة!

تزوج من الفاضلة الحاجة أمال عبية كريمة الحاج محمد على عبيه أحد كبار أعيان مدينة مطوبس ورزقه الله منها بالطبيبة: الدكتورة منى السايس استشارية أمراض النساء والولادة بمطوبس، والصيدلانية الدكتورة مي السايس، جعلها الله امتدادًا وبركة لأبويهما.

أبو العز: قاسم عبد الحليم

صديقي القريب، وأخي الكريم! أبو العز قاسم عبد الحليم صالح يوسف خضر، أعجبت به ونحن زميلان في الجامعة، وأسرتني أخلاقه، وصدقه، ولطف معشره، وتميزه كشاعر، وزميل متفوق، وإنسان مهتم مهموم؛ حتى كتبت فيه قصيدة، تعكس إعجابي به وحبي له..

ولا أعتقد أن هذا عادي بين زملاء الجامعة الأقران في السن، لكني فعلتها؛ لإيماني أنه رجل غير عادي، كزميل، وكإنسان، وكفنان، وصاحب قضية! كان أبو العز أعمى، لكنه بمائة مبصر، وقد عاش مفارقات عجيبة، تؤكد أن المرء يسير بأقدار الله تعالى نحو ما يريده الله – وإن ظن أنه حر – ولعل هذا من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم: [عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل]!

ومن أعجب المفارقات التي عاشها أبو العز، أنه في مطلع شبابه – لغلبة العاطفة عليه، وتفاعله مع الأحداث – كان شيوعيًّا، متعصبًا لليسار الفلسطيني بشكل شديد، حتى رمته أقدار الله تعالى بين اختيارين، بعدما حصل على الثانوية بتفوق: فإما أن يدرس الحقوق بالفرنسية في تونس، وهو لا يعرف الفرنسية، وإما أن يدرس الإسلام بالعربية في المدينة المنورة، وأمره لله!

واضطره العمى والظروف أن يقبل بما هو في رأيه الأقل، فجاء إلى المدينة، وعاش بها طالبًا شديد الهدوء، شديد الأدب، واسع الثقافة – مقارنة بالزملاء من جيله – محبوبًا

بشكل كبير من كل من حوله، ممن خالطه ومن لم يقترب منه، ومنه سمعت الجديد من قصائد محمود درويش، ومصطفى وهبي التل، وتوفيق الزيّاد، ومظفر النوّاب، ومعين بسيسو، وغيرهم من شعراء اليسار الفلسطيني، وطالما استعدتُه القصيدةَ السِّبابية البذيئة لمظفر النواب، وهو يفحش للحكام والدنيا كلها، بألفاظ شديدة الإقذاع، والبعد عن الشاعرية؛ غضبًا للقدس السليبة، ويهتف فيهم غضبان متسائلًا:

القدسُ عروسُ عروبتكم؟/ فلماذا أدخلتم كلَّ زناةِ الليلِ إلى حجرتها/ وسحبتم كلَّ خناجرِكم/ وتنافختم شرفًا/ وهتفتم فيها أن تسكت صونًا للعرض؟!/ فما أشرفكم/ أولاد الـ..... هل تسكت مغتصبة؟/ أولاد الـ... لستُ خجولًا حين أصارحكم بحقيقتكم/ إن حظيرة خنزيرٍ أطهر من أطهركم/ تتحرك دكة غسل الموتى أما أنتم لا تهتز لكم قصبة!/ الآن أعريكم/ في كل عواصم هذا الماخور العربي قتلتم فرحي/ في كل زقاق أجد الأزلام أمامي.... إلى آخر القصيدة المقذعة الطويلة!

ذات يوم، وكنا وحدنا والله تعالى ثالثنا، وجدت أبا العز يدمع، ويكلمني بصوت منكسر خفيض، وهو يقول:

أنا كنت حمار كبيييييير يا زلمة، كيف قبلتُ مثل هذه الأفكار، وكيف دخلت رأسي؟ أنا لا أفهم!

فتعجبت سائلًا: أفكار إيه؟ خيرًا؟! فقال: مش عارف والله إيش أكولّك؟ هل تتوقع أن أعترف لك أنني كنت شيوعيًّا؟ وهل تتوقع أنهم كانوا يبرمجوننا على كره الإسلام، ومخالفته تمامًا؛ حتى في الحمّام أجلك الله، كنا لا نستخدم الماء أبدًا في التطهر مخالفة للمسلمين، وجعلونا نرفض كل شيء عنه، ونهزأ به، ومنعونا تمامًا من القراءة فيه!؟

سبحان الله! انظر الآن إلى نعمة الله عليّ: أجيء إلى هنا، وأدرس الإسلام مضطرًّا، ليتسلل إلى قلبي خفيفًا وئيدًا مقنعًا، بعد ثلاث سنين، حتى صرت أرى بشاعة ما كنت عليه، وأتمثل نعمة الله الجليلة عليّ!

وهتفت: حمدًا لله على السلامة يا أبا العز! أجرًا وعافية إن شاء الله، والعبرة يا زلمة بالخواتيم!

واستوثقت عرى الصداقة، وتمكنت بين روحينا العلاقة، وعشنا ما بقي لنا في الجامعة، وهو يدبر لي المقالب، ويُسمعني أشعاره الظريفة والمتشائمة، ويقدمني لمعارفه، ويخصني بمودته وأحاديثه، حتى حان حين الفراق بعد أن انتهى من الدراسة قبلي – فقد كان أسبق مني في الجامعة بعام – وأصر أن يعود إلى فلسطين – وجنين على التحديد، حيث مسقط رأسه، في عنزة إحدى قراها – داعية إلى الله تعالى والإسلام، وتوادعنا الله، وقلت له: سأراك إن شاء الله تعالى، مهما كان الأمر.

كان هذا منتصف سنة 1977 ميلادية، أي من قريب من أربعين سنة، وحاولت كثيرًا أن أتصل به، حتى نجحت في إيصال ديواني الذئبة التائبة له – وهو ديواني الشعري الأول الذي يحوي قصيدتي عنه – مع الأستاذ الأديب والباحث الأستاذ حسني أدهم جرار، وبدأت الاتصال متقطعًا، حتى زارنا في الدوحة، مع وفد من جمعية الكفيف الفلسطينية،

واتصل بمعهد النور القطري، الذي لم يقصر في مساعدة مؤسسته، كما استضفته في إحدى حلقات برنامج: أخلاقنا، في تلفزيون قطر، وقضينا أيامًا – على قصرها – كانت من أحلى أيام العمر الغارب..

ولم يضيع الله عهدنا بأن نلتقي، فقد جمعت بيننا الأقدار بعد سبع وعشرين سنة لأجد أبا العز رحمه الله أمامي في مطار الدوحة؛ كالعهد به، دون تغيير يذكر، حتى في شعر رأسه، وليقفز إلى عيني وذاكرتي ذلك الطفل الكبير، والرجل الرقيق، والشاعر المتابع، والكائن المجامل، والصديق الصدوق، والإنسان المهموم بمعالي الأمور!

ورجع أبو العز إلى فلسطين، بعد أن قضينا أيامًا – على قصرها – كانت من أحلى أيام العمر الغارب، ونتهاتف بين الحين والحين، ليقول لي: سلم على عماد/ سلم على زهير/ سلم على فلان/ على فلان...؛ ثم لأتلقى اتصالًا من أحد معارفه، وجيرانه في عنزة، من الموجودين بقطر، الذين سمعوا عن قوة العلاقة بيني وبينه وخصوصيتها، ليقول لي باقتضاب موجع، وانزعاج ظاهر: أبو العز.. تعيش انت!

هكذا في لحظة، نكون بين مُعزٍّ، ومعزًّىً، ثم يكون أحدنا معزّىً فيه.. أليست هذه هي خلاصة الحياة؟ أليست هي: مُعزٍّ، ومُعزًّىً، ومعزّىً فيه؟

وهكذا تقفز إلى ذاكرتي أبيات قصيدته التي كتبها قبل ثلاثين سنة: إني أموت بلا داءٍ.. بلا هرمٍ/ بل في ربيع العمر أذوي خلفَ قضباني/ فيا قبري: أتيت إليك عريانًا بلا كفنٍ/ لأني قد غزلت من الأسى والوهْن أكفاني!

هل بقي لك حق يا أبا العز علي وعلى معارفك ومحبيك؟

هل لك حق (تاخده وفوقه ألف بوسة)؟

هل تعرف قارئي الكريم أن موتانا في مسيس الحاجة إلينا؟

هل تعرف أننا بوفائنا ببعض هذه الحقوق يمكن أن نغير مصائرهم بشكل كبير؟

هل خطر لك أنك يمكن أن تخفف عن صديقك أو قريبك أو حبيبك المتوفى الكثير من العناء، وترفع عنه الكثير من التقصير، أو تضيف لرصيده من الحسنات الكثير الكثير؟! إنهم فعلًا يحتاجون هذه الحقوق وفوقها بوسة.. واللا أنا غلطان؟!

مما كتبته في (حكاية أبي العز) التي صيغت سنة 1978 م، أي من سبع وثلاثين سنة:

أعمى العينينِ ولكنْ كلُّ خلاياه بصائرُ وعيون

جِرْمٌ دقّ بحجم وُريقة وردٍ

لكنّ جوانحه تخفي ليثًا.. رقةَ طفلٍ/ شوقًا وحنين!

كالزيتونة مدّ جذورًا.. تضربُ تضربُ رغم الغربةِ ونوى الأحبابِ

وترسخُ ثمَّ بأرض جنين!

يأتي الليل فينظر بعيون القلبِ إلى النجماتِ

يغازل دُرِّيًّا دار على آفاق فلسطينِ

ويناديه.. يناغيه.. يحلّفه بالله.. بمن خلق الأشواق

بأن ينقل شيئًا من جمر القلبِ إلى الطرقاتِ إلى النبعاتِ

إلى نبْتاتِ "الخرْدَنِ" و"الشومر" و"الجعدي"!

ينفث زفراتٍ حرّى لا يدرك ما فيها من أشواقٍ إلا أهلُ التيم وأهلُ الأشواق

أفهل يعرفُ ما الحبُّ سوى من ذاق عذاباته؟!

أوف.. هاتوا الورق هاتوا القلم

تَكْتِبْ عن الشوق والألم

تَكتبْ عن اللي بالنِّفِسْ

قلمي بإيدي كان يِبِسْ

نفسي أنجعِ بْضَرْبَةْ شمسْ.. على مدارْ بيِر البَشَمْ!

يا عنزة أنا مشغوفْ.. واللون مسْوَدّي

يا عنزة أنا ملهوفْ.. والله انْهرى كِبدي

بَدّي دوا مِنْ اللوف.. واللا مِن الجعدي..

أهمسُ في قلب أبي العزِّ: تَعَزّ

تَعَزّ.. ففي المنفى لا زيتونَ ولا تينْ!

في المنفى لا شيءَ سوى العلقَمْ

لا شيء سوى الإغضاءِ على الضيمِ ومضغِ الحِصْرِمْ!

يصرخ في وجهي: صمتًا/ والله ولو شنقوني.. لو سحلوني

لو غرسوا في الأحشاءِ سكاكينْ

لا أنسى أبدًا أبدًا أبدًا أبدًا أبدًا أبدًا أرضًا أزهرَ في القلب بها نوارُ النسرين!

وتفتّق بالروحِ رياضٌ وغياضٌ وبساتين!

يغلبه الوجدُ فيصرخُ من أعماق الروحِ

يناجي أجفانَ اللوفِ وأهدابَ الشومر:

شومر يا بوُ ثُوبِ الحرير اتهَدْوَلي

والله دموعي مِ الفِراقِ بتهْطُلي

يا هَلْدرَى.. يا هلدرى بَعْدَكْ كما كِنّا سَوَا

يا هلدرى قلبكْ لَغيري اتحوّلي!؟

يا للّي على سِدْرك غِفي وارتاحْ عُودِ الشُّوكَرَان

ونِعْسَتْ على كِتفكِ قْطوفْ عِنْبة الحية

بابعث سلامي مِ الصُّبْحْ قَبْل الوَذان..

ع راسْ قُذاعة وخْصونْ مِرْمغيّة!

لا طْلَعْ فوقْ راسْ جَبلْ عاااالي ومن قَحِفْ قرني أصيح:

ريتِكْ يا غربَة تموتي بقرصةِ الحية

وارجعْ على لِدْيار.. واكْوِع بين نَوّارِ السليحْ

وِعنوقِ الرباطْ تتمايلْ عليّه!

ومضى/ خلاّني في الدرب وولّى.. غاب عن العينْ!

غاب عن العين ولكنّ له في القلب جذورًا وقرارًا/ راح يُشَعِّلها نارًا!

يزرع بركانًا أسفلَ كلِّ شجيرة

ملأ الأيدي أحجارًا.. ملأَ صدورَ النسوة في بيسان أوارا

حرّك في الناس رمادَ الآمال

صرخ بمرِّ الحقِّ وقالْ:

إن كنا لا نملك أسيافًا مما يلمعُ في الأعياد الوطنية!

مما نسي أريجَ الداناتِ.. وصامَ عن التهديفِ.. وضل طريق الحرية!

فلدينا الحقُّ.. وناصِرُنَا الحقُّ تعالى فانتفِضوا..

فانتفَضُوا.. واشتعلت جنباتُ الضفةِ نارًا!

هَدَموا دارَ أبي العزِّ وقلعوا التيناتِ.. ودفنوا معه أحلامَ الشومرِ وسنينَ التيه!

ولدت يسرا أربعة توائم

وامتلأت بالثورة أرجاءُ جنين!

سابع محرم الحرام 1427 الموافق 5/ 2/ 2006

أبو العز رحمه الله يستمع لقارئه نجيد عبيد في قريته عنزة/ جنين

أبو العز يحمل صغيرًا له، أظنه ابنه (عميد)

عنزة/ جنين/ فلسطين المباركة.. حيث ولد أبو العز

ماهر بدر

الزميل قصير القامة، صاحب الابتسامة الخفيفة دائما، لم تكن لي به علاقة وثيقة، غير أنني أدرجه هنا لخصوصية ظرفه الحالي، فهو من المبتليْن الموجوعين، والعلماء الصامدين، والمرابطين المجاهدين، وهو نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، أسير من زمن في سجون الصهاينة، صرف الله عنه وعن الأمة كلها يا رب العالمين!

قرأت عنه في موقع أحرار:

النائب محمد ماهر بدر قضى في سجون الاحتلال 10 أعوام حرم فيها من عمله..

ضمن حملة الاستهداف المتواصلة التي شنها الاحتلال الإسرائيلي ولا يزال، ضد نواب المجلس التشريعي الفلسطيني، أعاد اعتقال النائب عن مدينة الخليل محمد ماهر يوسف بدر، وهو من مواليد عام 1956، حيث اعتقلته سلطات الاحتلال من المدينة بتاريخ: 2013/10/28، ضمن حملة شملت قيادات ونشطاء في المدينة، ما يدل على أن استمرار اعتقال النواب هو انعدام احترام الاحتلال لأي من المواثيق التي تكفل حقوق هؤلاء.

ويشير مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان في تقريره، إلى أن النائب الأسير محمد ماهر بدر حاصل على شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراة في الشريعة الإسلامية، وكان قد ناقش شهادة الدكتوراة من جامعة عين شمس من مصر عبر ما يسمى بالفيديو كونفرنس، بسبب منعه من السفر من قبل الاحتلال الإسرائيلي، كما أن

النائب بدر عمل محاضرًا في جامعة الخليل لمدة 20 عامًا، بالإضافة إلى عمله كنائب في المجلس التشريعي الفلسطيني.

في تقرير مركز أحرار، وفي حديثه مع عائلة النائب الأسير محمد بدر، يظهر حجم المعاناة التي عاشتها العائلة منذ الانتفاضة الأولى مع بدايات اعتقال النائب، وعيشه في السجن لفترات أكبر مما عاشه بين أفراد عائلته.

أم عبادة، زوجة الأسير النائب محمد بدر ذكرت لمركز أحرار، أن الاحتلال اعتقل زوجها عدة مرات بدأت منذ الانتفاضة الأولى عام 1987، وأكدت أن مجموع السنوات الاعتقالية لأبي عبادة بلغ قرابة 10 أعوام، منها أكثر من ثمانية أعوام في الاعتقال الإداري.

وأضافت أم عبادة: عدا الاعتقالات المتكررة، تم إبعاد أبو عبادة إلى مرج الزهور عام 1992 وكان الأبناء صغارًا! وعانينا جميعًا في تلك الفترة، وشعرنا بأن ذلك العام بلغ في طوله أعوامًا، وبعد رجوع أبو عبادة من الإبعاد بفترة قليلة عاد الاحتلال واعتقله، ووضعه رهن الاعتقال الإداري، ومن أكثر الفترات صعوبة قد عشتها كانت إنجابي لولدي التوأم: عبد الله وعبد الرحمن 24 عامًا، وأبو عبادة في الأسر، حيث لم يرهما إلا بعد خروجه من الأسر، وكانا يبلغان من العمر عامًا واحدًا!

كما أشارت أم عبادة إلى أن النائب بدر تعرض للعزل في سجون الاحتلال أكثر من مرة أثناء اعتقاله، وكانت فترات طويلة أمضى أكثرها في عزل سجن عسقلان، ويعتبر العزل مكانًا يزج به الاحتلال بالأسرى الفلسطينيين عقابًا لهم ولتشكيل ضغط أكبر عليهم، وفي العزل تحرم إدارة سجون الاحتلال الأسرى من زيارة عائلاتهم لهم، وقد تبلغ تلك الفترات سنوات، كما حدث مع الكثير من الأسرى.

من جهته قال مدير مركز أحرار فؤاد الخفش إن عائلة النائب بدر تجرعت القهر والحرمان جراء غياب رب البيت وأساسه على يد سلطات الاحتلال الاسرائيلية، ودفعت الزوجة وأبناء النائب الستة ثمن تلك الاعتقالات، كما أن العائلة كانت تشهد في غياب النائب بدر العديد من المناسبات والأفراح والنجاحات التي حرم منها، وحاليًّا تستعد أسرة النائب بدر وخلال الأشهر القادمة تزويج ابنها عبد الله، آملين بأن يحين موعد الفرح وقد أفرج عن والدهم.

أم عبادة أفادت لمركز أحرار، إلى أن زوجها – وبسبب الاعتقالات المتكررة – تعثر عمله الأكاديمي، وحرم من ممارسة عمله كنائب في المجلس التشريعي منذ عام 2006 ومنذ أن بدأت الاعتقالات في صفوف النواب.

ومما يثير قلق عائلة النائب الأسير محمد ماهر بدر، هو تحويله للاعتقال الإداري في سجن عوفر، بالإضافة إلى التخوف على وضعه الصحي، ومن احتمالية حدوث مضاعفات معه في الأسر، حيث ذكرت عائلة النائب بدر أن أسيرها يعاني من ارتفاع في ضغط الدم ويعاني من آلام في منطقتي الركبة والظهر، وأجرى على إثرهما ثلاث عمليات جراحية، مؤكدين أن تلك الأمراض والآلام نتجت والنائب داخل الأسر.. وخلال سنوات طويلة تعاقبت عليه وهو أسير، وعدم مراعاة الاحتلال لكبر سنه.

من جهة أخرى، تحدثت لمركز أحرار، الابنة الصغرى للنائب محمد بدر (ساجدة) ابنة الثانوية العامة لهذا العام، التي أكدت إنها لا تريد أن تمر أيامها في الثانوية دون أن يكون الأب الناصح والواعظ والمؤنس بجانبها، آملة بعودته عما قريب وألا يطول اعتقاله.

اللهم فرج كربته وكربة أهله، وكرَب أهلها في فلسطين التي باركت فيها وحولها!

ناصف ناصر

ناصف ناصر بفارق 30 عامًا

ومن الأحبة أهل الود والنقاء الذين عرفتهم بالمدينة الأخ المبارك صاحب القلائد القرآنية الشيخ ناصف ناصر، المسلم المبتسم منذ عرفته وحتى اليوم، لم تغض بسمته، ولا رقته.. افتقدته طويلًا ولم أصل إليه، حتى أراد الله تعالى أن تذكر إحدى زائراتِ بيته اسمي أمامه، وذكرت عن دروسي ودوراتي الدعوية التي حضَرْتها بالدوحة، فانتفض وقال: من؟/ قالت: فلان/ فلان فلان؟ أهو هو؟ بالله عليك؟ واستوصفها إياي حتى تأكد أنني أنا، ثم فوجئت به يتصل بي من عمان، جزاه الله خيرًا، وتذاكرنا أيامنا، وثارت أشجاننا، ثم طلبت منه رقم صديقي الأثير أبي العز قاسم عبد الحليم رحمه الله – وكانا يسبقانني في الدراسة بعام – فما مضت ساعة إلا وكان معي، لأتصل بغائبين عزيزين في يوم واحد، كان من أطيب أيام حياتي؛ فلله الحمد والمنة!

وأبو أيوب رجل حبب إليه التنزيل، معني بمشروع القلائد القرآنية، وهو رسالة من القرآن إلى الإنسان المعاصر، ترتقي به إلى مقام العبودية الخالصة الحق، لصاحب الجلال والإكرام تبارك وتعالى، وله جولاته الدعوية داخل الأردن وخارجها، يحبب إلى الناس القرآن، ويقرب إليهم مفاهيمه، وينشر مشروعه القرآني الطموح، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به، ويقبل منا ومنه يا رب العالمين.

كما أنجز خمسًا وعشرين قلادة قرآنية (دورة من 15 عنوانًا) لتقليد مئات من الأخوات والبنات الفضليات القلادة القرآنية. وقد تجاوزت المحاضرات والدروس واللقاءات في القلائد الألف محاضرة.

أبو أيوب في أندونيسيا في جولة قرآنية

وهو ناصف ناصر أحمد عبد الله السيلاوي، من مواليد سيلة الظهر بفلسطين 1953/10/10. غادر مبكرًا مع والده رحمه الله، ليدرس مراحله قبل الجامعية، ثم جاء إلى الجامعة الإسلامية المدينة المنورة السعودية ليتلتحق بكلية الشريعة، ويتخرج فيها عام 1977، ولما رجع إلى الكويت عمل محررًا صحفيًّا في مجلة المجتمع الكويت 1977 ثم مدرسًا في ثانوياتها حتى عام 1990 وفيها تزوج وأنجب جل أولاده الميامين، ليعود ويستقر بإربد شمالي الأردن.

والشيخ ناصف ناشط مقدسي، ومشارك فعال في مجلس بيت المقدس، والهيئة الشعبية الأردنية لحماية الأقصى والمقدسات، والحملة العالمية لحماية الأقصى من اليهود والتهويد، كما أن له حملات (مقدسية) لإحياء بركة وقداسة الأقصى وبيت المقدس في

الأمة وفي أطراف المعمورة، وقام – لذلك – برحلات لماليزيا وإندونيسيا ومصر ولبنان والكويت وتركيا!

وهو نشط على الفضائيات، وعضو في جمعيات ومؤسسات ومراكز خيرية اجتماعية قرآنية عديدة.. نفع الله تعالى به، وأجرى على يديه من الخير ما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

أبو أيوب على اليسار، وعبد الفتاح عمار بالوسط والبسيوني يمينًا وفي الخلفية مكتبة الجامعة، ثم قصر أمير المدينة

د. أحمد أبو حلبية والشيخ ناصف ناصر في مؤتمر عن القدس بالقاهرة

ناصف وأبو العبد

وليد مساعدة

الحبيب الأريب، الإلف، المألوف، الخفيف المرح، ابن النكتة، سريع البديهة، ثم التربوي الأكاديمي والقرآني اللغوي، الذواق للأدب، والكلام الرصين الدقيق المحكم..

كان أكثر من عرفت من لداته الأردنيين الزملاء نقاء، وأسلمهم طبيعة، انقطع اتصالي به ستًّا وثلاثين

سنة، ثم حصلت على رقمه من أبي أيوب، وبادرته بالاتصال، فسمعت صوتًا جادًّا، ونبرة ربما حزينة، فشككت في أذني، وسألته:

– حضرتك الدكتور فلان؟

– نعم أنا هو، أي خدمة!؟

– كيف صحتك، وكيف الأهل والأولاد؟

– من أنت (كأنما يقول لي: اخلص عايز إيه)!؟

– أنا مصري،كنت زميلًا لك بالمدينة، و.....

– عبد السلام البسيوني.. الله أكبر.. معقول!؟

– نعم أنا هو!

لم تخنه – كعهدي به – سرعة بديهته، وحضور ذهنه، وبشاشته!

وتبادلنا الأشواق والذكريات، وتعابير المودة، ووجدت وليدًا جديدًا أمامي، أجمل وأنبل وأروع من وليد القديم الجميل النبيل الرائع!

وأسأله تعالى ألا تنقطع مودتنا فيه ما حيينا، وأن يجمعنا على الخير في الدنيا، وفي فردوسه الأعلى؛ إخوانًا على سرر متقابلين.. اللهم آمين.

والدكتور وليد عضو هيئة التدريس، وأستاذ أصول التربية الإسلامية في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة/ جامعة اليرموك..

حصل على الدكتوراه (1999) في الجوانب التربوية في وصايا الأئمة الأربعة، وهو معنيٌّ بالدراسات التربوية والقرآنية، تأصيلًا وتعميقًا، وهنيئًا لمن خدم القرآن وعاش له..

وقام بتدريس فصول دراسية عن المضامين التربوية في البيان القرآني، وأصول التربية الإسلامية ومبادئها، والتربية في الكتاب والسنة، ومناهج التربية الإسلامية، والثقافة الإسلامية، ونظام الأسرة في الإسلام، وحاضر العالم الإسلامي، وغيرها كثير، وعمل رئيسًا للجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم على مستوى الأردن، مرات عديدة..

أشرف الدكتور وليد على عديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وحضر جميع المؤتمرات التي عقدتها كلية الشريعة بجامعة اليرموك، ويساهم في المجتمع المحلي بمحاضراته داخل الجامعة وخارجها..

ومن بحوثه المشورة في المجلات الأكاديمية المحكمة: القصص القرآني، وأثره في حياة النبي صلى الله عليه وسلم/ وثقافة الحوار من المنظور الإسلامي/ والانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة/ والعولمة الثقافية: رؤية تربوية إسلامية/ والمضامين التربوية للأحكام في القرآن الكريم/ وتعزيز الأمن الفكري في محتوى المناهج التعليمية، وغيرها.

ومن بحوثه بالإنجليزية:

Educational Leadership: An Islamic Prespective/ Islamic education and choosing good friends.

أسماء زملائي المتخرجين دفعة: 1397/ 1978

الخريجون من طلاب الجامعة

تخرج في العام الدراسى ٩٧ – ٩٨ هـ عدد كبير من بعض كليات الجامعة الإسلامية والمعاهد ودارى الحديث التابعة لها . وفيما يلى أسماء خريجى كليات الشريعة . والدعوة وأصول الدين والقرآن الكريم والدراسات الاسلامية :

الشهادة العالية من كلية الشريعة

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
١	حمد حمدى الصاعدى	سعودى	ممتاز	
٢	محمد مفضل مصلح الدين	هندى	»	
٣	احمد عبد الله يحيى الزهراني	سعودى	»	
٤	أحمد يوسف احمد أبو حلبية	اردنى	»	
٥	موسى اسماعيل محمد	»	»	
٦	رضوان محمد هويمل	»	»	
٧	مريشيد بن راشد بن مسند	سعودى	»	
٨	حفيظ الرحمن حبيب الرحمن	باكستاني	»	
٩	عوض رجا فريج العوفي	سعودى	»	
١٠	عبد الله حليم مابينج	تايلندى	»	
١١	عبد الستار محمود البقار	سورى	»	
١٢	نهاد عبد الحليم عبيد	لبناني	»	
١٣	محمد احمد كسولي	اوغندى	»	
١٤	سعد حمود حمد الخطابي	سعودى	»	
١٥	محمد مطلق عبد المهدى	اردنى	»	
١٦	ابراهيم خليل أحمد محمد	فلسطيني	»	
١٧	صالح عياد عائد الغامدى	سعودى	»	
١٨	حسام الدين موسى محمد	اردنى	»	
١٩	عبد السلام محمد متولي	مصرى	»	
٢٠	احمد عبد الجبار عبده	يمنى	»	

– ٢٤١ –

جل المذكورين في هذه الصفحة حصلوا على الدكتوراه، وصاروا أكاديميين، وبعضهم صار من المعروفين المؤثرين

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٢١	حافظ محمد عبد الله حكمي	سعودى	»	
٢٢	عبد العزيز مصطفى الخالد	سورى	»	
٢٣	عبد الرحمن عبد الجبار	هندى	»	
٢٤	عبد الله محمد سليمان	سعودى	»	
٢٥	عز الدين صالح محمد احمد	مصرى	»	
٢٦	احمد حسن حسين اليافعى	يمنى	»	
٢٧	عبد الله جولم بيشا	نيبالى	»	
٢٨	احمد فرحان ديوان	يمنى	»	
٢٩	عبد الله ادريس محمد	غاني	»	
٣٠	محمد ماهر يوسف	اردنى	ممتاز	
٣١	تحسين مصطفى اسماعيل	اردنى	»	
٣٢	سلامة ضويغن سعد	سعودى	»	
٣٣	عبد القادر موسى محمد	اليوبي	»	
٣٤	بشير عايد العواد المرمورى	اردنى	»	(مستمع)
٣٥	عبد الرحمن محمد عبد المحسن	سعودى	»	
٣٦	على عبد القادر احمد	يمنى	»	
٣٧	خير عبد الراضى خليل ابراهيم	مصرى	»	
٣٨	باسم فيصل احمد الجوابرة	اردنى	»	
٣٩	احمد محمد احمد الناشرى	يمنى	»	
٤٠	عامر سعيد نورى	عراقي	»	
٤١	صالح عليان على العمرى	سعودى	»	
٤٢	عمر بن عوض حسن	»	»	
٤٣	موسى عبد الله صو	موريتاني	»	
٤٤	محمد اقبال سعد محمد	هندى	»	
٤٥	حافظ عبد الشكور حافظ	باكستاني	جيد جدا	
٤٦	يحيا بن سعد السحيمى	سعودى	»	
٤٧	جمعة مقداد عمر	تنزاني	»	

- ٢٤٢ -

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٤٨	زهير شفيق الكبي	لبناني	» عزمي	
٤٩	محفوظ الرحمن محمد	هندى	»	
٥٠	داود معلم يوسف	نيجيرى	»	
٥١	مصباح الدين محمد جنيد	نيجيرى	»	
٥٢	عبد الله محمد قاسم	يمنى	»	
٥٣	مانع بن راشد سعد	كويتى	»	
٥٤	خريس حسن عبد العزيز	فلسطينى	»	
٥٥	على محمد عيسى سارى	سعودى	»	
٥٦	عبد الجليل حسن العرومى	اليوبي	»	
٥٧	عبد الناصر عبد الرحمن الخطيب	لبناني	»	
٥٨	محيسن عبد الله المحيسن	سعودى	»	
٥٩	ابراهيم محمد عمير مدخلى	سعودى	»	
٦٠	محمد عبد الرحمن عبروط	سورى	جيد جدا	
٦١	التمديتى على محمد	مغربي	»	
٦٢	حريفى الحسن العربي	»	»	
٦٣	حسين محمد على	اليوبي	»	
٦٤	هادى احمد خميس	يمنى	»	
٦٥	احمد عبد اللطيف عبد الله لبروس	كويتى	»	
٦٦	عايض عواد الجهنى	سعودى	»	
٦٧	عبد الهادى واصف الخطيب	لبناني	»	
٦٨	ابراهيم يوسف محمد ابراهيم	سعودى	»	
٦٩	سيف الاسلام سعد عمر	سوداني	»	
٧٠	على عبد الله المحيسن	سعودى	»	
٧١	عبد القادر احمد سيف	يمنى	»	
٧٢	كيلاني محمد نور	داهومى	»	
٧٣	سنيام داود عمر	نيجيرى	»	
٧٤	محمد على مقبول	يمنى	»	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٧٥	سعود صالح العطيشان	سعودى	»	
٧٦	عبد الرحمن جي اورانج	تايلندى	»	
٧٧	محمد صالح حسن شيخ ادريس	سوداني	»	
٧٨	احمد عبد الله الرفاعي	مغربي	»	
٧٩	اكرم موسى سليمان الخوالدة	اردني	»	
٨٠	ابراهيم عبد الواحد عبد الرحمن	سعودى	»	
٨١	محمود سالم ولو كالجيا	اوغندى	جيد	
٨٢	احمد سيف عاج	يمني	»	
٨٣	عبد الله قاسم عصر	يمني	»	
٨٤	محمد محمد حسن الدهشان	مصرى	»	
٨٥	محمد عبد الله قنيفد	جزائرى	»	
٨٧	عايض هلال مريزيق العمرى	سعودى	»	
٨٨	مسعود محمد صالح [illegible]	»	»	
٨٩	سالم عبد الله سليم	يمني	»	
٩٠	ابو بكر صديق بنجورا	سيراليوني	»	
٩١	محمد مخدوم احمد مبارك	سيلاني	»	
٩٢	احمد محمود قاسم عبد الله	كويتي	»	؟
٩٣	السيد عبد الحميد صالح	تونسى	جيد	[illegible]
٩٤	محمد عبد الله ابو النجا	سعودى	»	
٩٥	عبد الرشيد عبد الكريم	باكستاني	»	
٩٦	وان مصطفى تؤناهون	تايلندى	»	
٩٧	سليمان حامد كمارا	سيراليوني	»	
٩٨	سليم احمد سليم شحاته	مصرى	»	
٩٩	حمدان عوضة حمدان	سعودى	»	
١٠٠	عز الدين المراد محمد	سوداني	»	
١٠١	قائد زيد احمد السوارى	يمني	»	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
١٠٢	فهد مكى محمود شمس	سعودى	»	
١٠٣	عبد اللطيف امام	فلبينى	»	
١٠٤	صالح ابراهيم محمد	اثيوبي	»	
١٠٥	الحاج سليمان صلاح الدين	نيجيرى	»	
١٠٦	على محمد الحامد الاحمد [illegible]	اردنى	»	
١٠٧	عبد الرفيع ابيومى بسلو	نيجيرى	»	[illegible]
١٠٨	عبد الفتاح محمد عطية سالم	مصرى	»	[illegible]
١٠٩	عبد اللطيف حسن الريسوني	مغربي	»	[illegible]
١١٠	طه عبد الرحيم عويضة	سعودى	»	
١١١	عبد الكريم عطية جبران	سعودى	»	
١١٢	دورلوه حاجى ددة	تايلندى	»	
١١٣	محمد أحمد المهدى التويجرى [illegible]	مغربي	»	[illegible]
١١٤	ماهاما الحاج عبد الرحمن	تايلندى	»	
١١٥	محمد عمر محمد عيان	يمنى	مقبول	
١١٦	محمد نور الدين ابو بكر	نيجيرى	»	
١١٧	ابو بكر عبد المطلب	اندونيسى	»	
١١٨	محمد عبد السلام سعد الدين	هندى	»	
١١٩	عبد الله محمد المختار الشنقيطى	سعودى	»	[illegible]
١٢٠	امين الدين ابو بكر بالندونج	فلبينى	»	

- ٢٤٥ -

ألبوم الصور

الأجازة العالية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه. أما بعد: فإن رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يشهد بأن الشيخ عبد السلام السيد متولي البسيوني من مصر المولود في زفتى عام ١٣٧٢ من الهجرة الموافق عام ١٩٥٣م قد أتم الدراسة العالية في كلية الشريعة ونجح في امتحانها النهائي بتقدير ممتاز عام ١٣٩٧/١٣٩٨هـ / ١٩٧٧/١٩٧٨م وبناء على ذلك قرر مجلس الجامعة منحه درجة الأجازة العالية (الليسانس) من كلية الشريعة ورئيس الجامعة إذ يمنحه هذه الشهادة يوصيه بتقوى الله تعالى ويسأل الله عز وجل أن يسلك به سبيل العلماء العاملين.

سجلت برقم ١١٠٤ وتاريخ ١٣٩٨/٧/٢٠ هـ

توقيع حامل الشهادة

عميد الكلية

محمد بن محمود الوائلي

رئيس الجامعة بالنيابة

عبد المحسن بن حمد العباد

أولاً:

صور من الحرم النبوي الشريف

مواضع وزوايا لا يهتم بها معظم الزائرين

حين كانت البيوت ملتصقة بالحرم النبوي الشريف

Photo © R.Chohan

الروضة الشريفة أعلى، وموضع أهل الصفة اسفل

الروضة الشريفة

القباب، والبقيع

www.al3az.net شبكة العز الثقافية

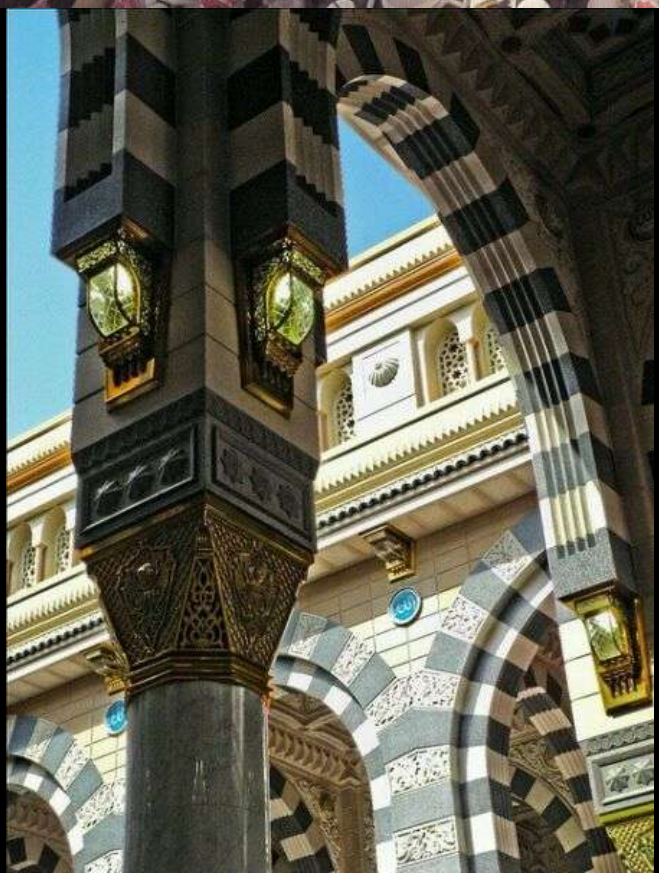

هذه خوخة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه

http://islamgreatreligion.wordpress.com
رسول الله
http://islamgreatreligion.wordpress.com

حلق العلم في المسجد النبي الشريف

ثانيًا:

المدينة المنورة صلى الله على ساكنها وسلم:

الحدود والمعالم

الصور مأخوذة من مواقع عديدة نت الشبكة العنكبوتية

المدينة حرم من عير إلى ثور

جبل عير الذي كنا نتسلقه، وهو أعلى الجبال بعد الجامعة،

عير من فوق جبل أحد وبينهما المدينة المنورة

من التحصينات العثمانية أعلى عير، وقد شهدنا منها عددًا هناك، زطريقًا سهلا خلفه يؤدي إلى قمته

لاحظ حدود الحرم في السفح، وقد وضعت بعدنا

جبيل ثور

جبل الراية ويعرف بجبل ثور.. يقع خلف جبل أحد

جبل سلع أحد جبال المدينة المنورة يقع غربي المسجد النبوي الشريف على بعد 500 متر أو أقل بعد توسعة المسجد النبوي، يبلغ طوله 1000 متر وارتفاعه 80 مترًا، وأمامه كان الخندق

الحرتان.. السيول في حرة واقم

خبراء الزلازل والبراكين اندهشوا من التشققات الأرضية في حرة رهاط جنوب المدينة المنورة

وادي العقيق حين تنحدر السيول

قلعة قديمة كانت تشرف على ثنية الوداع: حيث ينطلق المسافرون من المدينة ويرجع المودعون

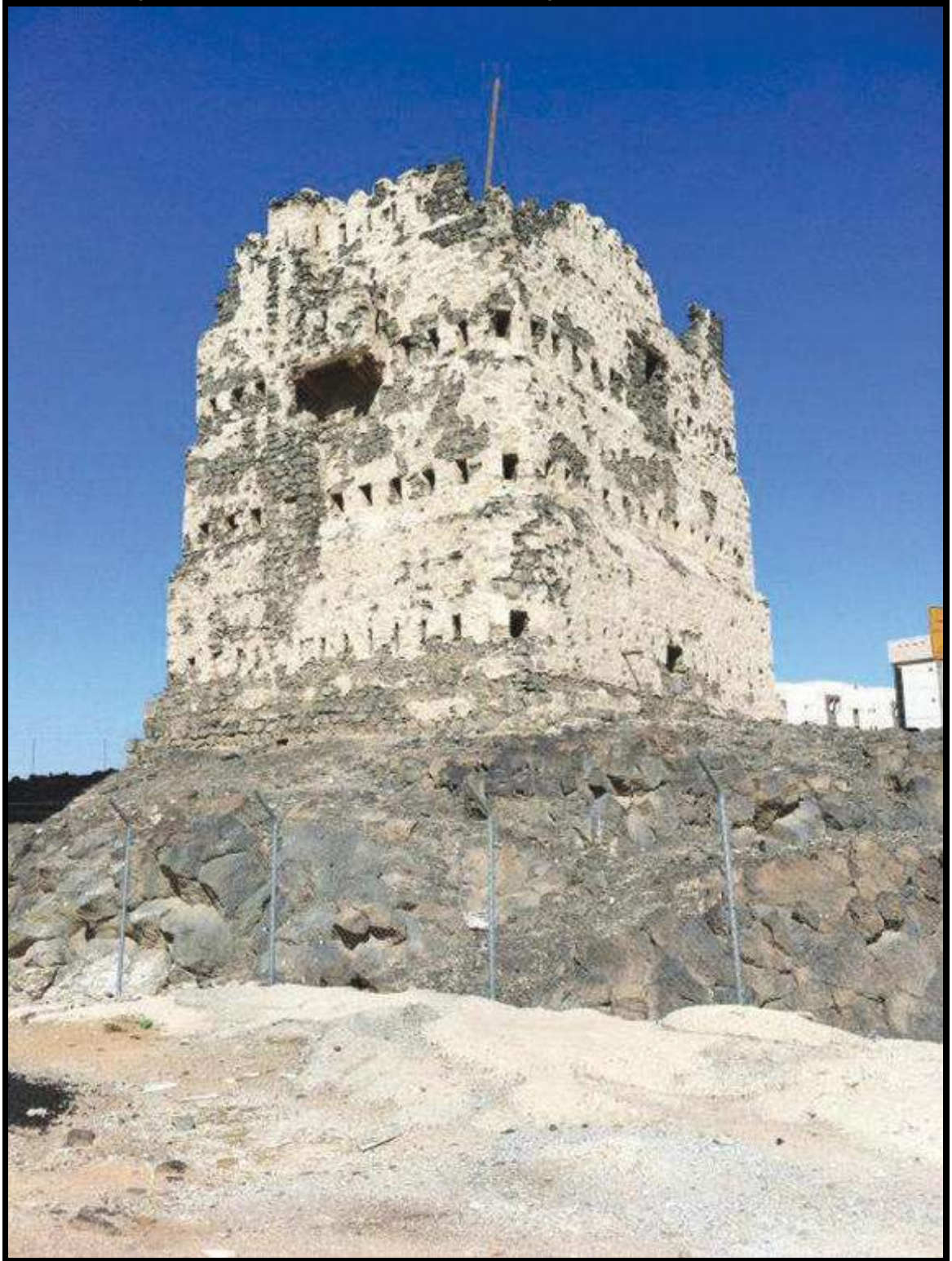

من حصون اليهود شمالي المدينة

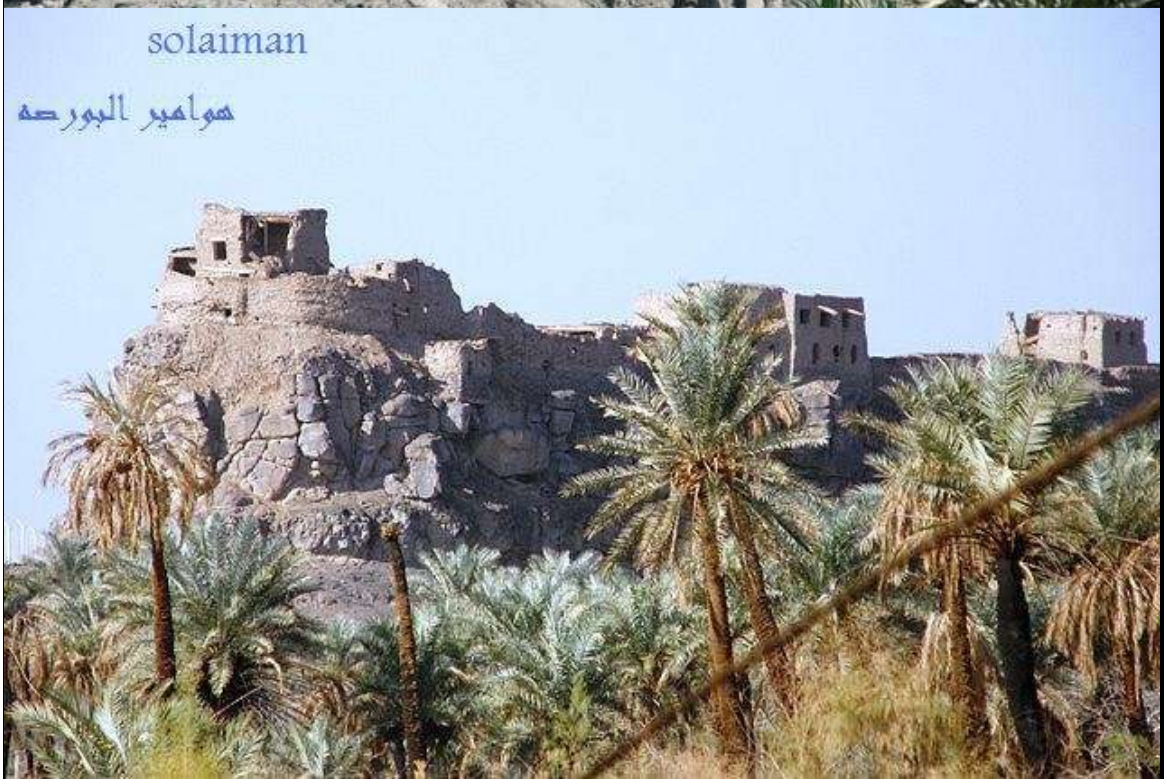

قباء أول مسجد أسس على التقوى

ما يزعم أنه مسجد الضرار، وقد أشير لي إليه قريبًا من قباء، ولا أظنه

مسجد القبلتين الجديد

المساجد الستة، في منطقة الخندق وجبل سلع

مسجد المميقات في آبار علي، بني بعدنا

البقيع.. 180 ألف متر مربع، أعظم مقبرة في الأرض على الإطلاق

حيث يرقد آل بيت المصطفى والصحابة والعلماء والصالحون، اللهم اكتبها لعبدك هنالك يا كريم

أمام أحد ومصارع شهداء أحد رضي الله عنهم

منظر علوي لتلة الرماة، ومقابر الشهداء رضي الله تعالى عنهم والمسجد

سقيفة بني ساعدة رضي الله عنهم

بئر رومة

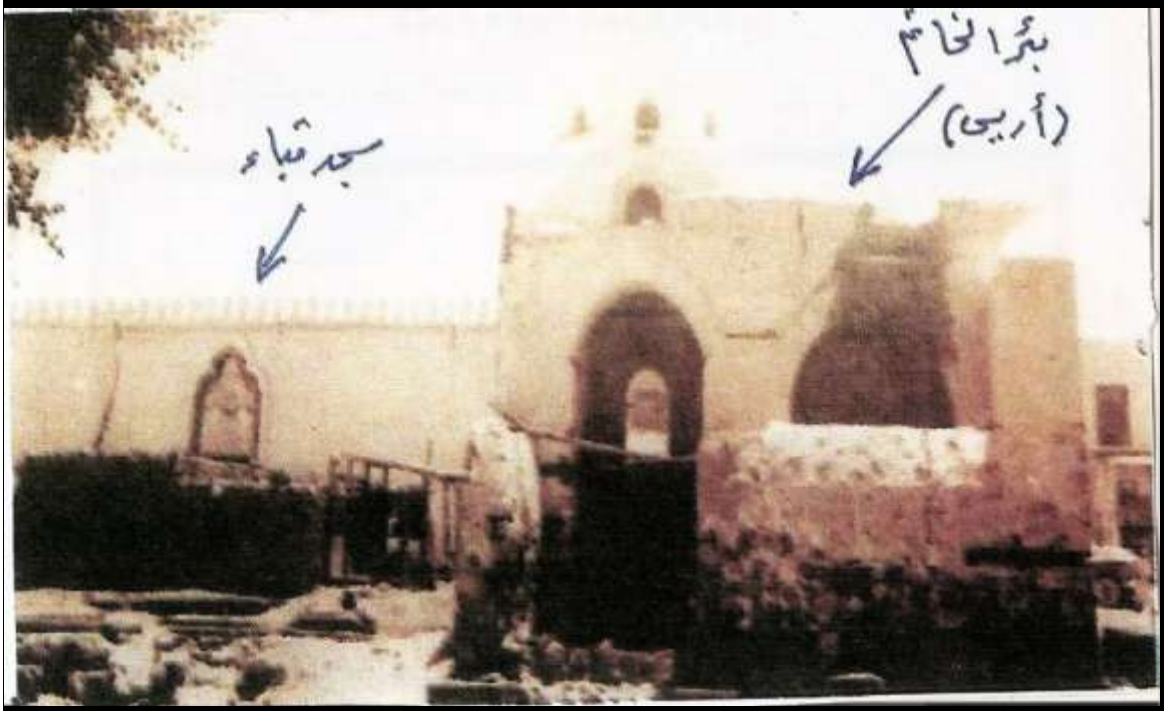

بئر أريس قريبًا من قباء

لوحة تاريخية على محطة سكة حديد الحجاز (مدينة منورة) بالثلث الجلي.. بكاميرتي

أمام سكة حديد الحجاز ومسجد العنبرية العثماني مع الصديق البريطاني إعجاز أحمد

التكية المصرية

باب السلام .
والى اليمين مستشفى باب السلام(سقيفة الرصاص)
Sulatek79
شبكة أبو نواف
www.AbuNawaf.com

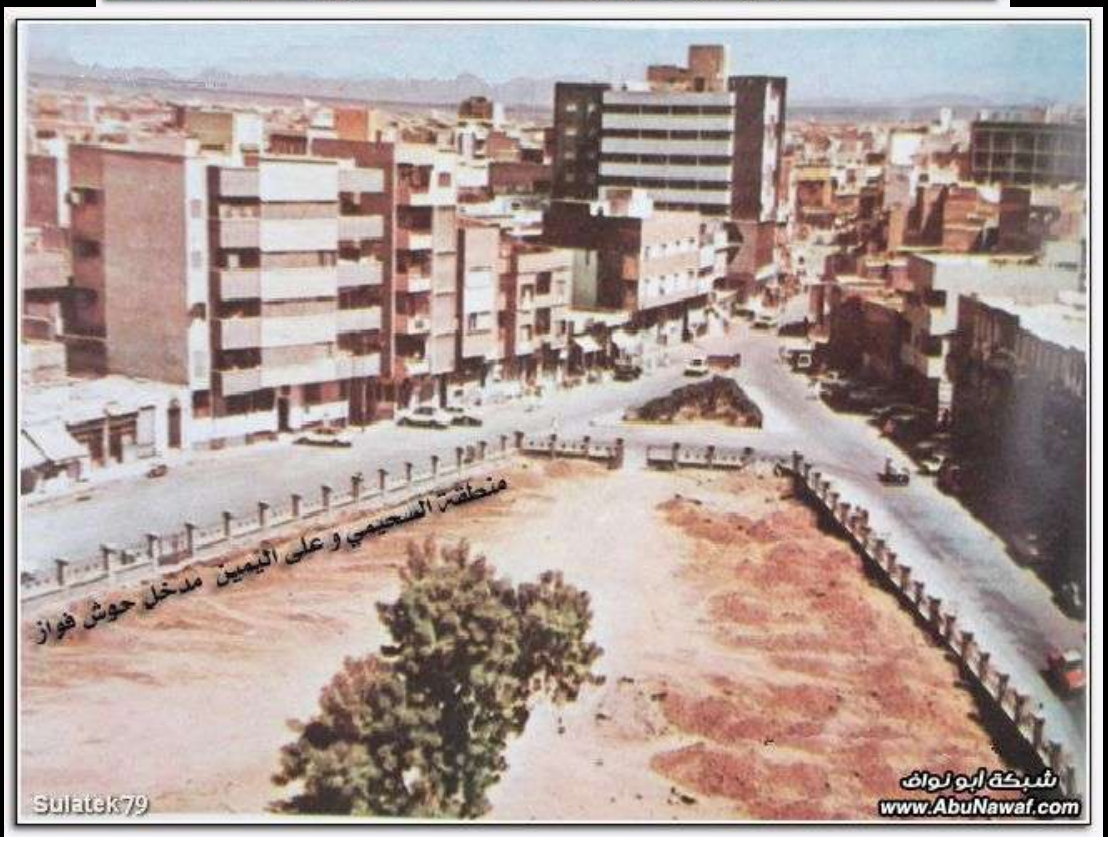
منعطف السحيمي و على اليمين مدخل حوش فواز
Sulatek79
شبكة أبو نواف
www.AbuNawaf.com

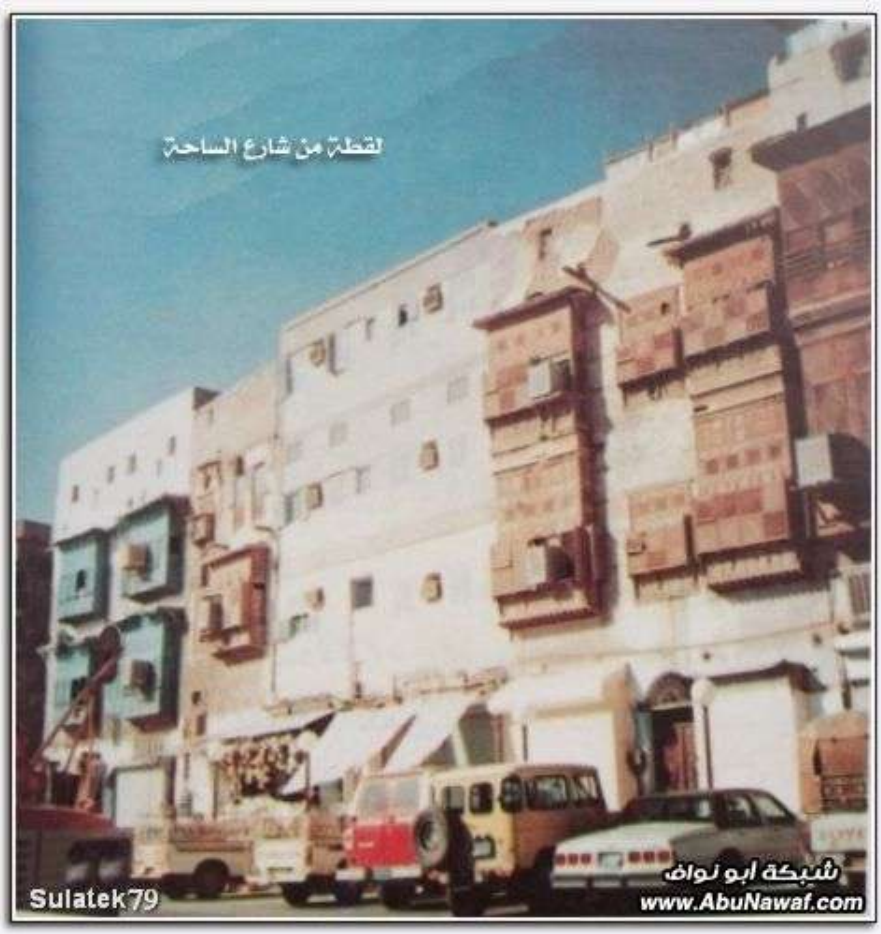
لقطة من شارع الساحة
Sulatek79
شبكة ابو نواف
www.AbuNawaf.com

حارة (الأخوات)
في الجنوب الشرقي من المدينة المنورة
Sulatek79
شبكة ابو نواف
www.AbuNawaf.com

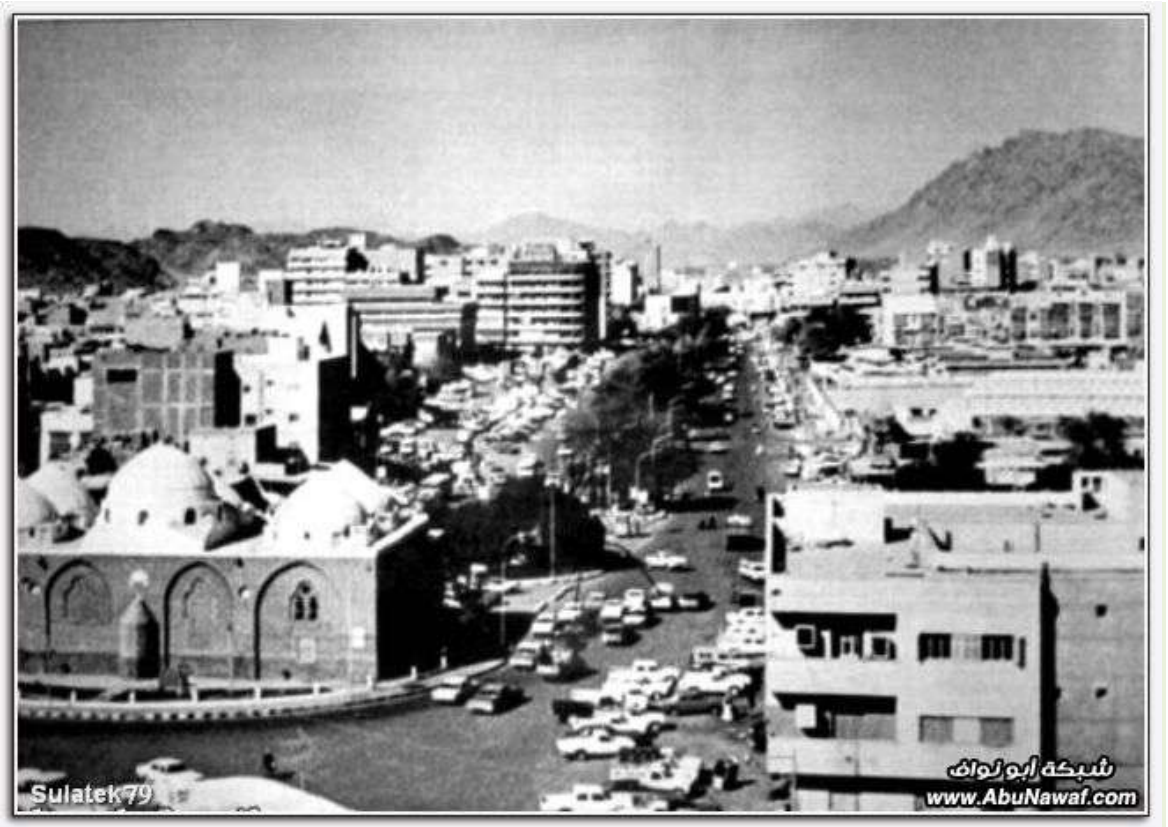
Sulatek79
شبكة أبو نواف
www.AbuNawaf.com

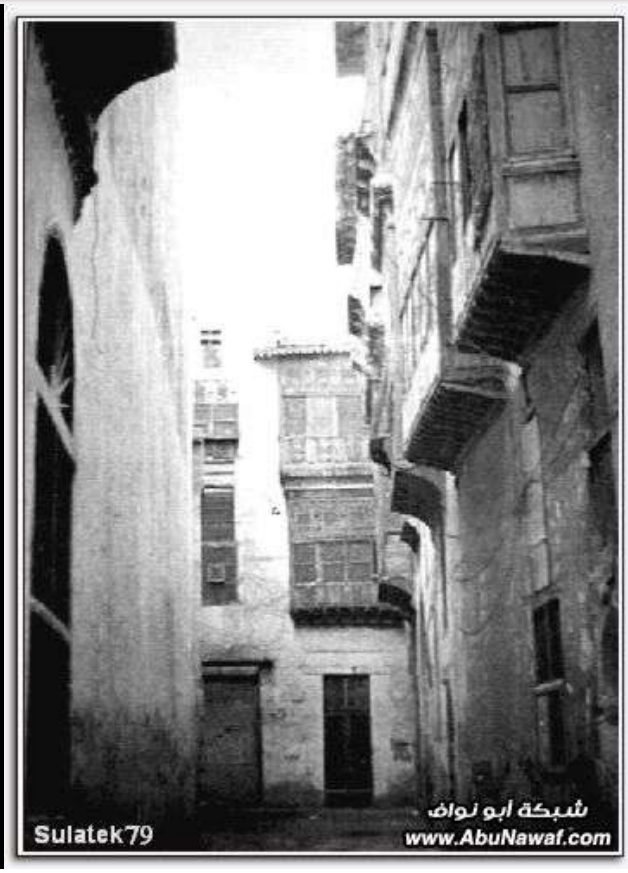
Sulatek79
شبكة أبو نواف
www.AbuNawaf.com

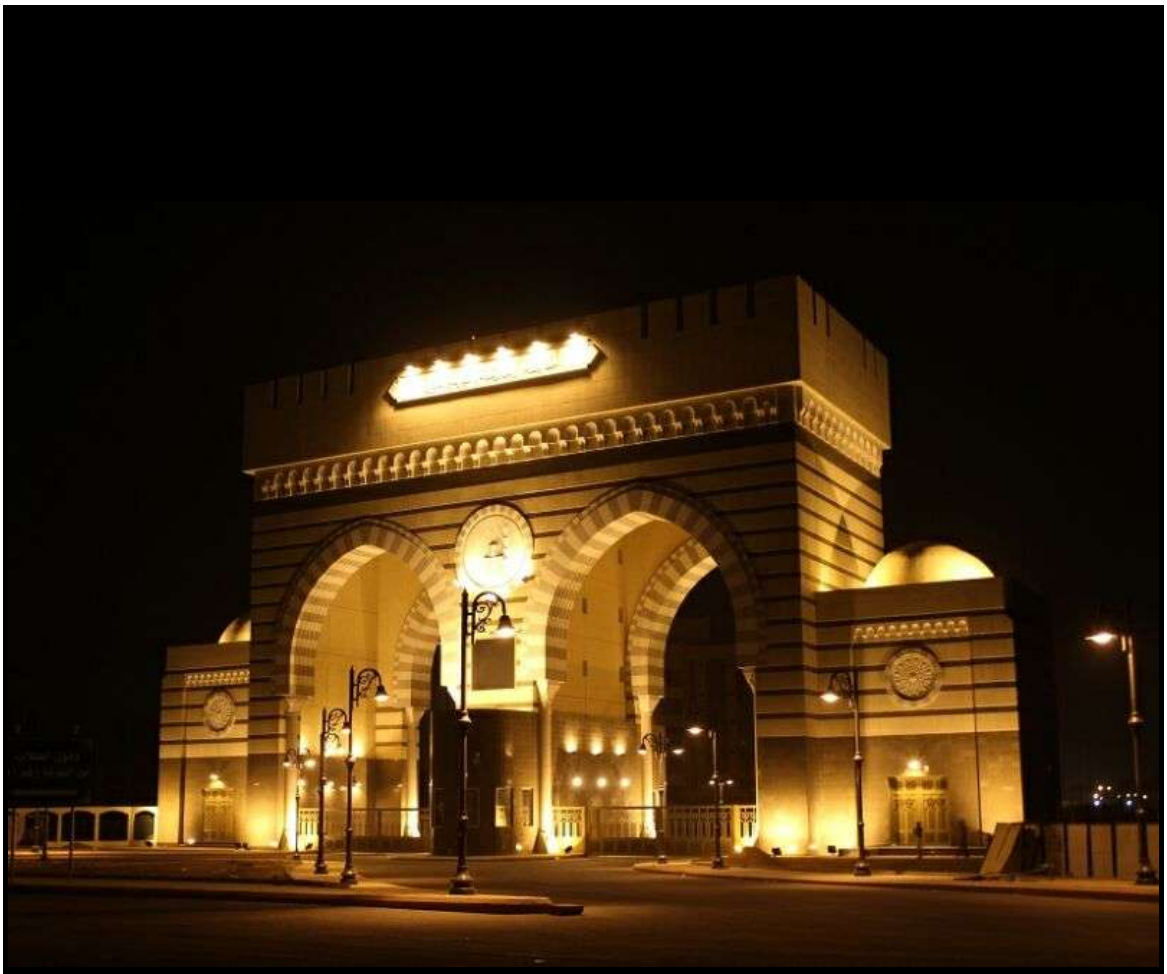

ثالثًا:

الجامعة الإسلامية

بوابة الجامعة

مبنى الإدارة القديم حيث كان رئيس الجامعة

قاعات الدراسة في كلية الشريعة

مسجد الجامعة

كلمة الختام:

الحمد لله الذي به تتم الصالحات:

وعدتك قارئي الكريم – وأرجو أن أكون قد وفيت – ألا أضع في هذا الجزء الثالث من ذكرياتي إلا صدقًا من القول، وحقًّا من التأريخ، الذي سُقته لإعادة ربط جيل مختلف المشارب، والألوان، والأعراق، جمعه الله تعالى على غير موعد، ولولا الله تعالى ما التقينا، ولا اهتدينا، ولا استقمنا؛ إن كنا!

وكان العائد الأوليُّ لهذه الورقات التي كتبتها من الذاكرة مدهشًا لي، ولزملائي الأحباب، وكان من ثمراته الطيبة المباركة أن أعثرني الله تعالى على أحبة باعدت بيني وبينهم المسافات والسنوات، وجمعتني بها الصحبة والذكريات، فقابلوا الأمر بالرضا والاندهاش، والفرحة والابتهاج، والإحساس بالإثارة، وشارك بعضهم بالصور، وبالذكريات، بعد أن استعدنا معًا مساحة من الزمان كانت من أجمل سني حياتنا، بل كانت هي الفرشاة التي رسمت لنا معالم طريقنا، فالحمد لله تعالى على ما أنعم ووفق، وشكرًا لكل حبيب تواصل وتفاعل، وأضاف إضافة، أو ذكّر بموقف، نفعني الله بهم جميعًا في الدارين..

وأسأله تعالى بمنه ووده ورحمانيته وإحسانه – كما جمعنا في الدنيا، في مدينة حبيبه المصطفى – أن يجمعنا في فردوسه الأعلى في جواره؛ منة منها وتفضلًا، إنه خير مسؤول، ولربي تبارك وتعالى الحمد والمنة، وله الثناء الحسن الجميل، والحمد لله رب العالمين.

أبو سهيل عبد السلام البسيوني

الدوحة البيضاء، في ذي القعدة 1463 هـ./سبتمبر 2015 م.

من أعمال المؤلف:

في العقيدة:

1. **إبراهيم الخليل عليه السلام**
2. **الإسلام والأنبياء عليهم السلام**
3. **الغزو الخفي: الرموز الدينية المخالفة للعقيدة (كتاب مصور)**
4. **الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة**
5. **حبوط العمل**
6. **في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى**
7. **كتاب المحجوبين عن رب العالمين**
8. **مواقف الحسرة يوم القيامة**

في القرآن والسنة:

9. **التبيان في آداب حملة القرآن (تحقيق وإخراج)**
10. **حريص عليكم**
11. **فقه السيرة للغزالي (تحقيق وإخراج)**
12. **محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين**

في الفقه

13. **الحج والحجر الأسود**
14. **صيامكم مقبول**
15. **فقه الأذان والإقامة**

في الفكر والثقافة الإسلامية:

16. **الإفك والتزوير في العالم المعاصر**
17. **الانعتاق فرض عين (مصور)**
18. **الإيثار في عالم نذل**

19. البشائر في الكتاب والسنة
20. التشبه في الكتاب والسنة
21. التعذيب: الهمجية المعاصرة (مصور)
22. العقلانية: هداية أم غواية؟
23. حرية الرأي باللغتين العربية والإنجليزية
24. Freedom of opinion in Islam
25. دعاؤنا: لماذا لا يجاب؟
26. ستر الله على العباد
27. عمالك أعمالكم
28. ليلة القدر: رؤية عصرية
29. من بدع القراء في المساجد
30. من محاسن الإسلام

في الدعوة والإعلام:

31. الإعلام الإسلامي في وجه الغزو الفكري
32. أيها المهتدي: أحبك في الله
33. التلفزيون: السم اللذيذ
34. خطبة حجة الوداع وميثاق حقوق الإنسان
35. خطيب الجمعة
36. طرائف وظرائف
37. القرضاوي عالميًّا
38. المساجد وأهلها
39. لله يا زمري
40. أسباب سقوط الحضارات

في فقه الواقع:

41. أزمة الغرب: الإسلام هو الحل
42. إسلاميون ثورجية
43. ذبح مصر
44. الحرب على الإسلام
45. الرؤساء
46. الرئيس مرسي
47. الروم: الغرب في الرؤية النبوية (بحث نصي)
48. في فقه الواقع
49. قراءة نقدية للسلفية المعاصرة
50. كتاب الثورة
51. لطوف: يسقط حكم العسكر (مصور)

في المرأة والأسرة:

52. الأب: رؤية قرآنية
53. الحجاب في البوذية والسيخية (مصور)
54. الحجاب في اليهودية والنصرانية (مصور)
55. العفة وأهل العفاف
56. العنف الأسري (بحث)
57. الغيرة خلق المسلمة النبيل
58. ماذا يريدون من المرأة؟
59. مفاهيم حول المسنين
60. وقال نسوة

في التاريخ والتراجم:

61. الأندلسي
62. بيت المقدس في الكتاب والسنة والوجدان الإسلامي
63. دعاة ومشاهير عرفتهم
64. رحلتي إلى المدينة المنورة
65. رجال أثاروا جدلا
66. رمضان في تاريخ المستعين بالله البسيوني
67. زفتى التي في خاطري/ الجذور
68. زفتى التي في خاطري/ الإيراق
69. سيدنا النجاشي الرائد المجهول
70. شيوخ ظرفاء
71. قال الراوي
72. يحكى أن

في الدراسات الأدبية

73. شعراء نصارى مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم
74. القرضاوي شاعرًا
75. المادحات
76. المعارضات المعاصرة لقصيدة البردة
77. ملائح المدائح

في الشعر والمسرح

78. أحمد ياسين (ديوان شعر بالعامية)
79. الأعظم صلى الله عليه وسلم (مسرحية شعرية)
80. اقتلوا يوسف (مسرحية شعرية)

81. الذئبة التائبة (ديوان شعر)
82. الحراني (مسرحية شعرية)
83. الحرباء (مسرحية شعرية)
84. زهرة (ديوان شعر بالعامية)
85. صلاة قلب (ديوان شعر)
86. عذرا ياسيد خلق الله (ديوان شعر)
87. ليلى حلمي (مسرحية شعرية بالعامية)
88. مراميات (ديوان شعر بالعامية)
89. يا سادتي (ديوان شعر)

الكتب الساخرة

90. أنا ألبي دليلي
91. بالشقلوب
92. حقك وفوقه شوطة
93. رجل اسمه نرجس
94. نساء عديمات الأنوثة

الكتب الفنية:

95. التدخين: حلال حلال حلال؟! (مصور)
96. التماثيل الشعبية الأوربية (مصور)
97. حمدي الشريف الخطاط الفنان (مصور)
98. خطاطات معاصرات (مصور)
99. لا إله إلا الله في عيون الخطاطين (مصور)
100. محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الخطاطين (مصور)

وكتب أخرى

الفهرست

العنوان	الصفحة
مقدمة	4
مصر أوائل السبعينيات	5
زفتى ومصر 1973	11
حرب أكتوبر 73	15
الأرضية والتكوين	18
أوائل رمضان 1393 وأواخرسبتمبر 1973	23
والله يفعل ما يريد	25
الشيخ الذهبي رحمه الله ومجمع البحوث	28
الذهبي وجماعة التكفير	30
اختطاف الشيخ الذهبي رحمه الله	31
ما التكفير والهجرة؟	33
شكري مصطفى	37
شكري مصطفى شاعرًا	39
تجارب مع التكفيريين	41
ثلاث خصال مكفرات	42
المدينة / الحرم الجامعة: 74–78 م.	44
السفر للمدينة المنورة والصدمة	45
في المسجد النبوي: أطول لوحة في العالم	50
الأيام الأولى في المدينة المنورة	56
القهوة في مكتب ابن باز رحمه الله	60

بداية المسيرة الدراسة	62
الكبائر الثلاث في الجامعة	65
المعاناة	68
الانسحاب	69
عليان بيه بواب السفارة	70
الصدمة الثانية	73
الشنقيطي واللحظة الصادمة	75
الافتتان بالشيخ رحمه الله	77
روح المدينة قبل وبعد	80
التفكير قبل وبعد	82
الجامعة بعد ربع قرن	84
مواقف وذكريات	86
طلاب الجامعة المفاليت	87
طحطة عبد الكريم	88
باردو	88
عبد الناصر الخطيب وتسلق الجبل	89
حبس المشايخ	90
أحسن غرفة	92
الإفلاس والجدعنة	92
فرع الممثل الشرعي والوحيد	93
في نادي المدينة الأدبي	102
المؤتمر العالمي الأول للدعوة والدعاة	103
وطارت رقبتان أمام عيني	104

محاولة قتل عمد	106
غريبولّا	107
أَمشي يا عبد الزلام يا أخي	107
جودة	108
يا حسين	110
حبيب الرحمن رحمه الله	111
أبو العز رحمه الله	112
الفيصل رحمه الله	113
وتصدى للسان الشيخ	114
الشيخ ميره شفاه الله	115
بلقيس	116
العقارب والحر والمرض	117
مسجد القبلتين: ثلاث حالات	119
سعود رحمه الله	121
في مطعم الجامعة	121
التثليث في الجامعة الإسلامية	122
العودة التعيسة مصر	123
الشيوخ في المدينة	126
الشيوخ الأساتذة	127
محمد المختار الشننقيطي: رجل من القرون الفاضلة عاش بيننا	129
الشيخ عبد المحسن العباد: العالم المتواضع الرقيق	137
الدكتور العالم الفقيه محمد بن حمود الوائلي	149
ابن باز: العالم الولي الجواد	155

الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى	162
الشيخ الدكتور محمود ميرة شفاه الله	165
الشيخ عبد الرؤوف اللبدي التربوي الموفق	168
الشيخ عبد الغفار حسن عليه الرحمات	170
الشيخ عبد القادر شيبة الحمد	172
الشيخ عطية سالم رحمه الله	174
الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله	177
مؤرخ المدينة الدكتور محمد الوكيل رحمه الله	179
الشيخ الثائر محمود فايد رحمه الله تعالى	182
الشيخ علي مشرف	188
الشيخ الظريف الدكتور عبد الله قادري	189
الزملاء	197
عالمية الجامعة	198
خريجو عام 1978	202
أحمد أبو حلبية	208
أحمد الدبوس	211
خير عبد الراضي	212
زهير الكبي	214
عبد الستار البقار	218
عبد الفتاح عمار	219
فؤاد السايس	221
أبو العز: قاسم عبد الحليم	223
ماهر بدر	231

ناصف ناصر	234
وليد مساعدة	238
أسماء زملائي المتخرجين	240
ألبوم االصور	245
أولاً: صور من الحرم النبوي الشريف	246
ثانيًا: المدينة المنورة صلى الله على ساكنها وسلم	261
ثالثًا: الجامعة الإسلامية	284
كلمة الختام	287